#وطن

رواية







محمد بن صالح الشمراني



منتدى المعارف
alMaaref Forum



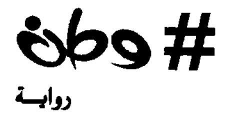
محمد بن صالح الشمراني



رواية



منتدى المعارف
alMaaref Forum


#وطن
رواية

«جميع الشخصيات الواردة في هذه الرواية هي من نسج الخيال ولا تمت للواقع بصلة وأي تشابه في الأسماء أو الأحداث هو صدفة ليس إلا. كما إن الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر منتدى المعارف»

الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٣

ISBN 978-614-428-033-1

تصميم الغلاف: عز الدين مصطفى
ezzdesigner@gmail.com

منتدى المعارف

بناية «طبارة» ـ شارع نجيب العرداتي ـ المنارة ـ رأس بيروت
ص.ب: ٧٤٩٤ ـ ١١٣ حمرا ـ بيروت ٢٠٣٠ ١١٠٣ ـ لبنان
بريد الكتروني: info@almaarefforum.com.lb

إهـــداء

إليه . . «كائناً من كان» . .

علّه يُميط ـ يوماً ـ لثامه . . !

لقطةٌ أولى

«**ملاك؛** سامحيني..

نظرات الرعب في عينيكِ، توسلاتك، بكاؤك.. لن أنساها، أُقسم إنني لن أنساها أو أتنازل عنها ما حييت!

حبيبتي ملاك.. في فمي أسفٌ واعتذارات بحجم السماء، لم أكن أتصور أن تصل بهم الخسة والنذالة إلى هذا الحد، ولا أن يصل بنا الحال إلى ما نحن فيه!»

فهد

لقطةٌ ثانيـة

«حبيبي فهد..

بعد رحيلي؛ أرجوك.. عِشْ حياتك كما تتمنى، اطوِ الصفحة البائسة التي قضيتها معي، ثيابي، عطوري، هداياك.. تصدق بها، أريد أن تقطع كل ذكرياتك الباكية معي، لا تُقم لي أي عزاء، ولا تزرني، صدقني يا فهد بأن ذلك سيسعدني في قبري، امسحني من ذكرياتك للأبد، وعش حياتك كما كنت تتمنى..»

ملاك

فاتحة

كانت تطرق نافذةَ سيارته، تُلح عليه أن يستجيب، أن يفتح لها، امرأةٌ مُكتملة القوام، في بحر الثلاثين، هكذا خمّنت عيناه، كانت تشير إلى مظروفٍ بين يديها، تطلب أن يقرأه، صك إعسار؟ تقريرٌ طبي؟

استغرب؛ لماذا قصدته من دون الناس، لماذا تخطت الجميع، وتوجهت إليه؟ أشار بسبابته نحو السماء، طلب منها الابتعاد، لكنها لم تبارح مكانها، بل زادت من حدة طرقاتها، كانت تتوسل إليه أن يفتح، أن يلتفت إليها، أن يسمع منها كلمة واحدة فقط..

«سُحقاً.. لماذا كل هذا الإلحاح المزعج، ولماذا تركتْ كل هؤلاء الناس وتسمّرتْ أمامي؟!»

رفع من صوت المسجل، حاول إشغال نفسه بأي شيء، يحس بضيقٍ في صدره، برغبةٍ ملحّة بالصراخ في وجهها، بطردها من المكان، فقد تجاوزت حدودها كمتسولة!

رفع بصره نحو إشارة المرور، ٢٠ ثانية.. وينتهي هذا الجحيم!

تشاغل بتصفح هاتفه المحمول، ضرباتها المتتالية تبدد كل سكون حوله، أزاح الهاتف جانباً، لم يستطع فهم حرف واحد، تشويشٌ أصاب ذهنه، وقْعُ ضرباتها يزداد، سينفجر رأسه في أي لحظة، في فمه ألف شتيمة وشتيمة..

استقرت عيناه على المتسولة، على عباءتها، تبدو جديدة، ليست في مستوى فقر المتسولات!

تفحصها سريعاً، كانت تلبس عدسات ملونة، جعلت من عينيها أكثر جاذبية، شنطتها، اكسسواراتها.. لا يبدو أن وطأة الفاقة قد هدتها!

هل هي موضة جديدة تجتاح المتسولات؟ أم هو نوع من تقديم الخدمات الخاصة بطريقة حديثة؟

تبقّى ثلاثُ ثوانٍ فقط..

كانت تُشير بسبابتها، وتواصل الطرق من دون يأس، يسمع بقايا صوتها من خلف النافذة: «**دقيقة.. دقيقة أرجوك**»

أضاءت الإشارة الخضراء، كان يسمع وقع شتمها المقذع من خلف النافذة، بدا له شيئاً مسلياً، ابتسم ساخراً: «**حمقاء.. تستحق ذلك، لو أنها بحثت عن عميل آخر.. لفازت ببضع ريالات**»

استعَدّ للتحرك، ومغادرة هذا المكان الكريه، إلا أن شيئاً غريباً فاجأه، جعله يهتز في مكانه، يُطلق صرخةَ فزعٍ مدوية، وضَع يديه بشكل عفوي على وجهه، أغمض عينيه، اتخذ وضعية الدفاع..!

لم يفهم شيئاً مما حدث!

«**تباً لك أيتها السافلة..**»

بعد أن غادرت، أدرك شيئاً مما صنعت، استرجع الأحداث ذهنياً: فَتحَت الباب عُنوة، وألقتْ عليه مظروفاً، ثم.. انسحبت في هدوء!

«**هذا كل شيء؟!**»، حَمِد الله أنه لم يُصب بمكروه، توقع للوهلة الأولى أنه سيتم الاعتداء عليه!

سريعاً؛ تفحص المظروف بكل فضول، وجد عبارة واحدة، كُتبت في أعلاه، كانت لغتها التهديدية واضحة:

«تحذير: لا تفتح هذا المظروف!»

أبواق السيارات تملأ المكان خلفه، لم ينتبه لنفسه، أحس بارتباك، تقدم بسيارته سريعاً، أوقفَها جانباً!

«ولكن.. لماذا سلّمته لي إذن؟!»

كان ينظر إلى المظروف بارتياب كبير، رفعه للسماء، محاولاً اكتشاف محتوياته، لا شيء!

انتبه لوجود عبارة في الجهة الأخرى للمظروف، قرأها..!

ثم رفع رأسه مرتبكاً، مسح المنطقة بشكل سريع، بحثاً عن شخص يراقبه، يرصد ردة فعله!

أحكم شد المظروف بين يديه، ثم قرأ العبارة مرة أخرى:

«توجه الآن نحو (قصر الحكم)، لا تفتح هذا المظروف، سلِّمه للملك بشكل شخصي، ولا تغادر مجلسه حتى تسمع جوابه، تحذير.. سلِّمه للملك وليس لأحدٍ سواه!»

تذكرها، المتسولة اللعينة، نظر جهة إشارة المرور، متوسلا أيةَ معلومة، أو إشارة، كانت حركة السير أكثر من عادية، ولا يوجد أي أثر لها!

اختفتْ، واختفى معها ألفُ جوابٍ وجواب!

١

يتذكر عينيها، أوجاع حياتها، جسدها المنهك، بكى كما لم يفعل من قبل، لم يكن يتخيل أنْ يهتز لأجل عينين، أن تتبدل حياته، أن تستحيل أحزاناً؛ بعضها فوق بعض، حين أخبره الطبيب بحقيقة مرضها، بذلك الشيء الذي بات ينهش جسدها الجميل، باحتمالية رحيلها في أي لحظة.. أظلمت في عينيه كل تواصيف الفرح!

« **هل تذكرين المرة الأولى التي أكلنا في هذا المطعم؟**»، قرر **فهد التركي** أن يكسر رتابة الأحزان التي صارت تلف منزلهم، مقاومةُ المرض نفسياً جزءٌ من العلاج، اختار مطعماً له ذكريات باسمة معها، شارع التحلية بالرياض مليء بالمطاعم الفاخرة، لا يعلم لماذا اختارَا هذا المطعم أول مرة: «**أكيد.. أنا لا أنسى ذكرياتي الجميلة معك.** »، قالت ملاك.

أجابها مبتسماً: «**كان اليوم الأول لزواجنا، وجبة غداء، أتذكرها بكل تفاصيلها.. حتى عندما أَسقطتِ كأس العصير على عباءتك، مسكينة؛ كلما أتذكر هذا الموقف...**»

قاطعته ضاحكة: «**ذلك بسبب نظراتك الحارقة التي كنت تتفحصني بها، مع خليط عجيب من كلمات الغزل التي تتفوه بها من غير ترتيب، كانت غزلياتك تثير الضحك فعلاً.** »

رد فهد بحماسة: «**دائماً تهزئين بغزلياتي، وتنسين نفسك أيتها**

الصحراوية!»، اقترب منها، وقال بنبرة كيدية ضاحكة: «**هل تنكرين أن أول مرة قلتِ فيها يا حبيبي.. كانت بعد زواجنا بثلاثة أسابيع؟ حتى إنني انتزعتها من فمك انتزاعاً.. بعد أن تلون وجهك بألوانٍ لم يكتشفها البشر حتى الآن!**»

صمت فهد قليلاً، فرِح أن روحها العذبة بدأت تحيا فيها، كم يرجو من الله أن يتمم شفاءها، ويعيد بسمتها الأولى، كانت تملأ حياته بهجة وفرحاً، كان يراها بمنظار الحب وحده، أما الآن.. فصار ينظر إليها بمنظار الحب والشفقة معاً.

وضعت خمارها جانباً، وعدّلت من تسريحة شعرها.. بإسقاط بعض خصلاتها على جانبي وجهها، تأملها فهد، لِجمالها هيبةٌ وفخامةٌ هادئة، إلا أنه جَمال يحمل بقايا تعب، وهزائم صامتة، رغم محاولاتها التظاهر بغير ذلك!

رآها مشغولة بالبحث عن شيء ما، كانت تفتش في حقيبتها، تحت خمارها، في كل مكان، سألته: «**مرآتي.. هل رأيتها؟**»، رد فهد ضاحكاً: «**أنت أجمل هكذا**»

سترحل قريباً، هكذا توقع الطبيب، ربما بعد سنة، أو سنتين، ليس مؤكداً فالأعمار بيد الله، يعتمد ذلك على قدرتها على مقاومة المرض، في كل ليلة؛ كان فهد يملأ عينيه من ملاكه، يحفر تفاصيلها في قلبه، عطرها سيبقيه، سيحوِّل ذِكراها إلى تمثال، سينحته بيديه، لن يعبده، لكنه سيحتفظ به حتى يلحق بها.

حتى هذه الطاولة، طاولة المطعم، سيحن إليها، تعرف كثيراً من أسرارهما، هل سيقبل صاحب المطعم لو طلب شراءها؟ هل سيتجرأ على حملها معه؟ لم يكن متأكداً من أي شيء!

«**يارب؛ اشفِ ملاكي..**»، يتذكر كم تعبت، كم سهرت الليل وهي تعاني، وهي تمزج ألمها ببكاء مخنوق، في كل ليلة؛ يراقب جسدها، يراه يتهاوى أكثر، يخذلها أكثر، يحتل المرض مساحات جديدة منه: «**لم يأتِ الأسوأ بعد**»، هكذا كان يردد الطبيب.

ليالي المرض، لياليها السوداء؛ يصمت فيها الأمل، يتوارى خجِلاً خلف النوافذ، وتحت الأرائك، يسمع المريض فيها كلامَ العائدين، تصبيرهم، تلك القصص المختلَقة، فلا يُصدِّق من ذلك شيئاً، رائحةُ الرحيل، بات يشمها، فكيف يُصدق؟!

المرض؛ ألا يخجل؟ حينما يتسلل إلى أجساد المحبين، ويتخذ من قلوبهم موطناً، ألم يكن يعلم أنه ينتهك حرمتهم، يقتحم مضاربهم عنوة؟

سأل نفسه: «**هل فعلاً يمكن أن أنساها؟ وأتجرأ على الاقتران بأخرى إذا رحلت؟**»، هكذا يقول الناس، سيحزن عليها زمناً؛ ثم يخفت هذا الحزن تدريجياً؛ حتى يتلاشى، أحد أصدقائه قال له: لا تحبس نفسك مع واحدة، هي مريضة، وفِّها حقها على أحسن ما يكون، لكن لك حق أيضاً في الحياة، ستتصرم أجمل سني حياتك تحت نيران الانتظار، تزوج من أخرى، ليس ذلك نكراناً للجميل، بل هي سنّة باقية للحياة.. والجميع يفعل ذلك..

«**لا.. لا يمكن..!**»، صرخ قلبه.

بقيت ملاك كما عرفها،لم يتغير فيها سوى شحوب وجهها، بسمتها، قلبها المتعب: «**لو كان المرض رجلاً لما قتلتُه، لماذا أقتله؟ ربما تَندسُّ بعض بقاياه في جسدها، بل سأجثو بين يديه، سأبكي حتى يحِنّ لشعثي، ثم.. سأتوسل إليه أن يجمع أشياءه ويرحل**»

«فهد.. بصراحة»، قالت ملاك.

كان شارد الذهن، مزدحم الأفكار، أردفتْ ملاك: «**بصراحة.. هل أحببتَ أحداً قبلي؟ حتى أيام مراهقتك، قبل أن تعرفني.. جاوبني بكل صراحة؟**»

تسأله عن الحب؟

تساؤلٌ جاء على حين تعب..!

مرةً؛ حاول أن يشرح لها كيف يحبها، كيف يخفق قلبه، أخبرها أن قلبه يكون ساكناً لحظتها، خالياً من كل إثارة، ثم يحس به يتحرك قليلاً، ربما جهة اليمين، يصبح خفيفاً، يهتز بسرعة، ثم.. يعجز عن التصوير، عن إكمال ما يشعر به، إلا أنه يؤكد لها.. أن شيئاً ما يتجه بشكل مباشر إلى عينيه، إلى مركز الإبصار فيهما، ثم.. يرى كل شيء فيها جميلاً.. كل شيء!

«**فهد.. ماذا بك؟ لا تتهرب.. جاوبني.**»

مال بجذعه جهتها، واضعاً قبضته على خده، رد مبتسماً: «**تغارين حتى من الماضي يا جميلة؟!**»، ثم أشار إلى الطبق الفارغ الذي أمامها: «**يبدو أنك كنتِ جائعة؟ أو أنني شخصية تفتح الشهية؟!**»

قامت من مقعدها، ارتدت خمارها، وجمعت حاجياتها بسرعة، ثم قالت: «**لا تحاول صرف الموضوع عني، ما زلت أنتظر إجابتك، سأذهب لأغسل يدي، دقيقتان وسأعود.**»، وضعت هاتفها المحمول أمامه: «**اكتب اسمها هنا.. أُقسم أنني سأقتلها بيدي.**»، أشارت بيديها، ثم غادرت ضاحكة.

كانت تحمل حقيبتها؟

كلما يراها تحزم حقيبتها اليدوية، تجتاحه لسعاتُ حزنٍ صغيرة، صار يتخيل رحيلها الأخير.. حين تحزم حقائبَ قلبها؛ وترحل!

سأل نفسه؛ لماذا أَحَبّ ملاك بهذا القدر؟ ألأنها الوحيدة في حياته؟ ألأنها حبه اليتيم؟

قبل مرضها؛ كانت تُسرف في التجمل له، تطيل شعرها، ثم تقصه فجأة، كانت تحاول أن تكون محط نظره دوماً، لا ينسى أول لقطةٍ تفعلها حين يدخل المنزل، بعد عودته من عمله المرهق، كانت حينما تسمع مفاتيحه؛ تهرع إلى استقباله بابتسامة حاضنة، كان يحب ابتسامتها، ويقول لها دوماً: إنها تملك أجمل ثغر في العالم..

لكنه خسر كل ذلك فجأة!

فحينما صار يعود إلى المنزل.. لا يجد حضناً ولا حتى ابتسامة، دوماً تكون نائمة، أو تتحامل لتجعل من ابتسامتها شبه حقيقية!

«الدواء.. المرض.. تباً لهما!»

اقترح عليه الطبيب أن يتم إخبارها بحقيقة مرضها، أن يتدرج في الأمر، لأن الخبر سيتسرب إليها يوماً، وربما يَدهمها فجأة، حينها سيخلِّف آثاراً مدمرة على صحتها، صرخ في وجهه رافضاً، لا يتصور أن يفعل ذلك: «**هل تريد أن نقول لها: اصبري يا حبيبتي.. فسوف تموتين قريباً!**»

في انتظار زوجته؛ كان فهد التركي يتأمل وجوه الناس، يقرأ خلفها قصصاً متخيّلة، يبحث عن تفاصيل الألم في قسماتها، يحس أن قيمة الألم أقرب إليه من كل معاني الفرح، يسترسل أحياناً حتى ينسى نفسه، ويمتزج بهذا العالم التأملي العجيب.

«أخيراً.. التقينا يا فهد!»

اهتزّ لوقع هذا الصوت الأنثوي الرقيق؛ الذي أعاده إلى عالم الحقيقة، فتاة عشرينية، هكذا خمنت عيناه، ترتدي عباءةً حديثة، ويفوح عطرها برائحة جاذبة: **«ولكن.. من.. من أنتِ؟!»**، رد فهد مرتبكاً.

«ألم تتعرف على صوتي؟!»، قالت مُعاتبة.

جعل فهد ينظر حوله، هل يراقبه أحد؟ هل ترصده عين فضولية؟ لا يريد أن يورط نفسه، زوجته ستعود في أي لحظة، أبداً.. ليس وقتاً مناسباً لزرع الشكوك في قلبها.

شبّكت الفتاة بين أصابعها، مظهرةً خاتماً لامعاً على هيئة ثعبان، يبدو باهظ الثمن، ثم قالت في رقة عفوية: **«أتمنى ألا تكون نسيتني.. أنا.. أنا غادة الإبراهيم»**

كان بينهما اتصال هاتفي، عرضت عليه تعاوناً مشتركاً، توقع أنه مصيدة، ليس ساذجاً إلى هذا الحد، وعدَها أنه سينظر في الأمر لاحقاً، لكنه لم يعاود الاتصال بها، ثم أخيراً.. تجاهل رسائلها واتصالاتها المتكررة.

نهض فهد من مقعده مرتبكاً، عيناه تتفحصان كل حركةٍ في المطعم: **«غادة.. زوجتي هنا، ستعود في أي لحظة، لا أستطيع التحدث معك الآن!»**

«لا بأس.. أتفهّم ذلك، الليلة موعدنا هنا، سأنتظرك على الطاولة نفسها، في تمام الساعة التاسعة»، ثم ودعته بابتسامة عذبة.

ركب فهد التركي سيارته، حمِد الله أن زوجته لم تشاهده بصحبة تلك الفتاة، جاءت في توقيت سيّئ للغاية، لا يدري لماذا تطارده بكل هذا الإلحاح: « **مطعم رائع، سنعود إليه قريباً**»، قال مخاطباً زوجته، ثم أضاف: «**أفكر أيضاً أن ندعو والديكِ لمشاركتنا يوماً ما، ما رأيك؟**»

«**ملاك.. هل أنت متعبة؟**»

«**ملاك.. لماذا لا تتحدثين؟!**»

«**هل أصابك مكروه؟!**»

وبعد عدة محاولات لاستنطاقها، ردت ملاك بانفعال كبير: «**هل استعجلتَ رحيلي بهذه السرعة؟**»

«**ملاك.. ماذا تقولين؟!**»

«**أخبرني.. من تلك الفتاة التي كنتَ تتحدث معها في المطعم؟!**»

٢

اختار مقعداً منزوياً في المقهى؛ وسط المجمع، يريد أن يتفرس في ملامح الناس من حوله، بيده جهاز «آيباد»، اتخذ جميع الإجراءت الأمنية لتلافي تتبعه، تعلّم كيف يكون حذراً، اتبع أسلوباً معقداً وصارماً في التخفي، يُدرك أنه يعيش في غابة مزروعة بالجواسيس، وأي خطأ سيكلفه الكثير!

اتخذ اسماً مستعاراً، حرص أن يكون محايداً قدر المستطاع، **مُجهِد**. . وجد أنه الأنسب لطريقة عمله، ولدربه الشاق، من أمنيات حياته أن يفعل شيئاً مختلفاً، أن يقلب الموازين، يعشق الإثارة، والأحداث الصاخبة، سعد كثيراً بكثرة التكهنات حول شخصيته، بهالات الغموض التي تحيط به، يستمتع بردود الأفعال على أخباره. . **أخبار مجهد الحصرية!**

يعلم أن الكثيرين يعيشون حالة مضطربة بين تصديقه وتكذيبه، بين قبول أخباره وردها، إلا أنه متيقن أن الآلاف يتحرقون لمعرفة شخصيته الحقيقية، وحقيقة دوافعه.

«كيف ستكون ردة فعل القابع بجواري.. لو علم فقط بأنني مجهد؟!»، حدث نفسه ضاحكاً.

نظر إلى الآيباد، قرأ **الوثيقة** للمرة الألف، تأكد من كل ملابساتها،

وتفاصيلها الصغيرة، هل ينشرها الآن؟ أم ينتظر الوقت المناسب؟

احتار كثيراً، فهي وثيقة مهمة جداً، ودوماً يريد أن يكشف أوراقه في أنسب وقت، حيث تؤتي ثمارها، وتصنع صخباً جماهيرياً يحقق شيئاً من تطلعاته!

٣

«**إذاً.. فقد كنتِ تتجسسين علي؟!**»، قال فهد التركي.

«**آسفة.. الحقيقة.. أنتَ لم تسمح لي بشرح فكرتي كاملة في الهاتف، أظنك لم تثق بي، أتفهم ذلك تماماً**»، قالت غادة الإبراهيم.

صمت فهد، لا يعلم ماذا يقول لها بالتحديد، هي المرة الأولى التي يجلس بمفرده مع امرأة لا يعرفها، أحس بتأنيب ضمير، هذا المقعد الذي أمامه.. كان حكراً على زوجته، بالكاد أقنعها أنه لا يعرف هذه الفتاة، ادّعى بأنها صحفية مزعجة، استدعى متاعب المشاهير مع الصحفيين، حاول أن يخفي ارتباكه، الذي تمنى ألا يكون سبباً لزرع الشك في قلبها المتعب.

«**ماذا تحب أن تشرب؟! ستكون ضيفي هذه الليلة**»، قالت غادة بلطف.

جال فهد ببصره في المكان، فبرغم الساتر الذي يفصل طاولتهم عن بقية الطاولات.. إلا أنه لم يشعر بالأمان، يحس أنه يرتكب خطأ، ربما يؤثّر على سمعته، أو حتى يودي بعلاقته الزوجية.

شرعَت في شرح عرضها بالتفصيل، ثم قالت أخيراً: «**أتفهم ترددك، لو كنتُ مكانك لترددت في قبول العرض، ففيه مخاطرة، كما إنه أتى من شخصية هي من صميم الجهة التي تُضمر العداء لك!**»، قالت غادة.

كانت تتحدث بثقة ولباقة، أكثر لغتها فصيحة، خصوصاً عندما

تحدثت عن تفاصيل عرضها، تأملها فهد ملياً، جميلة، ملامحها صارمة نسبياً، مما أضفى على جمالها شيئاً من الوهج الجاذب، لفت نظره أنها غيّرت خاتمها بما يتلاءم مع لون ملابسها، حتى طرف تسريحتها كانت مختلفة، يبدو أنها ثرية فعلاً، ولديها مطالب من نوع مختلف.

«**لا أطالبكَ أن تقبل عَرضي، فقط فكر به، ادرسه، ثم اتصل إن أردت التعاون معي**»، أردفت بعد صمت يسير: «**آسفة يا فهد.. أظن أنني تطفلت عليك أكثر من اللازم، لذا إذا لم يصلني ردٌّ منك خلال يومين.. فسأعتبر هذا رفضاً نهائياً لعَرضي.**»

رد فهد التركي مستغرباً: «**وإذا رفضتُ العرض.. فماذا سيحدث؟!**»

ابتسمت غادة، وركزت نظرها على عينيه: «**بالطبع.. لن يحدث أي شيء، صديقي فهد.. يبدو أنك فهمتني خطأ، لم أكن أهددك، أخبرتُك أنني بلغتُ حداً لا أستطيع معه التراجع، ليس لدي ما أخسره الآن، فقط.. سأبحث عن طريق آخر لإيصال رسالتي.**»

تأمل عينيها، يحس أن لهما قوة جاذبة، عيناها تتوسلانه، لا أجمل من عينين فاتنتين تتوسلان: «**الحقيقة..هذا عرضٌ خطير، لا أدري ماذا أقول، ليس لدي إجابة الآن.. سأفكر في الموضوع جيداً.**»

«**تذكر يا فهد.. يجب ألا يعلم أحد عن عرضنا هذا، وإلا سأفقد حياتي**». بغير اقتناع، هز فهد رأسه موافقاً.

أردفت غادة: «**إذا أردتَ التواصل معي، أرجو أن تتصل على هذا الرقم، هاتفي الآخر مراقب، الحقيقة.. لست متأكدة تماماً، ربما يكون مراقَباً.**»

٤

كانت سيارتهما تعبر طريق الملك فهد، متجهةً نحو الجنوب، صوب المركز الإداري والتجاري لمدينة الرياض، حيث إمارة المنطقة، وأمانتها، ومحاكمها: «**من الذي أدخل الفكرة في رأسك؟ لا أعلم سبباً منطقياً يجبرك على تعريض نفسك لكل هذا النكد.. وفي مثل هذا الجو الملتهب؟!**»، قال عماد اليوبي.

«**هذا الملف يؤرقني، أريد أن أعرف الصورة الحقيقية.. الصورة كما هي**»، قال فهد التركي بنبرة جدية.

«**بعض المتحمسين يحاول تصوير البلد.. وكأنه غابة إفريقية، يبالغون، ربما بحسن نية، لست أدري!**»، قال عماد.

المرة الأولى التي تعرّف فيها **فهد التركي** على الشاب **عماد اليوبي** كانت قبل سنتين، نشأ بينهما ودٌّ إلكتروني، من خلال مواقع التواصل الاجتماعي، ثم انضم إلى ديوانيته الأسبوعية، وصار بينهما صحبة مستمرة، عماد اليوبي.. طالبٌ في السنة الأخيرة من المرحلة الجامعية، يدرس الإعلام في جامعة الملك سعود، ورغم تعدد لقاءاتهما.. إلا أن فهد ما زال يشعر أنه لم يفهمه بشكل كامل، ولا يمكنه التنبؤ بردات فعله، شخصيته تحمل جانباً من الغموض، والتقلب، أحياناً يفاجئه بحلق شنبه وذقنه معاً، وأحياناً يبقيهما سوياً، يُغيّر نمط شخصيته بشكل مستمر، يدّعي أنه يكره الرتابة حتى في

أصغر صورها، كما إنه لا يحب الحديث عن نفسه، أو عن أسرته!

ورغم كل ذلك.. فإن فهد ارتاح له كثيراً، وصار يميل إلى مجالسته، واصطحابه في بعض تنقلاته الخاصة، فقد أُعجب بشخصيته الغريبة، كما أُعجب ـ من قبل ـ بنشاطه الاجتماعي، وجرأته في نقد الأخطاء العامة بشكل علني.

أشار فهد التركي: «**هذا هو حي العود، سننعطف يساراً، وسنرى الواقع من دون وسيط**».

ثم أضاف: «**ستحس بأنك من أهل الجنة**».

«أهل الجنة؟!»

«سيتذكر كلامي، هذا الذي دفعني للخروج»، قال فهد التركي في نفسه، ما زال يتذكر المرة الأولى التي لامسته هذه المشاعر السماوية، قبيل سنوات، حينما رافق أحد أصدقائه إلى زيارةٍ لدار أيتام شرقي الرياض، أحس بوحشة أول الأمر، بأنه لا ينتمي للمكان، لكن حينما تجرأ، حينما اقترب من الأيتام الصغار، ومسح على رأس أقرب واحد إليه، أحس بشيء غريب ينتقل إلى جسده، كان ينظر إلى يده وهي تتحرك ببطء على رأس ذلك اليتيم، يتفحص عينيه الخائفتين، نبض قلبه، أحس بشيء يجذبه إليه، يملأ جوفه كله، جاهد دمعاته، لن يسمح لها أن تنطِق، جاء إلى هؤلاء الأيتام ليواسيهم، ليدخل السرور عليهم، لا ليبكي ويبكيهم، وحينما غادر الدار، حينما أوى إلى فراشه تلك الليلة، أيقن أن روحه تعالت كثيراً، تنفست إكسير الخلود، وامتزجت بشيء علوي غريب!

«**مستحيل.. لن يوقفني أحد**»، قال فهد.

«**فهد.. عن ماذا تتحدث؟ ومن الذي سيوقفك؟**»

في لحظات التجلي، وبعد أن يقرأ حفنة من أخبار الصامدين، من أخبار المناضلين العِظام، الذين أفنوا حياتهم من أجل رسالة آمنوا بها، لأجل أن تبقى راياتهم عالية، حينما يقرأ ذلك كله.. سرعان ما تغزوه خيالات البطولة، والصمود، تتسامى روحه عالياً، يرخص حينها كل شيء، تتضاءل في عينيه كل عوامل الجذب الدنيا: « **إنما هو سوط أو سوطان.. ثم لا تدري أين يقع الباقي**»، تذكر فهد هذه الكلمة الخالدة، حرارةُ السوط الأول هي ما سيوجعه، ثم ينعم بعدها بالانتصار الكبير.

تأمل هذا الموضوع كثيراً: «**هل حقاً سأستطيع تحمّل كل الخسائر؟**»

فكر في كل ما يمكن أن يعترض طريقه؛ تقييد حريته، العيش منفرداً في زنزانة كئيبة، ملاكه.. هل سيصبر على فراقها؟ على تركها تعاني وحيدة؟

حياة التعب.. هل سيُطيق؟

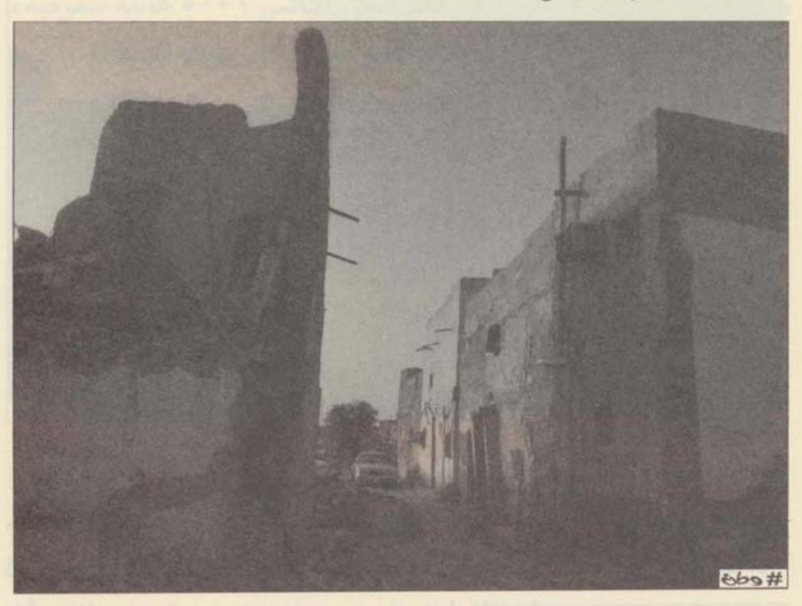
تحسس قلبه، ليس متأكداً أنه يحمل بين جنبيه قلبَ مناضل، سيخذله ضعفه، وسيجنح نحو السكون والراحة، ليس متأكداً من أي شيء، أحياناً يستهين بكل ذلك، ويحس بقوة تدفعه نحو صمودٍ سماوي، وأحياناً ينحني أمام ضعفه البشري.

المناضل؛ حينما يركب الأهوال، حينما يقتحم الأسلاك الشائكة، فإنه يظل يسترخص كل ثمن، ينظر إلى غايته البعيدة، لا يصرفه عنها شيء، إلا شيئاً صغيراً في مخيلته، يبقى مشوشاً، مضطرباً.. حتى يتم تأمينه، يظل يفكر في انكشافه، في انكشاف رواحله، في زوجته.. في عشه الصغير!

تذكر أمه الراحلة، استجداءاتها المستمرة: «**إنهم لا يرحمون يا ولدي!**»

بمحاذاة **مقبرة العود** الشهيرة.. أوقف فهد التركي سيارته، وجعل يتأمل **حي العود** في صمت مذهل، مبانٍ شعبية قديمة؛ تتكدس داخل الحي، بعضها مبنية من **الطين**، وبعضها من الطين المغطى بالإسمنت، نزل من سيارته، مصطحباً كاميرا تصوير، دقق النظر في تلك الأبنية المتهالكة، أحدها لا يتجاوز عرضه ٤ أمتار، شوارع الحي الداخلية بالكاد تمر فيها السيارة، بعضها مسدود بسبب الجدران المنهارة، أو بقايا النفاية المنتشرة في كل مكان، لا يوجد شوارع حقيقية، نظر إلى امتدادها، إلى منتهاها؛ أزقة ضيقة، نصف مرصوفة، تنتشر الحفر الموحلة في كل مكان، بعض الأسقف من الخشب، «**كيف يعيش مثل هؤلاء؟**»

التقط عدة صور، ومن زوايا مختلفة[1]:



(١) تم التقاط هذه الصور من حي العود بالرياض، وهي من تصوير كاتب الرواية.

توغّلا في الحي أكثر، كان عماد اليوبي يُطلق تعابير الدهشة: «**مستحيل.. لا يمكن أن يكون سكان هذا الحي سعوديون!**»، كان يلتقط صوراً بهاتفه المحمول، ويدوّن بعض الملاحظات السريعة، أخرج منديلاً من جيبه، أجواءٌ ملتهبة: «**هم على الأرجح عمالةٌ غير نظامية، مستحيل.. أن يعيش سعوديون في مثل هذه الأماكن!**»

رد فهد ساخراً: «**طبعاً.. السعوديون كلهم أثرياء، كل عائلة لديها حقلُ نفطٍ خاص، ويتسكعون في شارع الشانزلزيه كل صيف!**»



بدت أمارات الحزن تحتل وجه فهد، حزنٌ مُحاصر، دمعات حبيسة، ولّدها وحبَسها قهر لا ينتهي: «**كلا يا صديقي، هناك وجه مُتعَب للسعوديين، هناك صفحة منسية، آلام مدفونة، عشرات آلاف من الأسر السعودية.. تعيش تحته، تحت خط الفقر!**»

لفت نظرهما منزلٌ شبه قائم، آثار الزمن بادية عليه، نصفه مهدوم،

سوره الخارجي بالكاد يتوازن على الأرض، أحد الأطفال خرج منه، نظر فهد للأعلى، جهاز تكييف واحد، وجهاز استقبال فضائي، إذاً.. هناك من يعيش في هذه الخربة، تدفقت إليه دمعاتٌ موجعة، يريد أن يقول شيئاً، أن يعبر عن عواصف مكبوتة داخل صدره!

رأى أحد سكان الحي يتوسط أطفاله، كان واقفاً عند باب بيته الخرِب، على وجهه ألف بؤسٍ وبؤس، لما رأى الكاميرات، رآهم متجهين إليه، قام من فوره، صرخ في صغاره الذين يلعبون أمام البيت، أمرهم بالدخول إلى المنزل، ثم اختفى خلفهم: «**هل نحن مزعجون؟ أم هي كرامة المتعففين؟**»

أخرج فهد التركي ورقة من جيبه، دوّن عليها سابقاً بعض الملاحظات، وقال مخاطباً عماد: «**يعيش في هذا الحي البائس ٥٠٠٠ عائلة سعودية، تخيل يا عماد.. ٣٤ بالمئة من تلك الأسر تعيش في بيوت طينية!**»

«**٥٠٠٠ عائلة سعودية؟!**»، قال عماد، ثم أضاف مستنكراً: «**وفي بيوت طينية أيضاً؟!**»

«**غير معقول يا فهد! أنت تبالغ كثيراً!**»

«...»

أردف عماد اليوبي بعد صمت ثقيل: «**ولكن كيف عرفت أنهم سعوديون؟!**»

«**رسالة دكتوراة يا عماد.. دراسة مفجعة، قرأتُها مرتين، وفي كل مرة أخرج بأكوام لا تنتهي من الألم!**[٢]»

---

(٢) رسالة دكتوراه للباحثة د. عزيزة النعيم، بعنوان: «الفقر الحضري»، جامعة الملك سعود بالرياض.

استند فهد إلى سيارته، وتحدث باسترسال عن الكتاب، ومؤلفته، أخبره أن الباحثة قامت بزيارةٍ لأحياء العود ومنفوحة والصالحية، وقابلت ٤٠٠ أسرة سعودية، ثم خرجت بتصور مخيف عن الأسر السعودية الفقيرة: «**تَصور.. بجوار هذه المقبرة التي تدخلها المواكب الفخمة باستمرار؛ ٤٠ بالمئة من الأسر السعودية لا يملكون سيارة!**»

«تَعلم بالتأكيد ماذا يعني أن تعيش في السعودية من دون سيارة.. في ظل انعدام وسائل النقل العام!»

عاش فهد في الرياض سنوات عديدة، لام نفسه كثيراً؛ كيف لم يفكر بأن يطّلع على أحوال الطبقة المنسية، أن يتحول من الحديث الإلكتروني المجرد إلى العمل الميداني، أن يبذل ولو جهداً بسيطاً في التعريف بقضيتهم، وإشاعة معاناتهم!

خطرتْ في ذهنه فكرة!

فتح برنامج «**الخرائط**» في هاتفه المحمول، كتب في خانة البحث عبارة: «**إمارة الرياض**»، ثم ضغط على زر البحث، فظهر موقع الإمارة على الخريطة بشكل دقيق، ثم قام بحساب المسافة الفاصلة بينها وبين مكانه في طرف حي العود..

أذهلته النتيجة!

أعاد البحث وكتب عبارة «**أمانة الرياض**»، ثم «**قصر الحكم**»، وفي كل مرة تخرج نتيجة مفزعة، فقد كانت المسافة التي تفصلهم عن هذا الحي البائس.. هي أقل من **٢ كلم** فقط!

هز فهد رأسه متأسفاً، هذا الحي المسحوق يقع وسط مدينة

الرياض، وبالقرب من مركزها الإداري والتجاري.. ثم لحقه كل هذا الإهمال، والفوضى، تساءل: «**كيف سيكون حال الأحياء المنسية هناك.. في الشمال والجنوب؟!**»

«**هل سمعتَ يوماً بمصطلح الحقد الأسود؟**»، قال فهد التركي بألم..

يريد أن ينزوي بمفرده، أن يبكي، أن يتألم وحيداً، كان يرى هذه العذابات الإنسانية.. ولا يستطيع فعل أي شيء، لم يمهل عماد وقتاً للإجابة، بل أردف قائلاً: «**أُقسم يا عماد.. إن قلبي الآن ينبض بحقدٍ وطنيٍّ أسود!**»

٥

اقتربَا من أحد منازل الحي المنكوب، كان يتمنى فهد أن يدخله، أن يتعرف على ساكنيه، أن يتلمس حاجاتهم، أحزانهم، دموعهم التي لم يعد يهتم بها أحد: «**لو كنتُ أملك المال؛ لأسرفت في إسعادهم!**»

كثيراً ما يتأمل وجوه الفقراء، البائسين، يتفحص معالمها، هل بها شيء مختلف؟ بعض الأحزان تطبع ندوباً على وجه صاحبها، وبعضها تحفر عليه أخاديدَ طويلة، والبعض الأخير يهشِّمها تماماً.. كان يُقسم إنه رأى الأصناف الثلاثة فوق تراب وطنه!

ذات ليلة؛ ما زال فهد يتذكر ملامحها جيداً، حين امتلأ جوفه بحقد أسود غريب، كان يتحدث مع صديق لبناني، يعمل في **مؤسسة سياحية**، كانت أول ليلة يتذوق فيها طعم هذا الحقد الأسود.. بكل هذا القدر من المرارة، أخبره صديقه؛ أن ابنةً لأحد النافذين تعاقدت معهم بمبلغ خرافي، ملايين الريالات في ثلاثة أسابيع قضتها في أوروبا، كانت تصرف مئات الآلاف يومياً، وبقدر زائد من الإسراف المستكبر!

«**أُقسم إن ضيقاً اعتراني، لفّ كياني كله.. وأنا أستمع لتفاصيل لهوها في منتجعات أوروبا، لمقدار بذخها الذي تنثره في كل اتجاه، هذه الملايين التي تنغمس فيها هذه الفتاة، ووالدها من قبل: لي فيها**

نصيب، لي فيها حق، لست أنا فحسب، بل لهذه الطفلة الفقيرة، لهذا الجدار الآيل للسقوط، لهذه النفايات المتراكمة، لهذه البيوت الطينية التعيسة، لعائلةٍ لم تجد ثمناً لجهازِ تكييف، لطفلةٍ ماتت من صقيعِ الشمال؛ دون أن تجد مئة ريال ثمناً لجهاز تدفئة..»

«بل لكل شاب سعودي عاطل، لكل فتاة ما زالت تنتظر وظيفتها منذ سنوات، لكل من يعيش تحت رحمة راتبه الشهري.. لهم نصيب من أموالها، من ترفها، من بذخها كله..»

«لعجز العاجزين، لدمعات الباكين، لكل سعودي أشعث أغبر، لكل سعودي يعاني ويتألم.. لهم كلهم حقٌ ونصيب، لم يتنازل عنه منهم أحد، لم يتنازل عن الحق التاريخي أي أحد!»

«سحقاً لها، إنها تبدد أموالنا فوق جبال الألب ولا تبالي..!»

لم يحتمل، له رغبة ملحّةٌ بالصراخ، بإخراج شيء يعتمل في صدره، انتبه أنه كان يشد هاتفه المحمول بعنف: **«يالله.. إنه الحقد الأسود يملأ جوفي من جديد!»**

لم يحتمل المكث في السيارة، نزل منها، تبعه عماد اليوبي، لم يتحادثَا منذ وقت طويل، ليس وقتاً مناسباً للحديث، إنه وقت العذابات القلبية، وقت الشعور بالعجز، بالتضاؤل، تجوّلَا بين المنازلِ الأقفاص، لمح فهد حجراً في طريقه، حجراً بائساً، ركله بأقوى ما يستطيع، قُدِّر لهذا الحجر المنكوب أن يعيش في هذا الحي، أن يكون شاهداً على بؤسهم، وحزنهم، وشاهداً.. على خذلان الجميع لهم!

«هذه المترفة؛ لم تحصل على كل هذه الملايين بعرق جبينها، ولا بذكائها، ولا بذكاء والدها الاستثماري، كلا.. إنما اقتيدت كل هذه

الملايين مرغمةً إلى حسابها البنكي، وهي مستلقيةٌ في بيت أمها!»

فكر فهد؛ ليس عيباً أن يكون هناك فقراء في السعودية، ولم يطالب أن يُمحى الفقر بشكل نهائي، فالفقر موجود في كل زمان ومكان، وهو قرين للغنى، لكن المفارقة العجيبة.. أن تتعاظم نسبة الطبقة الفقيرة، وتتصاغر معها الطبقة المتوسطة، في الوقت الذي تصل فيه ترليونات النفط إلى أرقامٍ فلكية!

أفزعته نغمة هاتفه المحمول، وأخرجته من عالمه التأملي الجميل، رغم مرارته إلا أنه صار يستطيب آلامه، كان الرقم غريباً، رد عليه بعد تردد، كان موضوعه مفاجئاً له، **رئيسُ تحرير** إحدى الصحف الورقية، اتصل به معتذراً، استغرب فهد لغته المهذبة، الموغلة في التأسف، شك في نفسه، فقد أرسل لهم مقالاً قبل عدة أيام، فرفضوا نشره، فكتب فوراً في حسابه بتوِيتر القصة باختصار، ثم نسي الأمر، ولم يعد يهتم به!

وهو الآن يعتذر منه، ويدعوه لكتابة مقال أسبوعي!

مفارقةٌ عجيبة!

بحث عن سبب منطقي لذلك، هل هي مواقع التواصل الاجتماعي؟ هل صارت ترعبهم إلى هذا الحد؟ أحدثتْ فرقاً في العالم العربي، أسقطت أنظمة وكيانات عسكرية، فلماذا لا تأتي بمدير التحرير معتذراً؟

لديه ٥٠ ألف متابع في تويتر، هم سلاحه الوحيد في التصعيد، ولا يملك سواه.

عاد إلى تأمل خرابات حي العود، وإلى قراءة بعض الإحصائيات الموثّقة، والتي دوّنها في ملاحظاته، قرابة نصف سكان هذا الحي

يعيشون على صدقات المحسنين، ومساعدات الجمعيات الخيرية، تذكر دراسة ميدانية أخرى تفيد أن غالبية آباء المنحرفين هم من الأميين، وتقطن أسرهم في مثل هذه المساكن الشعبية، وغالباً ما تستخدم هذه الأحياء الفقيرة كمسرح لتنفيذ جرائم القتل، والاتجار بالمخدرات، والخطف، وغيرها!

كان فهد يتمتم بكلمات متتابعة، أثارت دهشة عماد اليوبي الذي كان يراقبه بصمت، سأله عماد مستغرباً: «**من هي رواندا التي كنتَ تردد اسمها قبل قليل؟!**»

لم يجبه، بل اتجه صوب الغرب، وفي قلبه شعلةُ أملٍ صغيرة، يحوطها طوفان عظيم من اليأس والإحباط، وقال: «**رواندا.. من هنا، من وسط الرياض، من خلف كل هذه الأوجه الكالحة: أبعث لك أجمل تحية!**»

٦

«**لا تستعجل، يمكنكَ التأكد من صحة وثائقي، اعمل كل احتياطاتك، ولا تنشر أياً منها حتى تتأكد بنفسك**»، قالت غادة الإبراهيم؛ واضعةً أمام فهد مجموعة من الوثائق الخاصة بمجموعة شركات **إس أي يونايتد**، كانت تستعرضها بأناقة، أخبرته أن هذه الوثائق.. ستمثل قوة استثنائية في صراعه مع جاسر السليمان، وشركته، تحدَّثا طويلاً، كان فهد يدقق في معصمها، شغلته حركته، ساعتها البيضاء مع خاتمها الأحمر.. شكّلا منظراً بديعاً، جعَلا لجمالها حركة، وهجاً متنقلاً، يضيء كلما حركت يدها، لم تكن تضع مكياجاً كالمرة الماضية، ربما كان مكياجاً خفيفاً: «**صارت أجمل**»، حدث نفسه.

أصرّ أن يكون اللقاء في مكان عام، في أي مكان فيه حواجز ساترة، لا يريد أن يخسر من سمعته، أدرك أنه يفعل شيئاً محظوراً، تأتيه خطرات نفسية لائمة، تحاول أن تثنيه عن ذلك، إلا أنه رغم ذلك.. أقنع نفسه أنه في حاجة لها، وللأخبار التي ستسرِّبها، ولن يسمح لنفسه بتجاوز الحدود!

اختارت مقهى **جافا تايم**، بحي الحمراء، مقهى أنيق، وساتر عن أعين الفضوليين، طلبتْ لهما مشروب **النيرفانا**، مناسبٌ لأجواء المفاوضات، والصداقات الجديدة، سألها فهد التركي: «**ما هو الثمن الذي تنتظرينه مني؟!**»

«**لم أفهم**»، توقفتْ عن تناول المشروب، وضعته على جانب الطاولة، وأقبلت بجذعها إليه، فاجأها سؤاله، خلفه عدة احتمالات، بعضها خطير وحساس.

«**أقصد.. هذه وثائقٌ مهمة، وحساسة، وتسريبها لي هكذا من غير ثمنٍ تطلبينه.. غير مقنع على الإطلاق!**»

«**فهد.. أظنكَ لم تقتنع حتى الآن بحقيقة دوافعي، معك حق، لكنك ستكتشف أنني لا أريد سوى كشف حقيقتهم، وليس شيئاً آخر**»

توقفت غادة عن الحديث، تريد معرفة أثر كلامها عليه، ثم أردفت:
«**وكما أخبرتك.. لدي معهم خصومة، وبالتحديد مع جاسر السليمان، أهانني أمام الجميع، ثم قام بفصلي من الشركة بشكل تعسفي، وأشاع عني أشياء لا تليق بمنصبه الكبير!**»

«**ولماذا لا تقومين بنشر هذه الوثائق بنفسك؟!**»، سأل فهد.

تحدثت بإسهاب، أخبرته كم كانت تتمنى أن تكشف بنفسها حقيقة هذه الشركة ـ الإمبراطورية، ومقدار تنفذ جاسر السليمان في مفاصلها المالية والإدارية: «**المجتمع يتقبل من الناشطين الاجتماعيين أكثر، سيتم التشكيك بكل ما سأقوله، ستُعتبر مجرد تصفية حسابات مع شركتي القديمة، كما إنني.. لستُ مشهورةً مثلك لأخلق منها قضية رأي عام، فلديك عشرات الآلاف من المتابعين.. بالإضافة إلى سمعتك ونزاهتك الشعبية العريضة**».

أضافت غادة: «**وبالمناسبة؛ أنا أتابع حسابك في تويتر.. الحقيقة أنك كشفت أشياء عظيمة عن سُرّاق الوطن كما تسميهم، وبالأخص عن جاسر السليمان وفساده المالي، لكن.. لا بد أن تعلم أن ما كتبتَه لا يمثل ولو شيئاً يسيراً عن حقيقته.. أنا من صميم إدارة هذه**

الشركة.. وهذه الوثائق ستفيدك حتماً»، ابتسمت.. معلنةً انتهاء إجابتها، تمنت أن يكون حديثها مقنعاً.

استأذنتْ للانصراف، سائقها ينتظرها في الخارج، قالت مودعة: «**كما قلت لك.. لا تنشرها حتى تتأكد من صحتها من طرف ثالث.**»

زفّها فهد بناظريه حتى غابت.

غادرت المقهى، وبقي عطرها وسحرها يتجولان، لا يدري لماذا تمنى أن تبقى معه أكثر، أن يُنصت لحديثها، لضحكتها العذبة!

استعرض كل حركة قامت بها، كل تعبير، كل كلمة، أول ما جلست أمامه، وضعت نظارتها الشمسية على الطاولة، نزعت خمارها، ثم وضعت حقيبتها الصغيرة بجوارها، تذكر كل تلك التفاصيل، كان يظنها تستعرض أول الأمر، حتى قالت: «**اعذرني يا فهد.. هذه عادة قديمة لي، لا أحتمل الجلوس حتى أنزع كل هذا.**»

انتبه لنفسه، تراءى وجه ملاك، زوجته المتعبة، هل نسيها بهذه السرعة؟ شعر بتضاؤل، وتأنيب ضمير: «**يجب أن أُنحي عواطفي جانباً.**»

يمتلك فهد شخصية قوية، ممزوجة بحذر كبير، صاحب علاقات اجتماعية واسعة، اكتشف بعد تخرجه من الجامعة أن لديه حدساً صحفياً عالياً، يحب الإثارة، والسبق الصحفي، حاصلٌ على بكالوريوس إدارة الأعمال من جامعة الملك سعود، يعمل في إحدى شركات القطاع الخاص، اشتغل مراسلاً صحفياً لعدد من الصحف الإلكترونية، ثم استقل عنها وتفرّغ لكتابة المقالات، والكتابة في مواقع التواصل الإلكتروني، تمنى لو درس الإعلام ليحصل على قاعدة علمية رفيعة، له جماهيرية واسعة، يتبعه في تويتر أكثر من ٥٠ ألف شخص، حققها أخيراً بعد دخوله في سجالٍ

حقوقي مع بعض الجهات النافذة، وقيادته لعدد من الحملات الاجتماعية الناجحة.

بعد لقائه الأول بغادة؛ تحول فهد التركي إلى شخصية استخباراتية، قام بالتحري والسؤال عن جميع تفاصيل حياتها من حيث لا تعلم، حصل على معلومات كافية لاتخاذ قرار في إمكانية التعاون معها، علم أنها في نهاية العشرينيات، غير متزوجة، تسكن مع والدتها في حي غرناطة شرقي الرياض، ولديها شقيقان متزوجان، تعمل في شركة إس أي يونايتد، بحث عن اسمها في الشبكة العنكبوتية، لم يجد شيئاً، سوى تصريح مقتضب يخص إحدى المبادرات الخيرية للشركة.

كما تأكد له من مصدر مطلع داخل الشركة.. أن علاقتها برئيسها جاسر السليمان ساءت في الفترة الأخيرة، ويتردد الحديث أنه تم فصلها من دون حقوق، كما تم إصدار أوامر بمنع دخولها جميع فروع الشركة.

التقط فهد هاتفه، متصلاً على أحد أصدقائه، يعمل محامياً في شركة خاصة، ولديه شبكة علاقات واسعة داخل أروقة المحاكم، بادره المحامي قائلاً: «**والله إنني آسف يا فهد.. لقد نسيتُ أن أخبرك، نعم.. هناك قضية مرفوعة من شركة إس أي يونايتد.. ضد غادة محمد الإبراهيم، إذا أردت رقم القضية ومعلومات أكثر عنها، سأرسلها لك بعد قليل**»

«**نعم أرسلها لو تكرمت.**» ابتهج فهد، بين يديه غنيمةٌ عظمى، لم يكن يتوقع أن يقف الحظ في صفه هذه المرة، فلديه الآن مصدر معلومات قوي ومؤثر.. ومن داخل أسوار هذه الشركة الضخمة.

٧

في المقعد الخلفي لسيارة أجرة؛ كان **مجهد** جالساً في صمتٍ تأملي، ممسكاً جهازه الآيباد بكلتا يديه، مُركزاً في الوثيقة الظاهرة أمامه، تتحرك عيناه بحدة، تدقق في اسم **صاحب الصك**، في الأرقام الفلكية التي تظهر في الأسفل، انقطع عن العالم الخارجي، هذه الوثيقة ستحرك رواكد كثيرة، وتكشف طرفاً من اللغز الشعبي المغيَّب، الذي يقف خلف غلاء الأراضي الفاحش..

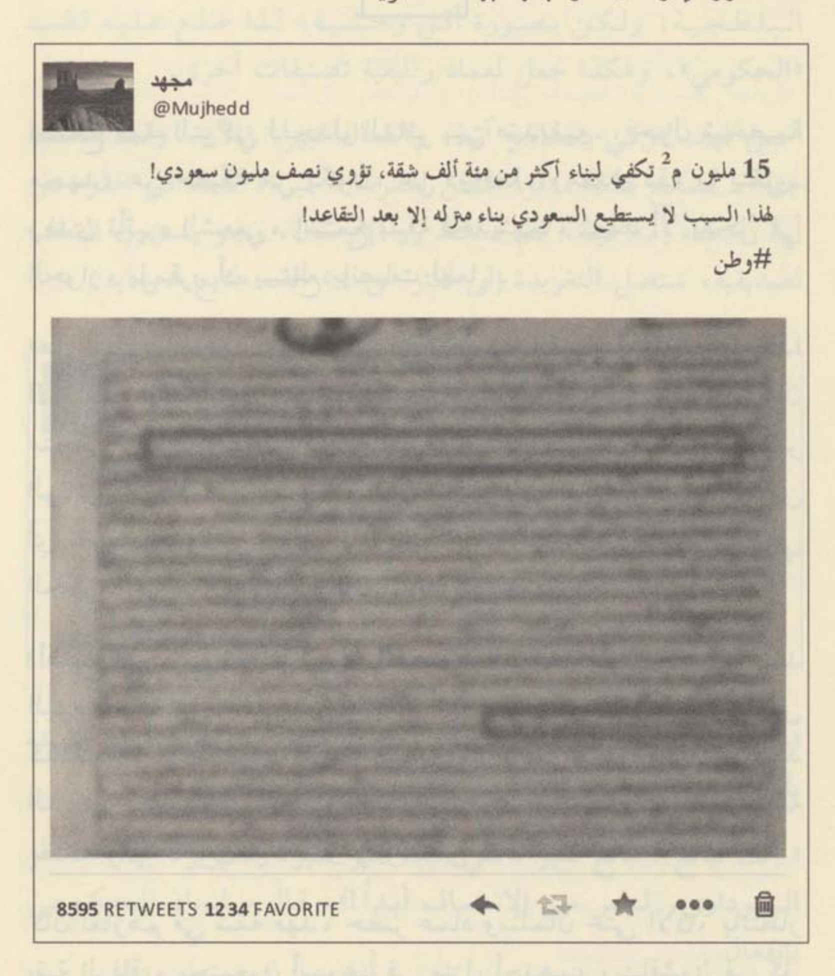
مرة أخرى؛ استعرض مجهد صورة الصك، لم تفارقه الابتسامة منذ أن وقع بين يديه، أرضٌ سكنية مساحتها ١٥ مليون متر مربع، يبلغ طولها ٥ كلم وعرضها ٣ كلم، تعادل مساحة حيٍّ ضخم، استحوذ عليها **عبد الإله بن سلّام** بحجة الإحياء، ثم باعها بعد سنوات بأكثر من ٤ مليارات ريال؛ باعها على الشعب!

قام مجهد بعملية حسابية صغيرة: فإذا كانت مساحة التخطيط التي سيتم سحبها هي ما يعادل ٣٣ بالمئة من مساحة المخطط الإجمالي، وهي تمثل مساحة المرافق الخدمية، والمساجد، والشوارع، وغيرها، فيتبقى ما يقارب ١٠ ملايين متر مربع، تسمح ببناء أكثر من ٢٥ ألف عمارة سكنية!

قرر أخيراً نشر هذه الوثيقة، بعد أن بذل جهداً كبيراً للحصول عليها:

«١٥ مليون متر مربع.. ستكشف فقط جزءاً صغيراً من الحقيقة!»، حدث نفسه

ضغط زر الإرسال، وأتبعها بهذه التغريدة:



٨

استمع فهد التركي للجدل الدائر بين صديقيه.. حول شخصية مجهد، عن حقيقة من يكون، عن دوافعه، ومقدار دقة ما ينقل، ومدى تأثيره الشعبي، استمع بدقة لحديثهما، تعمّد ألا يدخل في الحوار، بل قرر أن يستمع بإنصات لهما..

«**هل أسلوب مجهد.. سيساهم في تخفيف الفساد لدينا؟ وهل هذا الأسلوب الفضائحي مناسب للبيئة السعودية؟**»، قال **سلمان**، كان متحفزاً وهو يدافع عن وجهة نظره، منتقداً طريقة مجهد في نشر الوثائق على الملأ، يسمونه **سلمان الحكومي**، لديه مواقف حادة من أي تغيير اجتماعي، وهو نسخة مخففة من والده الذي خدم في الحكومة قرابة ٣٥ سنة، وكان شديد الولاء لها.

«**أصبح الجميع تحت نيران القصف، لم يعد لأحدٍ حصانة بعد اليوم.. مساكين.. لم يدركوا بعد أننا دخلنا موسمَ الربيع.. أليس كذلك؟**»، قال الشاب عماد اليوبي شامتاً، موجهاً حديثه لفهد التركي، يرغب في تحفيزه للدخول في حوارهما، هز فهد رأسه معلناً موافقته لرأي عماد، ولم يزد على ذلك.

كان لقاؤهم في شقة فهد، حضر عماد وسلمان حتى الآن، بانتظار بقية الرفاق، يجتمعون أسبوعياً في منزل أحدهم، ويتناقشون في كل شيء، من دون ترتيب ولا تكلف، لقاءٌ امتد منذ سنوات، له نكهة

خاصة، وسجالات فكرية لا تنتهي، أصبح فهد يألف هذا الاجتماع الأسبوعي أكثر من أي شيء آخر، وصار يُصنِّف كل واحد حسب قربه وبعده منه، يصنف نفسه أنه وسطي، يميل إلى الاستقلال، المشوب بنزعة ثورية تظهر من حين لآخر، أما سلمان فهو في عداد البلطجية، ولكن بصورة أقل وحشية، لذا خلع عليه لقب «**الحكومي**»، وهكذا جعل لعماد وللبقية تصنيفات أخرى.

أحس فهد التركي بحماسةٍ آنية، وانفعال كبير: «**الآن.. وقت مناسب جداً**»، تصفح هاتفه، قرأ النص للمرة الأخيرة، تأكد من خلوه من أية أخطاء إملائية، ثم ضغط زر الإرسال، وهو يسترق النظر لصديقيه، ستصل التغريدة إلى أكثر من ٥٠ ألف متابع لحسابه:



أرض مساحتها نصف مليون م^2، استحوذ عليها أحدهم بحجة الإحياء، بعد علمه بإقامة مشروع حكومي عليها، ثم باعها على الحكومة بملايين خرافية!

#وطن

187 RETWEETS 15 FAVORITE

«**سارق الأراضي المليونية هذا.. مجرد مثال بسيط، فالبلد مليئة بأمثاله!**»، قال عماد تعليقاً على تغريدة مجهد الأخيرة.

« **أنت تبالغ.. تبالغ كثيراً، ففي البلد خير كثير، وتصويرنا بهذا المنظر السوداوي.. ليس من الإنصاف أبداً!**»، قال سلمان الحكومي بانفعال.

نحّى فهد التركي هاتفه، وتجاهل التعقيبات المتتالية على تغريدته،

عدد منهم يطالبه بكشف اسم «سارق الأراضي»، وعدم الستر على أمثاله، ليكون رادعاً لمن خلفه، سيجيبهم لاحقاً، فقد استفزه حديث سلمان الحكومي، ينتابه شعور بالقهر حين يرى شخصاً يدافع عن الفساد بطيب نية، لولا علاقته القديمة بسلمان، وتفهمه لدوافعه النبيلة والبريئة لتقطعت عرى تواصلهما منذ زمن!

«**كلّا لم يكن يبالغ، السارق يجب أن يُنادى باسمه، ويسمى سارقاً بكل وضوح!**»، قال فهد بكل حزم، أشار بيده لسلمان الحكومي؛ طالباً عدم المقاطعة، وأضاف: «**لن أحدثك يا سلمان عن السرقات الكبيرة في بلدي، فقد أصبحت على كل لسان، لكن هل تعرف حي الوسم؟**»

هز سلمان رأسه.

«**تقرر أن يمرّ بهذا الحي موكبٌ لشخصية كبيرة، جميل، ثم ماذا حدث؟ متأكدٌ بأنكم تعلمون..!**»، أردف فهد بعد لحظات صمت: «**بقدرة قادر.. تم إعادة سفلتة الشوارع التي سيمر عليها الموكب، وصبغ أطرافها كافة، أيضاً.. لم ينسوا زرع مجموعة كبيرة من النخيل على الجانبين**»

قال عماد اليوبي ساخراً: «**حتى أصبح الشارع يفتن الناظرين!**»

رد سلمان الحكومي: «**أوافقك أنه تجاوز، لكن بصراحة.. لو كنتَ مكان ذلك المسؤول.. ماذا كنت ستعمل؟!**»

«**مجرد تجاوز يا سلمان؟! بل هو خيانة، وتزييف للواقع، واستهانة بالمواطن**»، أجاب فهد، لاحظ أنه انفعل أكثر مما ينبغي، وبدأ صوته يعلو على غير المعتاد، حاول أن يضبط نفسه، أضاف: «**الحقيقة أن هذه الخيانة تحدث باستمرار، لكن الشيء المفاجئ: أن**

النخيل التي أخبرتكم عنها، التي زرعوها بشكل جميل على الجانبين، أتدرون ماذا حدث لها؟»

«...»

«تصوّروا: بعد انتهاء زيارة المسؤول، قاموا على الفور باقتلاعها من الحي، باقتلاعها من جذورها.. وأخذوها إلى مكان لا نعلمه!»

هز فهد رأسه في أسف، في يده كأسُ شاي، لم يستسغ إكماله، استحال طعمه علقماً: « **بالله عليك يا سلمان؛ هل تعتقد.. أن المواطن السعودي له أدنى قيمة في أعين هؤلاء؟!»**

«أوافقك أنه تجاوز مؤسف، لكن لا يمكن أن نُعمم هذا، ففي البلد خير كثير، أمراء ووزراء ومسؤولون، ونحن على كل حال أحسن من غيرنا»

صمت فهد، تأمل منظر سلمان الحكومي وهو يحدق فيه منتظراً جوابه، فكر قليلاً، يجد صعوبة في إقناع بعض العقليات التي تميل نحو الجمود، وتنفر من أي تغيير، بل تعتبره تخريباً وإفساداً في الأرض: «**يبدو أن عِرقك الحكومي لن يفارقك أبداً، يا أخي هذا فساد يضرب أعماق الأرض، ثم تقول بأننا أحسن من غيرنا!»**

«نعم.. نحن أحسن من غيرنا بمراحل، لدينا إنجازات نفتخر بها، يا أخي انظر إلى التطور المذهل في توسعة الحرمين الشريفين، ومرافق الحج.. هل تنكر أنها إنجازات مذهلة؟!»

«لا أنكر ذلك.. لكني في المقابل أحتسب عند الله كل قطعة رخام، كل بلاطة، كل ذرة حديد شيدت في الحرمين، فلي منها نصيب، ولكل سعودي نصيب»

«لك منها نصيب؟!»

«بكل تأكيد.. فقد بُنيت من بيت المال، مال الشعب، وليس لأحد فضل فيها!»

ثم تحدث فهد التركي بإسهاب، وقال إذا نظرنا للأسفل، لمن هم أقل منا.. فحتماً سنكون دوماً (أحسن من غيرنا)، فدول عديدة مثل ماليزيا وسنغافورة وقطر كانت في يوم من الأيام أقل منا، وكنا ننظر إليها ونردد بأننا أحسن منها، ثم أتى اليوم الذي قفزوا فيه وأصبحوا أفضل منا بمراحل!

علّق عماد اليوبي ساخراً: «**أخشى أن تنقرض هذه الدول التي ندّعي أننا أحسن منها، ثم نتجه إلى أدغال إفريقيا للبحث عن دولة نقارن إنجازاتنا معها**.»

لم يُعلق فهد، بل ارتشف رشفة أخرى من الشاي الذي أمامه، أحس بأن طعمه يزداد مرارةً مع الوقت، حتى ولو سكب لنفسه كأساً آخر فسيزداد مرارة، أيقن بأن السبيل الوحيد لتحسين طعمه هو تغيير مصدر الشاي، وطريقة تحضيره بالكامل، أضاف فهد التركي محبطاً: «**سلمان.. هل سمعت براوندا؟ بتفاصيل قصتها؟ يبدو أنها لم تبلغك حتى الآن!**»

٩

دخلت غادة الإبراهيم منزلها.. تتنازعها مشاعر تفاؤلية حالمة، وأخرى حذرة..

نزعت عباءتها، واتجهت إلى غرفة المعيشة، استلقت على الأريكة في كسل، وألقت معها أثقالاً أتعبتها، تُدرك أنها تمارس لعبة خطرة، لا تعلم كم ستخسر، ولا مقدار ما ستفقد من سمعتها، تذكرت الوثائق التي سرقتها من مكتب جاسر السليمان، شعرت بقلق مباغت، فلديها نسخة واحدة فقط!

«**خطأ كبير.. ماذا لو فقدتُها؟**»، كانت عازمة على عمل نسخة احتياطية، ومن ثم رفعها للشبكة العنكبوتية، ليتم حفظها في مساحة تخزينية مخفية عن الآخرين..

لم تتوقف عن التفكير؛ ماذا لو انتبه جاسر لفقدان هذه الوثائق؟ ماذا لو أمر بتفتيش منزلها؟ حينها سينتهي كل شيء! فزعت لغرفة نومها، اتجهت إلى المكان الذي خبأت فيه الوثائق، في الدرج الأخير، تحت مجموعة من المجلات القديمة: «**الحمد لله**»، وجدَتها في مكانها، لا بد أن تُذهب هذا القلق بعمل نسخة احتياطية.

وجدتْ في جاسر السليمان كل صفات الشخصية الاستغلالية، مع

حفنة بائسة من الاستعلاء والغرور، هو من أَجرى مقابلتها الشخصية مع شركة إس أي يونايتد، كان يبحث عن سكرتيرة سعودية، إلا أنه وجد مؤهلاتها أكبر من مجرد سكرتيرة، وعدها أن يدربها باحترافية لتصبح خلال سنوات شيئاً عظيماً، يحسدها عليه الآخرون، وتصبح المرأة الأولى التي تصل إلى منصب إداري رفيع في الشركة، هكذا كان يقول لها، إلا أنه لم يفِ بعهده، استطاع أن يحصل منها على ما يشاء، ولم يسدد أي ثمن مقابل ذلك.

كانت غادة الإبراهيم مستقلّة بما يكفي؛ لدرجة أنها رفضت عدداً من عروض الزواج المتتالية، درست في الخارج، وتعودت على الاستقلال في الرأي، والحياة السهلة المترفة، يحيط بها مجموعة من الصديقات؛ نفّروها من فكرة الزواج في سن العشرين، إلا أنها ما زالت ترغب في الارتباط بأحدهم قبل نهاية السنة، تريد أن تجْنح نحو الاستقرار، ترى أن السنين تتهاوى خلفها من دون أن تشعر!

تفتخر بشركتها كثيراً، وتحب عملها، وطبيعة المهام التي تقوم بها، إلا أن رؤية جاسر السليمان بات ينكد عليها يومها كله، حمدت الله أنه كثير السفر، لا تعلم ماذا سيكون حالها لو كانت تُصبِّح يومياً برؤية وجهه الموغل في الغرور!

أكثر ما يغيظها في جاسر؛ شخصيته المستكبرة، التي تجعله يتعامل معهم باستعلاء وفوقية، مختلطة بمزاج متقلب غريب، طردها من مكتبه مراراً، ولأسباب غير مفهومة أحياناً، يفعل ذلك مع كثير من موظفيه الذين هم دونه مرتبة، كان ينظر إلى أحدهم بعينٍ مستصغرة، ثم بكل هدوء؛ يطرق بسبابته على الطاولة ثلاث

طرقات، ويشير إليه بطرف عينه أن يتوقف عن الحديث، وأن يخرج في الحال!

كانت تنزعج حينما يردد أنه هو صاحب الفضل عليها، وأنه من قام بتوظيفها، وتدريبها، كان كثيراً ما يمنّ عليها حدَّ الإذلال، ما زالت تتذكر أنه هدد بفصلها، فعلها مرتين، لكنه هددها تحت تأثير الغضب، هكذا كانت تحاول التخفيف من فزعها: «**ولكن مَن يستطيع منعه مِن إنفاذ تهديده؟**»

تتذكر تفاصيل المشهد الذي سرقت فيه الوثائق من مكتبه، قامت برشوة عامل النظافة ليقوم بإعطائها نسخة من مفتاح مكتبه، بذلت جهداً مضاعفاً لإقناعه وتبديد مخاوفه، ما زالت تتذكر اللحظات العصيبة التي قضتها تفتش بين ملفاته الخاصة، لم تعتد في حياتها على فعلٍ كهذا، تصببت منها أطنان من العرق، هكذا كانت تتخيل، قامت بتشغيل جهازه المحمول، حاولت أن تتذكر رقمه السري، كانت تسترق النظر إليه مراراً حينما كان يقوم بإدخاله: «**يبدو أنه قام بتغييره.. تباً له!**».

في الخزانة الرئيسة، وجدت عدداً من العقود الوهمية، وعدداً من التسهيلات المالية التي كان يقدمها لمجموعة من المسؤولين الحكوميين وبعض المتنفذين..

لم تكن تقصدها، كانت تبحث عن شيء آخر.. أكثر أهمية من ذلك بكثير!

اتجهت إلى خزانته الشخصية، تمنّت أن تجدها فيها..

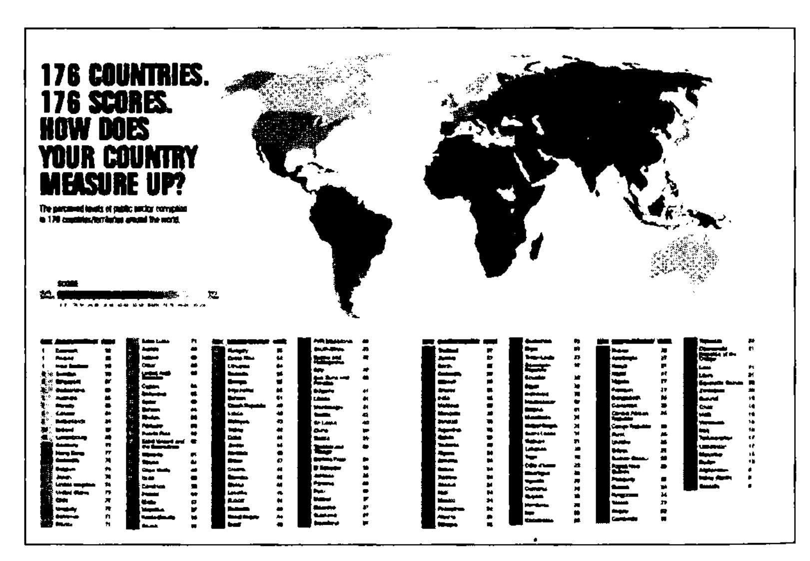
وحين رأتها ماثلةً أمامها؛ باغتتها رجفة صغيرة، لم تتوقع أن تجدها بهذه السرعة، يبدو أن جاسر كان يثق في كل من حوله، لدرجة أنه لم يتخذ أية إجراءات احترازية، ولم يكلف نفسه حتى بإغلاق الخزانة!

«**أحمق.. مغرور**»، تمتمت غادة بعد حصولها على تلك الوثائق الخطيرة، والمتعلقة بتفاصيل الفضائح المالية **للمشروع القومي الكبير**.

١٠

« **لا يذهب بالك بعيداً، رواندا ليست فتاةً شقراء تخطف الأبصار**»، قال فهد التركي ضاحكاً، وهو يتابع نظرات عماد المستفهمة: «**سأخبرك بقصتها كاملة كما وعدتك، لكن ليس قبل أن تشرب كأس العصير الذي بين يديك!**»

شرع فهد في تصفّح جهازه الآيباد، كتب في محرك البحث عدة كلمات، ثم فتح أحد الملفات، وكبّر الصورة، طلب من عماد اليوبي أن يجلس بجواره، وقال: «**انظر إلى هذه الصورة**»



«ثقافتي إغريقية بحتة.. ماذا تعني كل هذه الطلاسم الأعجمية؟»، قال عماد اليوبي.

«هذا تقرير سنوي يصدر عن منظمة الشفافية الدولية»

شعر فهد أن ذهن عماد قد تشتت كثيراً، يعرف تعابير وجهه إذا أصابته الحيرة، كان يعمد إلى إسناد يده على ذقنه، والنظر إلى أعلى بعينين تائهتين: « **يبدو أنك معلِّم فاشل يا فهد.. طريقة إيصالك للمعلومة تمر عبر دهاليز موحشة!»**

«اصبر معي.. ستفهم كل شيء خلال دقيقتين.»

لخّص فهد فكرة التقرير، أخبره أن **منظمة الشفافية الدولية** تصدر تقريراً سنوياً، يتضمن مؤشراً تنازلياً من ١٠٠ نقطة، ليعطي صورة عن مدى الشفافية ومحاربة الفساد في دول العالم، ويتم تصنيف الدول بدرجات تتراوح بين صفر و ١٠٠ بحيث يشير حصول دولة ما على ١٠٠ درجة إلى سلامة البلد وخلوها من الفساد، بينما يشير الحصول على درجة منخفضة إلى تفشّي الفساد والرشاوى والمحسوبية بشكل كبير في البلد صاحب تلك المرتبة.

وتشمل المعلومات المستخدمة لتركيب المؤشر.. المسائل المتصلة برشوة الموظفين الحكوميين، ورشاوى في مجال المشتريات العامة، واختلاس الأموال العامة، وفعالية جهود القطاع العام ومكافحة الفساد.

«تخيّل.. حصلت السعودية على درجة ٤٤ من أصل ١٠٠، واحتلت المركز رقم ٦٦ بكل جدارة!»

تصفح التقرير بسرعة، ثم أضاف: «**بالمناسبة نحن الأسوأ خليجياً في**

مستوى الفساد لعدة سنوات على التوالي.. قطر والإمارات في المركز الأول خليجياً والـ ٢٧ عالمياً!»

«نتيجتنا مخجلة.. بالفعل!»

تابع فهد ردة فعل سلمان الحكومي كاملة، يريد أن يعرف وقع كلامه عليه، تأمل شعر وجهه الذي ربما لم يهذبه منذ أيام، في دواخله جوانب مضيئة، عفوية، فيه ملامح بريئة، استغلتها الآلة الإعلامية الضخمة، وجعلت منه شخصاً غير الذي كان، قال فهد ساخراً: « **ليس لديك يا صديقي مدخل للتشكيك في صدقية التقرير، فالمنظمة تعتمد في تقريرها على معطيات تجمعها من ١٣ مؤسسة دولية، بينها البنك الدولي، والبنوك الآسيوية والإفريقية للتنمية، والمنتدى الاقتصادي العالمي.»**

قال عماد اليوبي مغيراً دفة الحديث: « **لقد فهمنا أننا فاسدون، وسُراق، ومتخلفون في مستويات الرقابة، والشفافية.. لكن أرجوك يا فهد.. ما علاقة ذلك كله بالسيدة القبيحة، سيئة الذكر.. رواندا؟!»**

قال فهد مبتسماً، وقد خطرت له فكرة طريفة: «**بالمناسبة.. قررتُ أن أجهز عدة نسخ من تقرير الشفافية، وأغلِّفه بطريقة فاخرة، ومن ثم أكتب على الغلاف عبارة (من رواندا.. إليك)، وسأهديها لكل سُرّاقنا الكبار!»**

«**انتظرني دقيقة.. تذكرت شيئاً له علاقة بموضوعنا**»، قال فهد، فتح برنامج تويتر في هاتفه، لديه عشرات التغريدات الجاهزة للنشر، اختار إحداها، ثم ضغط زر الإرسال[١]:

---

(١) قيمة هذه الرشاوى؛ أعلنها المدير العام للبحوث والدراسات الاقتصادية بمجلس الغرف التجارية السعودية.



فهد التركي
@AlturkyFahad

قيمة الرشاوى التي يلدفعها القطاع الخاص 112 مليار ريال سنوياً

تساوي ثلاثة أضعاف رواتب السعوديين بالقطاع الخاص وهي 37 مليار سنوياً

#وطن

595 RETWEETS 134 FAVORITE

أضاف فهد بطريقة جدية: «**سأخبرك بحقيقة رواندا الآن، لكن قبل ذلك: سأقرأ عليك رسالةَ حُزن أثرت فيني كثيراً، وصلتني قبل أكثر من سنة، وما زلت أحتفظ بها في قائمة الملاحظات.**»

طلب عماد اليوبي أن يقرأ الرسالة بنفسه، تناول جهازه الآيباد منه، وشرع في القراءة[٢]:

(...، يارب أموووت !!

أنا خلاص قفلت الدنيا بوجهي!

لا حظّ راضي يتعدل، لا وظيفة، ولا واسطة، ولا شي،كل ماقلنا تقديم.. قالوا واسطة!

وين أروح؟ قولولي.. وين؟؟

أقتل نفسي؟

دورات ما أقدر أدخل.. الأسعار غالية!

---

(٢) الرسالة حقيقية، ولم أتدخل لتعديل لهجتها حتى لا تفسد لغتها العفوية الصادقة، مع الشكر لمدونة حلم أخضر.

وظايف مافيه.. جيبي واسطتك قبل شهادتك!

صديقتي من ٢٠ سنة..سلّكت عمرها، ولا فكرت فيني!

ياارب.. ياارب.. أمووووت وارتاااااح، لأن مكاني مو هنا!

قولوا آمين؛ يارب ما يكمل اليوم إلا أنا بقبري!

قولوا آمين..

رنوش العاطلة)

١١

«رسالةٌ محزنة بالفعل، ولكن ما علاقة ذلك كله بروواندا؟»، قال عماد اليوبي، وقد بدا عليه شيء من التأثر لحال هذه الفتاة البائسة، لامست شيئاً من جراحه، ومخاوفه، ما زال يدرس في الجامعة، ليس لديه شوق للتخرج، ولا لحمل الوثيقة الجامعية، يدرك أنه سيريق كثيراً من ماء وجهه قبل الحصول على نصف وظيفة، تمكّنه أن يعيش ولو بنصف كرامة!

«سأخبرك هذه المرة.. لكن ركز معي نصف دقيقة فقط.. وستفهم بعدها كل شيء»، قال فهد، لديه أسلوب جذاب في التواصل، مع طريقة تمثيلية تضفي على حديثه جانباً ممتعاً: **«لو عُدنا إلى الوراء قليلاً، وبالتحديد إلى سنة ١٩٩٤م، لوجدنا أن رواندا كانت تتسيد أهم حدث استجلب الاهتمام العالمي تلك السنة.»**

لاحَظ أنهم لم يفهموا أي شيء، ولم يزدهم حديثه إلا بُعداً، إلا أنهم في حالة تأهب لسماع بقية الخبر، أضاف قائلاً: **«وبالتحديد.. كانت الأنظار تتجه إلى أدغال إفريقيا، حيث دولة فقيرة بائسة.. تسمى رواندا»**

«شاهَد العالم مذبحة رهيبة بين قبيلتي الهوتو والتوتسي، راح ضحيتها قرابة مليون شخص خلال ثلاثة أشهر فقط، عُشر السكان تقريباً!»

«تخيلوا.. كان يُقتل قرابة عشرة آلاف إنسان في اليوم الواحد!»

قال عماد ضاحكاً: «إذاً.. رواندا التي أزعجتنا بها لم تكن سوى: هذه الدولة الإفريقية الفقيرة!»

غمز إليه فهد التركي ساخراً: «يبدو أنني خيبت آمالك، فلا بد أنك بَنيت لها صروحاً من خيالك الوردي!»

قاطعهما سلمان الحكومي بعد صمت طويل، وقال: «ولكن ما علاقة ذلك بموضوعنا؟! وما دخلنا نحن في رواندا الإفريقية؟!»، نظر إلي فهد مستفهماً، ثم أردف: « إما أنني فقدت تركيزي.. أو أنك كرعت حتى ثملت!»

ابتسم فهد التركي، وأكمل حديثه قائلاً: «كانت كل المؤشرات تدل أن رواندا ستدخل نفق التاريخ المظلم، وستظل في ركب المجاعة الإفريقية لعقود قادمة.. ولكن هل تعلمون ماذا حدث بعد هذه المذبحة الرهيبة؟»

«استطاعت دولة رواندا أن تنهض تدريجياً من مذبحتها، وصار اقتصادها ينمو بسرعة ملفتة، تصوَّروا أن متوسط الدخل تضاعف ثلاث مرات في السنوات العشر الأخيرة؛ حتى إن بعضهم صار يطلق عليها (سنغافورة إفريقيا)»

«بقي يا أصدقائي أن نعرف.. أن منظمة الشفافية الدولية صنّفت رواندا كدولة أقل فساداً من السعودية بـ ١٦ مرتبة!»

أطلق عماد اليوبي ضحكة مدوية، وقال ساخراً بالطريقة التقليدية: «حتى أنتِ يا رواندا!»

«تخيَّلْ أن بعض الوزراء في رواندا تعرضوا للسجن بسبب قضايا فساد».

سأل عماد: «بالله عليك يا فهد.. من هي الدول التي تم تصنيفها في مستوى فساد السعودية نفسه؟!»

«للأسف يا صديقي.. يُظهر التقرير أننا أكثر فساداً حتى من دولٍ مثل ناميبيا وغانا..!»

حاول عماد أن يكتم ضحكةً أبت إلا أن تتفلت منه، وجّه نظرةً ذات مغزى إلى سلمان الحكومي، وقال بطريقة حزينة ساخرة: «**رغم كل هذه الحقائق سأظل أردد: الله لا يغير علينا.. واحنا أحسن من غيرنا!**»

وفي تلك اللحظات، لم يكن أحدهم يعلم.. أن شخصاً يستقل سيارته الشخصية، يتجول قريباً من منزل فهد التركي، راصداً تحركاته كافة بدقة متناهية، وعلى اتصال مباشر بجهة نافذة!

١٢

الساعة ١٢ ظهراً، شمس الرياض تحرق كل شيء تحتها، وصل **جاسر السليمان** إلى المركز الإداري لشركته، مبنى عملاق، تُغطيه النوافذ الزجاجية العاكسة، يقع في منتصف طريق الملك عبدالله، ويعدُّ منارة عمرانية لافتة، نزل من سيارته متجهِّماً، واتجه سريعاً نحو مكتبه، غالباً ما يذهب للعمل بالزي السعودي، فهو يقابل شخصيات رسمية بشكل مستمر، إلا أنه اليوم كان يرتدي معطفاً أسود اللون، ماركتة عالمية فاخرة، ابتاعه من باريس قبيل أسابيع، يَصِفه الناس بأنه شخصية سلطوية، لا يكترث لمن هم دونه منزلة، كثيف الشعر، يداه كغابة، ينادونه بـ **جاسر السفاح**، يتهمونه بأنه وصولي، ينحني ويتذلل لمن هو أعلى منه، أحدهم رآه مرةً في مجلس **العالي**، تعجب من ضمور شخصيته، وتودده المذل، لم يكن يصدق أنه نفسه.. جاسر السليمان؛ المسؤولُ المهاب في شركة إس أي يونايتد!

انشغل جاسر بتصفح بريده الإلكتروني، والاطلاع على بعض الأوراق الجاهزة للتوقيع، دخل عليه كبيرُ محامي الشركة، يحمل عدداً من الملفات، سأله جاسر من دون مقدمات: «**هل أنهيتَ قضية غادة الإبراهيم؟**»

«**نعم سيدي.. ملفها في المحكمة الآن.**»

«**تذكر.. هذا موضوع حساس جداً، لا أريد أية أخطاء!**»

ما زال جاسر السليمان يتذكر سهرة الأمس، يتذكرها بمرارة، كانت

تسير على أفضل حال، حتى جاءت كلمة قاسية من **العالي**، كدرت عليه ليله كله، أنّبه بعبارات ثقيلة أمام عدد من الحضور، نعته بالفاشل ثلاث مرات، يتذكر كل واحدةٍ بتفاصيلها، وبّخه كثيراً على إخفاقه في تحييد فهد التركي، قصته صارت أكبر من أن تحتمل، تلطخت سمعة الشركة بسبب التسريبات التي يقوم بها باستمرار.

«**سحقاً لك يا فهد!**»

لم يجد جاسر تفسيراً مقبولاً لصنيع هؤلاء الطفيليين، يحشرون أنفسهم في كل شيء، ويتدخلون في خصوصيات الآخرين، فكر كثيراً في الطريقة المثلى للتخلص من هذا الهاجس المزعج، ملفٌّ مؤرِّق، يخشى أن يتطور الأمر فيصبح موضوعاً شعبياً، حينها يدرك أن العالي سيُضحّي به، وربما يلبسه عدداً من القضايا، فكّر.. في استخدام العنف لإيقاف فهد التركي عند حده، حذره الكثيرون؛ ربما يسهم ذلك في تفجير الموضوع، وفتح كثير من الملفات المخفية، والتي لم يتجرأ أحدٌ على فتحها من قبل!

كان هاتفه المحمول يرنّ باستمرار، أحد أصدقائه اتصل به عدة مرات، ليس في حالة مزاجية تسمح له بالرد عليه، وصلته رسالة نصية منه: «**جاسر.. أرجو الرد.. الأمر عاجل، وضروري جداً.**» لم يعبأ به، نحّى هاتفه جانباً، وضع يديه على وجهه، يحس بأرق شديد، وحرارة تسري في جسده..

«**تفضّل**»، قال جاسر بنبرة منزعجة، أحدهم كان يطرق الباب بشكل متتابع، دخل أحد مساعديه في عجل، وفي يده مجموعة أوراق أَحكم إمساكها: «**سيدي.. سيدي.. فعلها فهد التركي مجدداً، إنه.. إنه يهددك شخصياً هذه المرة.**»

«...»

«مراسل بي بي سي.. أجرى مع فهد حواراً فضائياً.. كشف فيه عن وثائق خطيرة تخص مشروع الشركة الفرنسية.. أقصد مشروع تايكون!»

«أعرف ذلك.. ما الجديد في الموضوع؟!»، قال جاسر مستغرباً، الجميع يعرف أن فهد التركي قام بإجراء الحوار ذاته قبيل أسابيع، وأثار كثيراً من ردود الفعل حينها، إلا أن الضجيج هدأ كثيراً، ولم يعد يتذكره أحد.

«سيدي.. تم تصعيد الموضوع في الصحافة الفرنسية، وقد تم رفع قضية في المحكمة لإيقاف المشروع.. وتغريم الشركتين بمبالغ فلكية، وربما..»، توقف قليلاً، كان ينظر إلى تعابير جاسر السليمان في رهبة.. ثم أضاف: **«الدعوى تنص على اسمك شخصياً.. وفيها طلبٌ صريح بمحاكمتك، وربما.. سجنك..»**

أحس جاسر السليمان بأمواج مرعبة تجتاحه من كل اتجاه، عشرات الأفكار تزاحمت على رأسه، لديه خيارات تحميه من ذلك كله، ولكنها في النطاق الداخلي فقط، ليس متأكد تماماً من فعاليتها خارجياً، لكنه على كل حال سيكون في أمان داخل البلد، ولن يستطيع أي أحد تتبّعه قانونياً.

رفع رأسه على وقع الكلمات التي سمعها: **«ليس ذلك فحسب سيدي.. هذه التغريدة.. كتبها فهد قبل قليل!»**



فهد التركي
@AlturkyFahad

(ج.س) من شركة إس أي يونايتد؛ قام بتأمين راتب شهري لجميع أبنائه منذ ولادتهم، لدي جميع الوثائق، ورصيد كل منهم، سأنشرها في الوقت المناسب
#وطن

2545 RETWEETS 525 FAVORITE

١٣

«أَذهبُ أنا للديوان الملكي! وأقابل الملك شخصياً! لابد أنها مزحة ثقيلة من أحدهم!»

كان فهد التركي يستعرض مشهد المرأة المتسولة التي اقتحمت سيارته قبل دقائق، ثم قامت بإلقاء هذا المظروف عليه، جعل يتأمله بعناية، يتفحص كل كلمات التهديد التي وُضعت على غلافه، خطرت في ذهنه احتمالات متضادة لمصدر هذا المظروف، هل هو مقلب سخيف من أحد أصدقائه؟ لا بد أنهم يصورونه الآن من إحدى الزوايا!

ولكن ماذا لو كان الأمر جدياً؟

هل يمكن أن يقف خلفه جهة نافذة؟ ربما أحد خصومه الذين استهدفهم أخيراً..

تراءى فهد صورته بالتحديد، صورة وجهه البغيض؛ جاسر السليمان: **«هل يمكن أن يفعلها جاسر؟ ولكن ماذا يقصد بإيصال المظروف للملك؟»**

حاول جاسر السليمان التقرب من فهد، عرض عليه أن يُشرف على مشاريع إنمائية لمكافحة الفقر في الرياض، وبصلاحيات مالية كبيرة، كان ذلك قبيل اشتعال المعركة الإعلامية بينهما، إلا أن فهد

نأى بنفسه عن ذلك، رشوة صريحة، ومحاولة لشراء صمته، وتكبيل فمه عن التعرض المتواصل لشركته، وربما لأجل توريطه في قضايا مالية، واستخدامها ضده إذا فكر في الرجوع لطريقه الأول، هكذا استنتج فهد.

رغم كل عبارات التهديد؛ قرر فهد فتح المظروف: «**سأكون منتحراً لو سلمته للديوان الملكي.. وأنا لا أعلم ماذا يحتوي!**».

وجد داخله **ورقة بيضاء فارغة**، كُتب في أسفلها بضع كلمات:

«**فهد.. نعلم أنك فضولي، لذا هذا هو الإنذار الأخير لك**».

قطب حاجبيه، وهو يقرأ هذا التهديد الجديد!

تهديدٌ مُبهم، ولا يدل على أي شيء!

فتش في المظروف بشكل دقيق، فوجد ورقة أخرى، كانت منزوية في إحدى جوانبه، انتابته رعشة صغيرة وهو يرى صورةً عائلية تجمعه بملاك، وقد تلطخت الجهة المحيطة بملاك بلونٍ أحمر..!

توقف لحظة عن الحركة، موجةُ رعب تحتل جسده كله!

دماء؟

تهديد؟

«**ملاك.**»، أطلق صرخة من قلبه!

ما إن رأى صورة زوجته، ملاكه، التهديد الذي بحقها، حتى أحس بحرارة شديدة تعتريه، ألقى بالمظروف، كل شيء يمكنه المساومة فيه.. إلا زوجته.. إلا ملاكه!

اتصل بها مراراً، لا جواب!

فزع متجهاً إلى منزله، قاد سيارته بشكل جنوني، عشر دقائق تفصله عن الوصول، دقائقٌ ثقيلة.. أُحضرت من قعر الجحيم، كان يمسك المقود بكلتا يديه، قطع كل إشارات المرور التي واجهته، رُسل الهلع تجتاحه من كل صوب، فقد القدرة على التركيز، ماذا يمكن أن يفعلوا بملاكه، بحبه الوحيد، بحبه المتعب؟

«اتركوها وشأنها.. وافعلوا بي ما تريدون!»

قفز من سيارته، هب مسرعاً إلى باب شقته، أخطأ المفتاح مرتين، خفق قلبه حين وجد قفل الباب مفتوحاً، ركض بكل قواه إلى غرفة النوم، صرخ بأعلى صوته: «**ملاك.. ملاك**»، لم يجد أي أثر، فتش في كل الغرف.

لا أحد..!

الرجل؛ حينما يُستهدف في زوجته، في حصنه الأخير، فإنه يغيب عن الوعي، كل معاني التعقل تهرب منه، ثم يستحيل بعدها كائناً انتحارياً يدمر أي شيء يواجهه!

«اخـتـ... اختطاف؟!»

ارتعش جسده كله.. حين تأمل استقامة هذه الكلمة المرعبة، وقع على الأرض، لم تعد تحمله قدماه، تذكر هاتفه المحمول، يداه ترتعشان، وكمية رهيبة من العرق تصببت منه، لا يعلم كيف يتصرف في مثل حالات الاختطاف، على من يتصل؟ من يُبلِّغ؟

أعاد الاتصال على ملاك، كان ينظر إلى هاتفه بفزع كبير!

وبعد عدة محاولات.. أجابت!

صرخ من قلبه: **«ملاك.. ملاك.. هل أنت بخير؟»**

إلا أنه أحس برجفة عظيمة.. اجتاحته.. سقط معها هاتفه من يده:
حين سمع صوتَ الطرف الآخر!

لم تكن زوجته..!

أصابه شلل في كل جوارحه.. حين تأكد أنه **كان صوتاً رجولياً لم يألفه من قبل!**

١٤

قرأ جاسر الاسمَ المنحوت على الباب، نظر إليه بإعجابٍ مشوب برهبة كبيرة، تأمل اسمه الثلاثي، يحس بهيبة عظيمة في تقاسيمه، يتصاغر اسمه دوماً أمامه، كان مسبوقاً بلقبه الذي لا يفارقه، ومنصبه الكبير الذي يحتل سطراً كاملاً، يحب أن ينادوه بـ «**العالي**»، حتى طغت شهرةُ اللقب على اسمه الحقيقي.

اصطحب جاسر مديرَ مكتبه، سيقدِّمان للعالي تقريراً مالياً عن شركة إس أي يونايتد، وتوقعاتهم المستقبلية، وأيضاً. . تقريراً مختصراً عن آخِرِ مشاغبات فهد التركي.

يعرف العالي منذ سنوات؛ إلا أنه يحس بخوف رهيب كلما جلس بين يديه، يظل طيلة الوقت مرتبكاً، متعرِّق الكفين، يحس أنه مذنب، ينتظر اللحظة التي سيصرخ فيها سيده، أصبح يشك في كل شيء، حتى في هيئته، قبل الدخول عليه، يقف أمام المرآة لدقائق، يرش كمية كبيرة من العطر!

ذات مرة؛ طرده العالي من مكتبه، بعد أن تجرأ على مناقشته، على معارضة رأيه، أقسم بعدها ألا يفعل، بل سيهز رأسه من دون أي اعتراض، يوقن أنه الطرف الأضعف في القصة، ويستطيع العالي بإشارة واحدة أن ينهي ماضيه ومستقبله!

بعد انتظار نصف ساعة؛ أَذن سكرتير العالي لهما بالدخول، ثم أشار لهما بالجلوس، والانتظار حتى يأذن سيدهما بالكلام!

١٥

قال فهد التركي بصوت مخنوق: «**ملاك.. أين ملاك؟.. أرجوك أين هي؟**»

«**ملاك عندي!**»، أجاب الرجل في هدوء.

«**لماذا؟.. أرجوك.. لاتؤذها.. اطلب أي شيء.. ماذا تريد؟ سأنفذ جميع ما تطلب.**»

«**ماذا بك يا فهد؟**» تحدثتْ معه ملاك، لم تفهم كل هذا الفزع الذي في صوته، ثم أضافت: «**ذهبتُ إلى منزل أهلي، أخبرتك بذلك البارحة!**»

«**من؟.. ولكن.. من هو الشخص الذي ردّ عليّ قبل قليل؟!**»

«**إنه أخي محمد.. ماذا بك؟**»

«**فهد.. فهد..**»

أجابها بعد لحظات صمت مريبة، كان يظهر على صوته أثر الإرهاق، والتعب: «**هل أغلقتِ باب الشقة خلفكِ؟**»

«**أظن ذلك.. لكني لست متأكدة.. هل حصل شيء للمنزل؟**»

«**لا لم يحدث شيء.. أراكِ لاحقاً**»

«**فهد.. سألتك بالله ماذا حدث؟!**»

سمعتْ صوت انقطاع الخط، خمّنت أنه للتو استيقظ من كابوس مزعج، مؤخراً. صار كثيرَ التحدث أثناء النوم، يهذي بكلام غير مفهوم، أحياناً يحتد في صوته، ويصرخ مُخاصماً، صارت تشفق عليه، يحمل على عاتقه قضايا أتعبته، تتصفح أحياناً صفحته في تويتر، فيزداد قلقها، تخاف عليها وعليه، تخشى أن تصبح وحيدة، أن يغيب عنها حبها، سكان الأرض بالمليارات، ملايين يولدون كل يوم، وآخرون يذهبون للفناء، كلهم يزعم أنه شخص مختلف: **«إلا أنني أعتقد أن فهد.. شخص مختلف بالفعل»**.

كان يملأ عينيها، تراه زينة الرجال، تفتخر دوماً به، بعد دخوله عالم تويتر، أصبحت صورته مألوفه في كل مكان، تحس بالغيرة من نظرات الناس إليه، أقسمت أن تنقضّ علي أي فتاة تقترب منه!

أحياناً يُغضبها، وتكره فيه أشياء، لكن حينما تتذكر قلبه، بسمته الطفولية، فإنها تغفر له كل ذلك. تتذكر أكبر خلاف نشب بينهما، مرةً رفع صوته عليها، صرخ في وجهها بقوة، لخلاف لا تتذكر منشأه، لأجل قضية تافهة بالتأكيد، لم تقل له شيئاً، أجابته بالبكاء، قالت وهي تغادر الغرفة: أنا أكرهك.. أكرهك، تكذبين؛ ردد قلبها..

بعد ثلاثة أشهر؛ ستكمل السابعة والعشرين، يكبرها فهد بأربع سنوات، استعرضت أيامها معه، لم تكن مثالية، إلا أنها كانت سعيدة،لم يسوِّد نقاءَها سوى أيام مرضها الحالي، يواجهان أياماً صعبة، تتذكر وقع الخبر عليها وعليه، كانت صدمة قاسية، لم تكن تتوقع أن تحترق زهرتها قبل أوانها، أظلمت الدنيا عليها، بقيت أياماً لا تخرج من المنزل، أيقنت أن الموت سيحل عليها، إحدى صديقاتها أشارت عليها بملازمة بيت الله الحرام، أقنعتها الفكرة،

مكثت في الحرم أسبوعاً كاملاً، انقطعت عن كل شيء، استشفت بماء زمزم وحده، بعضهم جرب ذلك فشفاه الله، هكذا أخبروها، تضرعت إلى الله كثيراً، ابتهلت، أحست أنها أقرب إليه من أي وقت مضى، خجلت من نفسها، لم تعرف جمال القرب من الله إلا حينما مرضت، لم تتذكره سوى في لحظات الشدة، في لحظات اليأس، لكنها موقنة أنها تتعامل مع رب عظيم. أكثرت من الدعاء، والابتهال.. حتى هدأ روعها، وسكنت نفسها.

تعلّمتْ أن المرض؛ ينقل مركزية التفكير من المستقبل إلى الماضي، فتتبدد فيه كل الأحلام، كل الأمنيات، ولا يبقى سوى التطلع للخلف، البحث تحت الركام عن أي ذكرى، عن أي طللٍ خائب، يستمر ذلك حتى يحين موعد الرحيل!

بعد مرضها؛ صارت تخشى من فهد أكثر مما تحبه، لم تعد تلبي له حاجاته، لا تستطيع أحياناً حتى إعداد الطعام، كثيراً ما يتسخ البيت لأيام، فيضطرون لإحضار خادمة الجيران، تثق في تعلق فهد بها، في حبه الكبير، لكنها تخشى أن يتسلل الملل إلى قلبه، فالإنسان كائن ملول، كانت تخشى أن يبلغ الحد الذي تتغلب فيه بشريته على حبه الملائكي!

وضعت يدها على بطنها، تحسست طفلها المنتظر، في شهرها الخامس، تخاف عليه أكثر مما تشتاق، أخبرهما الطبيب باحتمال تأثير مرضها على حياتهما، وربما يضطر لإسقاطه إذا تأكد له ذلك.

تزوجَا قبل سبع سنوات، لم يُكتب لهما ذرية، راجعت كثيراً من العيادات الخاصة، طرقت كل الأبواب، لم تدع طريقة إلا وجربتها، وفي كل مرة.. كانت تعود حاملةً أثقالاً من الخيبة، حتى أتى ذلك اليوم، اعتبرته أسعد أيام حياتها، كانت متجهة إلى

المستشفى مع أخيها، فهد كان مسافراً، تتذكر أدق التفاصيل، لم تقوَ على النزول من السيارة، محبطةً كانت، طلبت من أخيها النزول بمفرده.. لاستلام نتيجة فحص الحمل، لن تنسى تعابير الفرح في وجه أخيها حينما عاد، ولا صوته المخنوق بالدمع: **«ملاك.. مبروك؛ أنتِ حامل»**

لم تستطع الرد عليه، أَجابته بالبكاء، والبكاء وحده. أحست بمعنى الفرح بعد صيام سبع سنوات، تناولت هاتفها، اتصلت برقمٍ يحبها وتحبه، تجلدت حتى لا تفزعه ببكائها: **«فهد.. فهد.. أبشرك أنا حامل»**

وسمعتْ صرخةَ فرحٍ لن تنساها طيلة حياتها.

بعدها؛ امتدت أغصان فرحها في كل اتجاه، وأزهر كل ما حولها، حتى جاء خبر مرضها، فأنساهما كل نعيم مر، وتحولت أفراحهما.. إلى أحزان باهتةٍ لا تتوقف.

١٦

وقف فهد أمام مكتبته..

استعرض محتوياتها بنظرة خاطفة، يعلوها غبار كثيف، منذ عدة أسابيع لم تتعاهدها ملاك، أهملت كل شيء بعد مرضها، اتجه إلى حيث دواوين الشعر، يحس بحاجة ملحة للاسترخاء، يجد في قصائد الحب متنفساً للخروج من عالمه المشحون، واجَه اليوم موقفاً لن ينساه، ربما يكون الأكثر رعباً في حياته كلها، لم يتوقع أنه ضعيف إلى هذه الدرجة: «**عليهم اللعنة.. نقطة ضعفي.. عرفوها!**»

تذكر تهديدهم باستهداف زوجته، لحظاتٌ مرعبة، كاد أن يفقد فيها عقله، أيقن أن بقاء زوجته في المنزل يمثل خطراً عليها، فكر في إرسالها إلى أحد الأقارب، ربما في مدينة أخرى، لكنه بالتأكيد سيكون مراقباً، وسيعلمون بذلك، وربما يكون بقاؤها في المنزل أقل الخيارات خطراً: «**سأحميها بنفسي!**»

فكّر.. ماذا لو كان الأمر مجرد «مقلب» من أحد أصدقائه، عماد؟ ربما سلمان الحكومي؟ أحد أفراد الديوانية الآخرين؟

«**مستحيل.. لا يمكن أن يفعلوا مثل ذلك!**»

لو كان التهديد جدياً؛ فمن تكون الجهة التي تقف خلفه؟ جاسر السليمان؟ لكن لا يوجد دليل واضح، ماذا لو كانت جهة أكثر خطراً؟ الجهات التي استهدفها في كتاباته متعددة، ولا يمكن الجزم

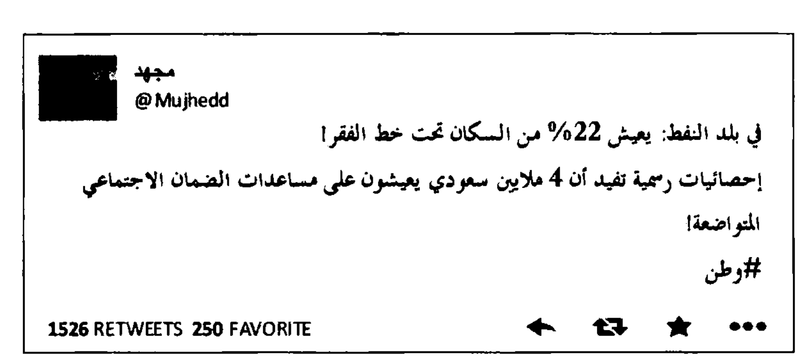
أن جاسر خلفها، إلا أنه الأقرب لمخيلته دوماً!

بعيداً عن مصدر المظروف، تساءل؛ ما هو المقصد من إرساله للديوان الملكي؟

«**هل كانوا يقصدون فعلاً أن أذهب لإيصالها للملك؟ أم هل لديهم رسالة معينة أرادوا إيصالها لي؟**»

«**ولكن كيف حصلوا على الصورة العائلية؟**»، كان لديه احتمالان، إما أنهم اقتحموا منزله، وتجسسوا على خصوصياته، أو أنهم اخترقوا بريده الإلكتروني!

شعر بحاجة ملحّة للنوم، أرجع الديوان الشعري إلى مكانه، وذهب إلى غرفة نومه، وجد شاشة الآيباد مضاءة، عدد من التعقيبات في تويتر تصله باستمرار، استعرضها سريعاً، ثم قرأ هذه التغريدة للمرة الثالثة:



«**أرقام مفزعة**»، حدّث فهد نفسه، بين يديه عدد من الدراسات المحزنة عن واقع الشعب السعودي، هل يعقل أن ٩٢ بالمئة من السعوديين العاملين في القطاعين الحكومي والخاص.. سبق وأن

اقترضوا من البنوك؟ غالباً ما يكون القرض لأجل احتياجات ضرورية كدفع مهر الزواج، أو سداد الإيجار، أو شراء سيارة، أو حتى لدفع المصاريف اليومية!

رفع عينيه إلى السماء، يبحث عن أمل شارد، عن بوادر انفراج لهذه الأزمة العميقة، الأوضاع دوماً محبطة، وتزداد طردياً مع الوقت، المواطن السعودي؛ يريد أن يعيش هانئ البال، مطمئناً لمستقبله، مستقبل أطفاله، الذي يعيش في شقة مستأجرة، وليس لديه تأمين طبي، ولا دخل كريم، كيف يعيش هانئاً؟ كيف تستقر حياته؟ هو إما أن يصبر على الظلم، أن يطأطئ رأسه، أن يقبل بالجور، أو أن يتحول إلى مشروع سارق جديد!

فتح هاتفه المحمول، في خانة الملاحظات.. خصص ملفاً للإحصائيات المحبِطة، أسماه: «**رفّ الأحزان**»، جمعها منذ عدة أشهر، كلما مرت به دراسة تتناول هذا الموضوع؛ وضع رابطاً لها في مفكرته، تصفحها سريعاً، أكثرها إيلاماً هو ما كان يصور دخْل الأسرة السعودية، حيث وُجد أن ٦٤ بالمئة من الأسر السعودية يبلغ دخلها الشهري أقل من ٨ آلاف ريال، فكر فهد: «**كارثة كبيرة!**».

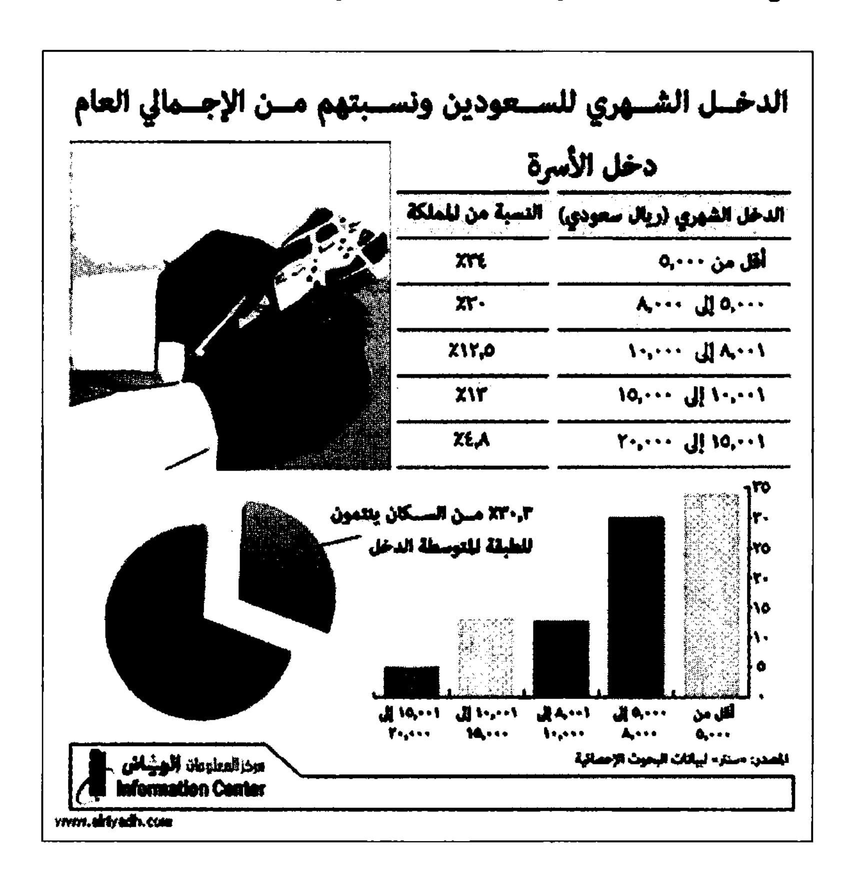
مع ارتفاع تكاليف المعيشة في السنوات الثلاث الأخيرة، وخصوصاً ارتفاع إيجار الشقق، وأسعار الأطعمة.. فَقَدَ السعوديون قرابة ٣٣ بالمئة من قيمة دخلهم الشهري، خصوصاً في ظل عدم التوازن بين مستوى التضخم وزيادة الرواتب! فالذي كان راتبه الشهري ثمانية آلاف ريال.. فإنه **فَقَد ثلث قيمة راتبه**، وأصبح يستلم في الحقيقة ما يعادل قيمته ٥٣٠٠ ريال فقط!

«**قاتل الله الظلم.. لماذا يكون دخل السعودي هو الأسوأ خليجياً.. وأقل من دخل القطري بخمسة أضعاف؟!**».

على وجوه السعوديين، فوق شفاههم. . ابتسامات ضامرة، أفراح مريضة، تصارع كي لا تموت، اغتالتها يدٌ خائنة، وحولت صفاءها إلى أكدار مقيمة.

كان يتأمل تفاصيل الدراسة بحزن، وجد جدولاً مختصراً، يبين فيه مستوى دخل الأسر السعودية، نظر إلى أرقامها المفزعة، فهو دخل الأسرة كاملة، وليس الفرد!

أيقن أن هناك خطأ كبيراً يحدث، خطأ كبيراً جداً!



الدخل الشهري للسعوديين ونسبتهم من الإجمالي العام

دخل الأسرة

الدخل الشهري (ريال سعودي)	النسبة من المملكة
أقل من ٥,٠٠٠	٢٤٪
٥,٠٠٠ إلى ٨,٠٠٠	٣٠٪
٨,٠٠١ إلى ١٠,٠٠٠	١٢,٥٪
١٠,٠٠١ إلى ١٥,٠٠٠	١٣٪
١٥,٠٠١ إلى ٢٠,٠٠٠	٤,٨٪

تأمل الطبقة الأقل دخلاً في السعودية، بنسبة ٣٤ بالمئة، والتي تمثل قرابة ثلث السكان السعوديين، قام بافتراض أن دخلهم جميعاً يمثل الحد الأعلى للإحصائية، وهو ٥٠٠٠ ريال، ثم قام بحساب القيمة الحقيقية التي يستلمونها، بعد حذف نسبة التضخم خلال السنوات الثلاث الأخيرة، والتي تبلغ ٣٣ بالمئة!

«يالله..!»

«هل يعقل أن قرابة ٧ ملايين سعودي يعيشون في أُسرٍ دخْلها الحقيقي أقل من ٣٣٥٠ ريالاً شهرياً؟»

حينما يحارَب الإنسان في رزقه، حينما يُضيَّق عليه، وتصادر حقوقه، فإن القصة لا تنتهي عند هذا الحد، بل هناك، في الخفاء، تتوالد كائنات غير التي نعرف، تتكاثر، وتتشكل على هيئةٍ غير مرئية، ثم تنمو حتى يشتد عودها، حينها تستحيل كائناً مرئياً، ولكن بمشاعر ناقمة، ومدمِّرة، لا تعترف بأكذوبة التعقل، ولا المنطق، بل تمضي تدمر كل شيء بأمر ربها!



عزيزي الموظف السعودي:

راتبك الشهري متواضع في ديار النفط؟

إذاً.. فلا بد أنك استنتجت أن أحداً ما سرق مالك، وحوّله لرصيده الخاص!

#وطن

495 RETWEETS 134 FAVORITE

ينتمي فهد لعائلة مستورة الحال، لم يعرف حياة الترف، كما لم يغرق في مذلة السؤال والحاجة، بالكاد يكفيه راتبه حتى آخر الشهر، يحلم كبقية السعوديين بامتلاك بيت العمر، والعيش بطريقة

أكثر كرامة، تذكّر فهد مسيرة حياته، الانعطاف الكبير الذي مر به، لم يكن يهتم بالشأن العام، ولا بملف الفقر أو الفساد، كارثة جدة، كانت هي المنعطف، لحظة تنويره الروحي، لحظة البحث عن الجناة الحقيقيين!

سيول جدة؟ سَنتان داميتان! تذكرهما فهد، تذكرهما بعين دامعة، مأساة لن تفارق مخيلة السعوديين إلى الأبد. ستظل حاضرة حتى النهاية، حتى نهاية القصة الطويلة، قصة الفساد والمفسدين، صراع السيول، مشاهد الغرقى، الجثث المترامية، أكوام الخراب، بقايا الدموع، التعاطف الشعبي الجارف؛ ستظل تذكرها الأجيال، لا يمكن أن تنساها، مهما اتسعت ابتسامة السراق الحقيقيين، أو امتد أمد حريتهم.

كان يوقن فهد؛ أن فاتورة الفساد باهظة التكاليف، غالية الثمن، يدفعها المواطن البئيس، يدفعها من حر ماله، من حياته، وحياة صغاره..

والصمت وحده.. يزيدها ثمناً..!

أشعلت كارثة جدة في روحه الكثير، أصابته بهزة عنيفة، بشعورٍ عميق بالخطر، بأنه يعيش في غابة متوحشة، كان يريد أن يفعل شيئاً، أن يصرخ في وجه الظلام، أن يوقد ولو شمعة صغيرة، لكنه لم يبصر طريقاً يوصله لبُغيته، كان تائهاً، حتى لمع بريق وسائل التواصل الجديدة، فجذبه سحرها، وحولت سريعاً مسارَ تفكيره، تعرّف على عدد من الناشطين الاجتماعيين، وأُعجب بالنزعة الثورية في شخصياتهم، بنضالهم الطويل، فدفعه الفضول إلى قراءة تاريخ النضال الحقوقي في السعودية، اكتشف أنه كان مغيباً عن النور، عن الحقيقة، غارقاً في أشيائه الصغيرة!

تتبع الجهود الإصلاحية التي بذلت على مر السنين، التحركات الشعبية، التضحيات المشرّفة، قرأ عن تاريخ «مذكرة النصيحة»، و«خطاب المطالب»، و«الوثيقة الإصلاحية»، وعن الجهود المشرفة من دعاة الإصلاح من مختلف الأطياف.

ثم طُلب منه التوقيع على بيان «نحو دولة الحقوق والمؤسسات»، فلم يتردد في ذلك، بل طالب مراراً بإنشاء حلفِ فضولٍ جديد، كان يؤمن أن جهود الإصلاح لن يكتب لها النجاح إلا حينما تتحول إلى همٍّ مجتمعي مشترك، لا تختص بفصيل دون آخر، بل لا بد أن يتوحد خلفها النخبة بمختلف أطيافهم، ومن ثم ينشروا ثقافتها بين أفراد المجتمع.

كان يعتقد دوماً؛ أن أعظم القلوب: هي تلك التي لا تنام، بل تُفني نبضها من أجل المحاماة عن المهمَّشين، عن الرازحين تحت الظلم، ومع ذلك.. تظل تتلقى الضربات منفردة، حتى تموت، أو تنتصر!

وكان يتمنى أن يكون أحدهم!

بعدها؛ أصبح لاسمه حضور اجتماعي كبير، خصوصاً بعد دخوله في مواجهة مباشرة مع جاسر السليمان، وشركة إس أي يونايتد، على إثر كشفه لتعثر عدد من المشاريع التي تديرها الشركة، بالإضافة إلى عدد من التجاوزات المالية، والإدارية.

تذكّر حواراً دار بينه وبين أحد **غلاة الطاعة** في تويتر، كان في بداية اشتهار اسمه كناشط اجتماعي، ربما أراد أن يرهبه بطريقة مكشوفة، كان الحوار على إثر موضوعٍ تساؤلي؛ طرحه فهد عن سر انكماش **الطبقة المتوسطة** في السعوديةِ، ومقارنتها بمثيلتها في دولة كالنرويج

مثلاً، حيث تشكل الطبقة المتوسطة هناك أكثر من ٩٠ بالمئة من السكان، ولديهم مقاييس صارمة لمنع انفراد طبقة من المجتمع بالثروة:

«ومَن المتسبب في انكماش هذه الطبقة برأيك، أيها المفكر العظيم؟»

«المفسدون»، أجاب فهد التركي بكل اختصار.

«كلام عامّ جداً، من تقصد بالمفسدين.. حدد بالضبط!»

«هم من خانوا الأمانة.. الكل يعرفهم.»

«غريب.. لماذا كل هذا التهرب من الإجابة، تدّعي الإصلاح والتغيير والشفافية، وأنت لا تستطيع التصريح بما في نفسك!!، هل تشك بأنني سأنقل حديثك أو أشي بك؟!»

رد فهد بعد تأمل قصير: **«لا أبداً، لكني انتهجت طريقاً في الإصلاح، جعلته في أُطرٍ معيّنة، لا تشوّه الحقيقة، وفي الوقت نفسه تُشير إلى السبب الحقيقي بطريقة مناسبة، دعنا نتجاوز الأسماء الآن، حتى يحين الوقت الذي تتحطم فيه كل القيود.»**

«قيود؟! ماذا تقصد؟! إن كنت شجاعاً.. صرِّح وأخبرنا ما هي هذه القيود؟»

كتب فهد وهو يبتسم: **«أصغرها.. هو ذلك القيد الذي ما زال يشوّه الحقائق في مخيلتك!»**

أحس فهد برعشةِ فزع تسري في جسده.. حين سمع هاتفه المحمول يرنّ، كسر خشوع ذكرياته، كان المتصل صديقه عماد اليوبي، تحادثا بضع دقائق، وحينما أغلق الخط.. ابتسم فهد ابتسامةً

حائرة، أخبارٌ غريبة تدور حوله، قبل عدة أيام اتصل به مدير التحرير معتذراً على منع نشر مقاله، ثم الآن.. يخبره عماد بصدور أمر رسمي بالسماح لهم بإقامة الندوة الشبابية التي تم منعها مؤخراً، الغريب أن إحدى الشخصيات تكفلت بدفع تكاليف الندوة كاملة، وإقامتها في فندق فخم، كما أصرّ على عدم الافصاح عن هويته!

لم يعد فهد يحس بالأمان، خصوصاً بعد التهديد الأخير، وشكّه في بقاء باب الشقة مفتوحاً، ليس من عادة ملاك أن تدعه كذلك: «**هل دخل أحدٌ منزلي؟**»

توجه إلى خزانة ملابسه، فتح درجه الشخصي، يحفظ فيه أوراقه المهمة، وجواز سفره، وعدداً كبيراً من ذكرياته وصوره، أخرج محتويات الدرج كاملة، لا بد أن يتأكد منها كلها، المظروف الأخضر هو الأهم، خصصه للوثائق الأخيرة التي استلمها من غادة الإبراهيم، وجدَه في مكانه، لا يبدو أن أحداً مسه بسوء، تأكد من بقية أوراقه الأخرى، لا يوجد ما يريب!

دفعه الحنين إلى قراءة عدد من مراسلاته وأوراقه القديمة، لم يستعرضها منذ سنوات، سيجد في نفسه إنساناً مختلفاً، هكذا يشعر كلما فعل ذلك.

إلا أنه تفاجأ بوجود **مظروف أحمر صغير**، لم يألفه، أحس بأنه غريب عن المكان، لا ينتمي إليه، تبدو عليه لمسات أنثوية، بالتأكيد ليس من اختياراته، كان مكتوباً على غلافه بخط أسودٍ صغير: «**خاص جداً**»، لا يتذكر أنه وضع شيئاً كهذا بين أوراقه!

إشاراتُ خطرٍ داخلية تتابعت عليه، تكررت المفاجآت في حياته،

وبشكل متقارب، كانت حياته هادئةً كصقيع، واليوم لا يجد متسعاً ليتنفس!

فتح المظروف؛ فإذا بداخله مظروف آخر، ووجد عبارةً كُتبت في منتصفه: «**فهد؛ ناشدتك الله.. لا تفتح هذا المظروف إلا بعد رحيلي.. ملاك**»

فزع قلب فهد: «**وصية؟ ياالله.. ملاكي كتبت وصيتها؟**»

تدفقت إلى عينيه دمعات غزيرة، ملاكه تحس أن أيامها باتت معدوده، ربما بدأت تيأس من شفائها، هل أخبرها الطبيب بحقيقة مرضها؟: «**لا يمكن، أقسمتُ عليه ألا يفعل!**»

أعاد الوصية إلى مكانها، وقام يجر أحزاناً تنوء بحملها الجبال!

١٧

وقف فهد أمام المرآة، متأملاً تقاسيم وجهه، أحياناً يرى نفسه في غاية الوسامة، وأحياناً يخجل من كمية القبح الذي يحمله، رش كثيراً من العطر، ثم تأهب لإجابة هذه **الدعوة الغريبة**..!

تردد فهد التركي كثيراً قبل الموافقة على الحضور، لأول مرة يتلقّى مثل هذه الدعوة الخاصة، أشعلت فيه كثيراً من الاستفهامات، وكانت بطريقة لم يعهدها من قبل!

ركب سيارته، واتجه نحو **فندق ريتز كارلتون** الفاخر، صاحبُ الدعوة أصرّ على عدم ذكر اسمه، هو من أصدقائه المقربين، يريد أن يجعل منها مفاجأة غير مسبوقة؛ هكذا أخبره مدير المطعم.

في أوقات الذروة؛ شوارع الرياض لا تُطاق، سيضطر السائق إلى إهدار ساعةٍ من حياته، وصحته، منبهات السيارات، والتلاحم المروري. . يشتتان التركيز والراحة، تأمل فهد كلَّ هذا الصخب، كلَّ هذه الضوضاء، فاستدعى بعض ذكرياته القديمة، حنّ لعشه الطفولي الأول، اشتاق لرحيق أمه الراحلة، رحلت قبيل سنوات، يراها في ملامح خالته، وأخته الكبيرة، أوصت به كثيراً قبل أن تموت، تمنى لو كان بجوارها تلك اللحظات. يدخل في نوبة من البكاء الصامت كلما تذكر ذلك..!

«لو أنكِ حية يا أمي!».

بعد رحيلها، بعد رحيل قلبها العظيم، أقفرت حياته، واستحالت صحراءَ موحشة!

في حياة كل إنسان، في ماضيه البعيد؛ خيبات صغيرة، جراح يَخشى لمسها، ينقبض قلبه كلما عاودته ذكراها.

مرت سنوات طفولته وصباه في رتابة، ليس فيها ما يستحق التأمل، سوى موت والده، لا يتذكر من طيفه أي شيء، رحل وهو في الخامسة من عمره، سبّب رحيله هزة عنيفة لمنزلهم الصغير، يتذكر بكاء الجميع من حوله، تدفق الناس على منزلهم، لم يكن يعي لماذا يفعلون كل ذلك، كان مشغولاً باللعب مع الأصدقاء الجدد الذين يفدون إلى منزلهم باستمرار.

كثيراً ما يتفحص بقايا صور والده، كان يظهر فيها بصورة جامدة، لا يحس بأي شيء تجاهه، سوى بقايا حنين فطري لمعاني الأبوة، حينما كبر قليلاً، بدأ يدرك أنه نشأ يتيم الأب، أن شيئاً ينقصه، لم يكن يهتم لذلك أول الأمر، إلا أن الألم بدأ يتمدد في أعماق نفسه، شعورٌ بالنقص، بالانكسار، حاول أن يتخيل معاني الأبوة، معنى أن يصرف عاطفته لأب، حاول أن يكتشف هذا الجانب الغامض، إلا أنه لم يستطع.

كان يسأل والدته كثيراً، يطلب منها أن تقص عن والده أي خبر، كان يستمتع حينما تخبره عن تفاصيل لقاءاتهما الأولى، تفاصيل خطبتها، أيامهما الجميلة، فرحهما بولادته، ثم.. كيف تجرعوا فراقه.

«**الله يسامحك يبو فهد.**»، دوماً ما تقول والدته بألم، خصوصاً في لحظات عزلتها، كان يمثل لغزاً محيراً لفهد، ألح عليها مراراً أن تخبره عن سر ذلك، يسامحه الله على ماذا؟ لكنها لم تنطق بحرف

واحد، كانت تجيبه بفترات لا تنتهي من الصمت الحزين! يسامحه الله؟ إذاً فقد أخطأ، وربما في حقها؟ ولكن هل لذلك علاقة بموته أم لا؟ فكر أن يسأل بعض قرابته عن هذا الأمر، إلا أنه أحجم في النهاية، فضّل أن يُبقي صورة والده مثالية في مخيلته!

عاش سنوات من الهدوء والرتابة، حتى قرر الدخول في مواجهة مفتوحة مع الظلام، مع سواد الليل، يعلم أن لذلك ثمناً باهظاً، أيقن بأنه يستحق أن يُدفع، لكنه يشك كثيراً في قدرته على تحمّل أعبائه بمفرده..

ملاك.. هي نقطة ضعفه الوحيدة!

كثيرٌ من أصدقائه يلومونه على منهجه الصدامي، على جرأته الزائدة، كان يرد عليهم مرارا: «**أنا لم أقل شيئاً خطيراً.. ناديتُ السارق باسمه الحقيقي.. هذا كل ما فعلت!**».

كانوا يخافون عليه من بطش الظلام، يخشون عاقبة أمره، يعلمون أنه مكشوف الظهر، لن يقف معه أحد، سيبتلعه الظلام وحيداً، وسيتناساه جمهور المطبلين: «**أعلمُ أنني أسير في حقلٍ من الأشواك، ستؤذيني حتماً، وربما تدميني، لكنها في نهاية الأمر مجرد أشواك، وسأصل ـ لا محالة ـ إلى منتهى الطريق.**»

كان يحذِّرهم دوماً.. بأن القعود خوفاً من هذه الاشواك؛ يعتبر جريمة عظيمة، سترويها الركبان عنهم يوماً ما، وستظل للأبد؛ وصمة عار تلاحق ذكرهم، وذكر أحفادهم من بعد!

اصطحبه نادل المطعم إلى جناح **كبار الشخصيات**، تفاجأ حين أخبره أن الجناح تم حجزه كاملاً باسمه، وجد في المنتصف طاولة كبيرة، تتسع للعشرات، إلا أنه استغرب خلوّها من الكراسي، عَدَا كرسيين

متقابلين فقط، بينهما أصناف لا تنتهي من الطعام، قاده النادل إلى الكرسي المقابل: «**هذا مخصصٌ لك سيدي.**»

جلس على الكرسي مستسلماً، وجد اسمه مكتوباً بخط أنيق، أحس بتشويش، وانقياد مطلق لم يتنبأ بخاتمته، اعتراه فضول لمعرفة الاسم المكتوب أمام الكرسي المقابل، لا بد أنه اسم صاحب الدعوة.

لكن لماذا لم يكن في استقباله؟

استدار حول الطاولة، قرأ الاسم.. فاتسعت عيناه دهشة، مشاعر متضاربة اجتاحته، كان الاسم المكتوب هو اسم زوجته.. ملاك!

«**لماذا اسم زوجتي.. هنا؟!**»

«**أين صاحب الدعوة**»، وجّه فهد سؤاله للنادل.

«**سيدي.. صاحب الدعوة يعتذر عن الحضور، يبلغك تحاياه العاطرة، طلب منا أن نسلِّم لك هذا المظروف.**»

سأله فهد عن اسمه، فأجاب مُحرجاً: «**عذراً سيدي، لم يخبرنا بذلك.**»

صاحب الدعوة لن يحضر، ولم يخبرهم حتى باسمه، هناك خطأ ما، بوادر خطر قادم، ملاك؟ لماذا تم إقحامها في الموضوع؟ هل لذلك أي مغزى؟ ثم لماذا كل هذا الطعام؟ يكفي لعشرة أشخاص!

طرأت على ذهنه فكرة، ربما تقوده للتعرف على صاحب الدعوة، خمن أن المبلغ المدفوع كان كبيراً، لذا فالأرجح أنه تم إلكترونياً: «**هل يمكن إعطائي نسخة من إيصال بطاقته البنكية؟!**»

انحنى النادل متأسفاً: «**لقد دفع المبلغ.. نقداً، كما طلب منا تسجيل الفاتورة باسمك الشخصي**»، أضاف النادل بعد لحظات صمت: «**هل هناك أي مكروه سيدي؟!**»

«لا.. لا شيء، كنت فقط أريد معرفة صاحب هذه المفاجأة اللطيفة.»

حاول فهد أن يظهر أمامه بشكل طبيعي، لا يعلم ما هي الطريقة المثلى للتصرف في مثل هذه الحالات، لماذا كل هذا؟ وما هو الهدف من ورائه؟

«ألا يمكن أن يكون تهديداً بطريقة مبتكرة؟»

«الطعام.. ألا يحتمل أن يكون مسموماً؟»

«لماذا سجل الفاتورة باسمي؟»

«لماذا يحرص على إخفاء شخصيته؟»

غمرته فكرة أكثر تشاؤماً، مسح المكان بعينيه، كان يبحث عن أي كاميرات للتصوير، أو أي شخص يتتبعه، هل يمكن أن يكون قد وقع في مصيدة؟ في فخ محكم؟ ربما سيتم استغلالها ضده يوماً ما، ولكنه تساءل عن أهمية ذلك كله إذا تم تصويره وهو يتناول الطعام بمفرده، لا معنى له على الإطلاق!

فكر بالهرب، بالاختباء في منزله، يحتاج إلى جرعات ضخمة من السكينة، والهدوء، نظر إلى المظروف الذي بين يديه، نظر إليه في ارتياب، ثم فتحه في فضول، وأخرج ما بداخله..!

ورقة واحد فقط..!

وجد في منتصفها شكلاً غريباً، مرسوماً بعناية، لم تكن تحتوي على أي كلمات نصية:

قلَب الورقة.. لا شيء!

هذا الشكل الغريب.. فقط!

تأمل الشكل المرسوم في المنتصف، يستطيع أن يقرأ فيه كلمة **«استمر»!**

لم يزده ذلك إلا حيرة!

حالة من الذهول تحيط به، استفهامات مزعجة، نظر مرة أخرى إلى الشكل الغريب، لم يفهم شيئاً: **«أَستمرُّ في ماذا؟! ماذا يريد أن يقول لي؟! ولماذا يستخدم هذه الطريقة الملتوية؟!»**

طوى الورقة، ودسها في جيبه، ثم سأل النادل بطريقة اتهامية، أصبح يشك في كل شيء: **«لكنك لم تخبرني عن أوصاف هذا الشخص، أقصد صاحب الدعوة؟! شكله.. طوله.. أي شيء؟!»**

«آسف سيدي.. لا أستطيع تذكّر ملامحه، سائق هندي.. نزل من سيارة فارهة جداً، وقام بالحجز، أحد العمال أخبرني أنه كان بصحبة سيدة سعودية، لكنني لست متأكداً من ذلك سيدي.»

«سيدة سعودية؟»

قفز إلى ذهن فهد احتمال وحيد!

«ولكن لماذا تفعل ذلك؟»

بعد تعرفه عليها، على **غادة الإبراهيم**.. تغيّرت في حياته أشياءٌ، وأشياء!

١٨

اصطحبها معه؛ ملاكه، ألحّت عليه أن ترافقه هذه المرة، لم يخبرها عن سبب ممانعته، لكنها تعْرف، يشفق على روحها المتعَبة، لا يريد أن تزداد تعباً، سيزور عائلة فقيرة في **حي العود**، زيارته الأولى كانت استطلاعية، عاتب نفسه كثيراً، فقد اهتم بالطين والبنيان في المرة الأولى، ولم يمسح على رؤوس الفقراء، أو يتلمس شعثهم المنسي.

توجه بسيارته نحو هذا الحي؛ الذي يعيش خارج التاريخ، نحو أطلاله، وبقاياه، سيكون بانتظاره أحد أصدقائه العاملين في الجمعية الخيرية، طلب منه أن يرافقه، يريد أن يتعرف على أحزان الفقراء بشكل دقيق.

رأى ملاكه غارقة مع هاتفها المحمول، تتصفح شيئاً ما: «**بالتأكيد؛ تبحثين عن موضوع حملكِ.. يالله؛ كأنه لم يَحمل في هذه الدنيا إلا أنتِ.**»، قال فهد ساخراً.

ابتسمت ملاك، وأغلقت هاتفها، أحست بوقع سخريته اللاذعة: «**سترى بعد أن يخرج للنور.. كيف أنساكَ تماماً**»، استمرّا في حديث مازح، وتجادلا كالعادة حول من يحق له تحديد اسم المولود: «**أنا تعبتُ عليه تسعة أشهر.. ويحق لي وحدي اختيار اسمه.**»

رد ساخراً: «**اختاري ما تشائين، سأذهب للأحوال المدنية.. وأحدده هناك وحدي.**»

كان يسترق النظر إليها، يتمنى لو يرى بسمتها من تحت نقابها، يحب فيها كل شيء، حتى لحظات غضبها النادر، حينما عثر على ملاكه، تشبث بها كطفل، يخشى أن تفلت من بين يديه، لديه شعور تشاؤمي أنه سيفقدها قريباً، الحب يقرع القلب، ويَدخله في استحياء، أما الخوف، خوف الرحيل، فيجتاحه فجأة، ويحطم مداخله!

شبح الطبيب، ملامحه الصارمة، كلماته المفزعة.. تعاوده دوماً، سأله ذات مرة:

«هل مرضها يجعلها تتألم يا دكتور؟»

«هل هناك أمل في شفائها؟»

لا يستطيع أن ينسى ذلك المشهد، حين زارها في المستشفى أيامَ شدة مرضها، دخل عليها غرفتها فجأة، لاحظ ارتباكها، استغرب، ثم تنبه أنها كانت ترتب من هيئتها، تدس خصلاتٍ ثائرة من شعرها، قال لها متأثراً: «**حبيبتي.. لا تهتمي، أنت جميلة هكذا**»، خنقته أحزانه، كانت لا ترضى أن تظهر أمامه إلا على أجمل حال، حتى في لحظات تعبها القاتل!

بعد طول عُمر.. يتمنى الرجل أن يموت قبل زوجته، أن يتكئ عليها في لحظاته الأخيرة، لا يريد أن يعيش ما تبقى من شيخوخته وحيداً، يائساً، يُخيّل إليه أن روح المرأة أقوى من روح الرجل، تُطيق الوحدة والألم أكثر، لماذا اخْتُصت إذاً بفظائع الولادة، ودموع الرحمة؟

ما معنى أن ترحل حبيبة القلب؟ أن يعيش الرجل ما تبقى من حياته وحيداً؟

معناه أن تنتهي في ناظريه أحلام الحياة، أن تستحيل أيامه لحناً حزيناً،

يظل يتجرع إيقاعها في صمت.. حتى يأتي يومه المنتظر، ويرحل غريباً منكسراً!

«**أراهنكَ.. هذا العقد سيبقى في سيارتك ثلاثة أشهر أخرى!**»، أعادته كلماتها إلى واقعه، إلى عالمهما الصغير داخل السيارة، كانت ملاك تشير إلى عقدٍ معدني لامع، اشترياه سوياً قبل ثلاثة أشهر، هديةٌ رمزية لأخته.

«**المهم أن يصلها، ولو بعد خمسين سنة**»، رد فهد ضاحكاً، وخطف العقد من بين يديها، وشرع في وصف محاسنه، ثم أضاف: «**إذا أعجبها فسأقول إنه من اختياري.**»

«**وإذا لم يعجبها؟!**»

«**تعرفين الإجابة بالطبع.**»

فهد؛ الذي يراه لأول مرة، الذي يرى تقطيب حاجبيه الدائم، وصمته الطويل، يعتقد أنه يحمل أكواماً لا تنتهي من الغرور، والاستكبار، لكن ما إن يبتسم، ويبدد ذلك التقطيب؛ حتى تتغير تلك الصورة بشكل تلقائي، كثيراً ما كانت ملاك تحذره من تقطيب حاجبيه، كانت تتحداه أن يرسلهما لمدةٍ لا تتجاوز خمس دقائق: «**ستسبب لك عُقداً نفسية.. وصداعاً لا ينتهي.**»

كانا ينتظران إشارة المرور، بقي ١٠ ثوان وينطلقان، دخل فهد في دوامةِ صمت حزينة، استغربت ملاك تحوُّله المفاجئ، نظرت إلى الجهة التي ركز فيها ناظريه، فرأت بقايا شابٍّ سعودي مُحبَط، يبدو ذلك من مظهره، يحمل ملفه الأخضر وسط رمضاء الرياض، على الأرجح؛ كان يتسول وظيفة، يريق ماء وجهه بحثاً عما يجمع شتاته!

وسط ضجيج منبهات السيارات خلفه، استطاع فهد سرقة لقطة

موجعة للشاب، لمح حبة عرق تسيل على جانب وجهه البريء، في عينيه جراحات شعبٍ بأكمله، انكسارات جيل صامت، جيل مهمَّش، سنواتٌ طوال وهو يتجرع الإحباط، يمضي مطأطئ الرأس، تمنّى لو ينزل لمواساته، لتصبيره، لسماع قصته الطويلة بحثاً عن وظيفة ساترة، قال في ألم: «آه.. **لو تعلم.. مَن كان السبب خلف نزول كل ذلك العرق منك!**».

الشاب السعودي.. يحمل ملفاً أخضرَ كلون وطنه الذي خذله، وأسلمه للفقر والحاجة، يحمل ملفه في كل اتجاه، فتطرده الأيدي كلَّ مرة، وتحاصره الخيبات، ويتكدس مع الجموع!

«**لماذا يُهان الشاب السعودي في بلده؟!**»، تساءل فهد بألم، «**لماذا صار يحصل على حقه الوظيفي بمنّة؟ بعد أن يقبِّل ألف يد؟ بعد أن يستجدي ألف واسطة وواسطة؟!**»

تأمل فهد؛ الشاب العاطل عن العمل، يتيه في مستقبل مجهول، وهموم ينوء بحملها الأشداء، يشعر أنه تركة ثقيلة على عائلته، ومجتمعه، يبقى عاطلاً ثلاث سنوات وأكثر، يبقى أسيراً للحاجة، ونظرات الإشفاق، تنقضي أحلى سنوات حياته في الانتظار المر، وحين تأتي وظيفته الصغيرة.. يبدأ في التفكير بهمومه الكبرى، هموم تأمين المستقبل؛ السيارة، الزوجة، الشقة، الأثاث، وقائمة طويلة ممتدة، تماماً.. كامتداد أنهار النفط في بلاده!

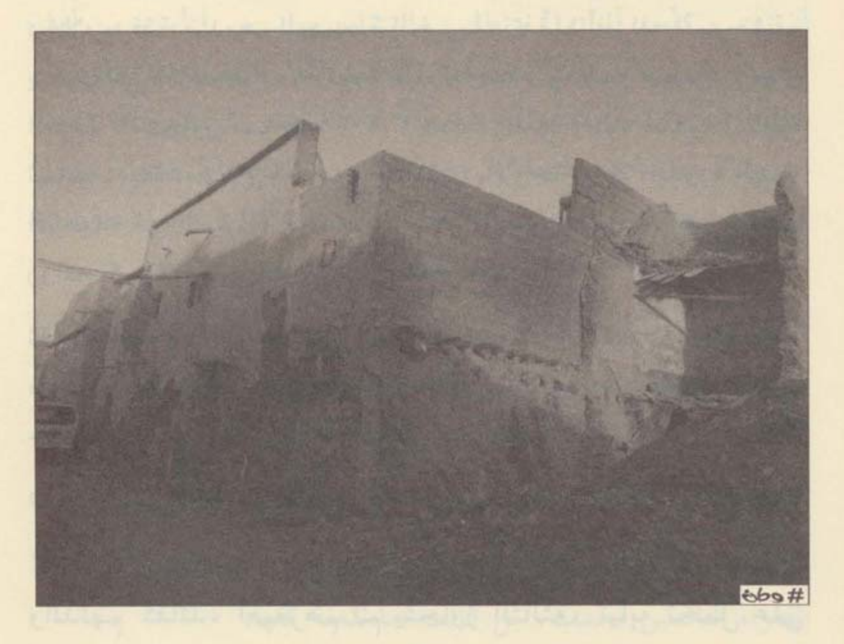
ملف الفقر السعودي بات يؤرق فهد التركي أكثر من ذي قبل، ينحت في دواخله أشياء لا تمّحي، في أول أيامه؛ حينما اعتنق هذا الطريق، حينما سار فيه مع المواكب السائرة، لم يكن يتوقع أن يُخلِّف فيه كل هذه الندوب، أن يسقط منه كل هذه الدموع، كان يحس بآلام مضاعفة، بأوجاع لا حد لها، فهو يتناول ملفاً مكدساً

بالأحزان والمواجع، أحزان تخيم على أهله، وجيرانه، وكل من يقاسمه تراب هذا الوطن!

«**لماذا يُهان السعودي في بلده؟!**»، تساءل بمرارة، ثم تمتم في اقتناع: «**فعلاً؛ الإصلاح في السعودية ليس مسألة فقهية!**»[١]

وصَلا عتبة المنزل، منزل العائلة الفقيرة..!

أطلاله الحزينة كانت تتحدث بفصاحة، ترجّلا من السيارة، وجعلا يتأملان حطامَه في صمت:



(١) مقال مهم للأستاذ إبراهيم السكران.

١٩

انتبه فهد لملاكه، هي شغله الشاغل هذا اليوم، أصابتها غصة، ستنفجر باكية في أي لحظة، يعرف ذلك من لغة عينيها، كانت تنظر لأطلال المنزل، لبقاياه، مكانٌ لا يليق بإنسان..

دخلاه برفقة مندوب الجمعية الخيرية، تفقّدا أطرافه الموحشة، يتكون من ثلاث غرف، ودورة مياه واحدة، ومطبخ صغير، إحدى الغرف لا تتجاوز مساحتها ٢ × ٣ أمتار، تأمّلا وجوه ساكنيه، كانوا ثمانية، يتقدمهم وجه أمهم المثقل بالأوجاع، مرّا بدورة المياه الوحيدة في المنزل، تخدم كل هذه الأنفس الثمانية، تفوح منها روائح كريهة، لا يوجد بها حتى فتحة للتهوية!

ثلاجة الطعام.. لاحظ فهد أنها غير موصولة بالكهرباء، فتحها.. فتألم قلبه، خاويةٌ على عروشها، دُهش حينما علم أن في المنزل جهاز تكييفٍ واحد، والآخر متعطل منذ عدة أشهر!

«**سجن صغير!**»، حدّث نفسه.

كانت الأسرة الفقيرة مجتمعة في إحدى الغرف، الصغار يحيطون والدتهم كقائد، أصغرهم لم يتجاوز الثالثة، ثيابه تحمل على البكاء، تبدّل لونها من كثرة الاستخدام، لم يستطيع فهد تمييز لونها الأصلي، بساط الغرفة مهترئ، طرفه محروق من جهة الباب!

حاول أن يُضاحك الصغار، أن يَستدعي ابتسامةً شاردة، أن يتظاهر ولو كذباً بالسرور؛ لكنه لم يقدر!

بين خيام الفقراء.. يولد البؤس، ويَشبّ بين رحالهم، ثم يظل طيلة أيامه يبتزّ دمعات الصغار، ليريق بعدها مياه الكبار، ثم لا يغادرهم.. إلا إلى حيث أضرحتهم!

«دموع الفقراء، دمعةُ فقيرةٍ واحدة.. تكفي لغمس رجولتنا في العار!»

تحدث مع أمهم، حاول أن يتجلد، جاء إلى هنا ليخفف عنهم، لا لينشر البؤس بينهم، سألها عما ينقصهم، عما يحتاجون إليه، سألها أن تعتبره كأحد أبنائها، وتطلب ما تشاء، وسيسعى لتأمينه من أهل الخير، فقالت بصوت مخنوق: «**الحمد لله.. الحمد لله على كل حال**»، ورأى دمعة تلمع في عينيها، كانت تكابر كي لا يراها أحد، تجاهد لإخفائها عن الصغار، هل كانت تريد الاحتفاظ بحزنها داخل صدرها فقط؟ نسي ماذا كانت تقول، جعل يتأمل دمعتها المقيدة، ليتهم رأوها قبل أن تمتد أيديهم لأموالها!

تأمل عينيها، يمكن أن تكون هناك دموع كاذبة، أو أحزان مفتعلة، لكن.. عينيها، البؤس الذي خلْفهما، شيء يفوق مقدرة البشر على التزوير!

كانت تقول: «**الحمد لله يا ولدي، نحن في ستر وعافية.**»

كانت صادقة، يعلم يقيناً رضى قلبها، وصبرها، لم تكن أماً لهؤلاء الفقراء البائسين فحسب، بل كانت أما للعفة كلها.

«**هل تعلمين ـ ياخالة ـ لماذا أنتم فقراء؟**»

«**بالتأكيد يا ولدي.. هذه قسمةٌ ونصيب.**»

«صحيح.. لكني أسأل عن السبب في فقركم؟»

«والله لا أعلم يا ولدي.»

مثل هؤلاء المتعففين.. لا يشعرون بقسوة الفقر، ولا بوطأته، راضون بمقاديرهم، هي خصلة حميدة ولا شك، لكنهم ربما لا يعلمون عن اليد التي سرقتهم، عن الحقوق التي صودرت منهم، مخادعون؛ هم من يأمر الفقراء بالصبر، بالتعفف، كان يجب أن يُعلِّموهم أدوات المطالبة بالحقوق، وطرائق إعلاء الصوت، وفنون الدعاء على الظالم، ثم بعد ذلك.. يختمون بكلمة صغيرة عن معاني القناعة والرضى!

أعين الفقراء، بقايا دموعهم، تلك الأوجه البائسة، أخاديد التعب، انحناءاتهم، حرمان السنين.. هل يا تُرى يصفحون؟ يسامحون سُرّاقَ الوطن؟

نحّى فهد وجهه جانباً، تظاهر أنه مشغول بهاتفه، كان يغالب دمعةً أبت إلا أن تغادر موطنها، أن تنعتق من بركان جوفه، هنا.. في **جزيرة الذهب**؛ فقراء سعوديون، فقراء متعففون، لم يعرف أطفالهم شكل المجمعات التجارية، ولم يروا في حياتهم قريةً للألعاب، ولا منتجعات بحرية، لم يسافروا خارج مدينتهم، ولم يدخلوا سوقاً قط.. كل حاجياتهم من صدقات المحسنين، يلبسون ما يأتيهم، وإن كان طويلاً أو قصيراً، لا يهم ذلك، فليس لهم حقٌ في الاختيار!

الصغار؛ الفقراء الصغار، لا يفقهون معاني التصبير، ولا مفردات الفرج والأمل، لا يقنعهم سوى تلبية طلباتهم المتعددة، طلبات الجوع واللعب، لذا.. فالفقراء الكبار؛ آباؤهم، يقاسون لأجل ذلك، تفنى أجسادهم، وأعمارهم، ودموعهم!

حاول فهد أن يكون لطيفاً، أن يزرع البسمة على شفاه الصغار، وزّع عليهم مجموعة متنوعة من الحلوى والألعاب، سأل طفلةً صغيرة: **«هل تدرسين يا جميلة؟!»**

أخبرته في حياء.. أنها درست الصف الأول الابتدائي فقط، ثم قالت: **«أمي.. تقول إنني سأكمل دراستي إذا أصبحتُ كبيرة.»**

كان صديقه؛ مسؤول جمعية البر يستمع صامتاً لكل ما يدور، تدخّل هامساً في أذن فهد، لا يريد أن يسبب حرجاً لأمهم: **«على الأرجح.. لا يملكون ثمن سيارة الأجرة لإيصال أبنائهم للمدرسة، أو ربما ليس لديهم ثمن أدوات المدرسة.»**

أحس فهد بحرارة تعتري جسده، بحقد عظيم، إذا بقي هنا سيفقد شيئاً من عقله!

أضاف صديقه: **«ورغم ذلك.. تُعتبر هذه أسرة مستورة الحال.. أقصد يمكنها العيش بشيء من الكرامة.»**

أجاب فهد محتداً: **«كل هذه المناظر.. وتتحدث عن الكرامة؟!»**.

«يا فهد.. لو رأيتَ السعوديين الذين يعيشون في الخيام.. على فتات الآخرين.. الذين يموتون في الحر مرة.. وفي الشتاء ألف مرة.. لو رأيتهم: لأدركت أن هذه الأسرة الفقيرة يمكن أن تصنّف في قائمة الأثرياء!»

«...»

أسهب صديقه في سرد بعض الوقائع التي شاهدها بنفسه، كان يُقسم أنه رأى مئات الأسر السعودية تعيش في العراء، لا يستترون إلا بالشراشف، وبعض القطع الكرتونية، وفي بعض الأحيان يقومون

بتجميع بعض الأخشاب، أو سعف النخل، ومن ثم بناء سقف صغير بها، يقيهم لهيب الشمس، وفيحها، أخبره أنه زار بعض القرى الفقيرة، بعضها لا تملك الحد الأدنى من مقومات الحياة، في مدارسها؛ بعض الطلاب يأتي من دون حذاء، وبملابس مشققة، وأحياناً يلبسون ثياباً صوفية في الصيف، ولا يجدون ما يأكلونه حتى موعد عودتهم لمنازلهم!

الفقر؛ إذا دخل بيتاً، إذا حل فيه، فإن أول ما يفعله.. أن يتسلل إلى قلب الأب، فيدمره، يعيث فيه، يسحق كل نبضه، ثم لا يكتفي بذلك فحسب، بل يتوجه بعدها مباشرة إلى الرحمة الخالدة، إلى حيث دموع الأم، فيجعلها تسيل من دون حساب، وحين ينتهي من ذلك كله، يستقر أخيراً على وجوه الصغار، على ملامحهم البريئة، ينتشر على النوافذ، على الحيطان المهترئة، في ملابسهم، في حديثهم، في طعامهم، في كل شيء!

«**سحقاً لمن كان السبب!**»، تمتم فهد.

الناس، جُلّ الناس؛ يحبون الفقراء، يتعاطفون مع هزائمهم، وخيباتهم، لكنه تعاطف سينمائي، تعاطف أجوف، ربما ترقّ قلوبهم للمشهد، وربما تدمع عيونهم، لكن سرعان ما ينتقلون لمشهد آخر، أكثر حركة، وأكثر تسلية، وكأن شيئاً لم يكن.

ودّعهم سريعاً، واتجه صوب سيارته، وقبل أن يغادر المكان، نظر إلى المنزل مرة أخرى، ثم أخرج قصاصةً ورقية من جيبه العلوي، كتب فيها بعض الإحصائيات الموثقة عن حي العود[1]:

---

(١) الفقر الحضري، د.عزيزة النعيم، رسالة دكتوراه.

ـ ٦ بالمئة من أُسر حي العود ليس لديهم أجهزة تكييف في المنزل، و ٢٥ بالمئة من الأسر لديها جهاز واحد فقط!

ـ ١١ بالمئة ليس لديهم غسالة ملابس!

ـ ٥٠ بالمئة من الأسر تعاني من انقطاع الأبناء عن الدراسة.

ـ ٤٠ بالمئة من أبناء الأسر عاطلون.

ـ ٧٧ بالمئة من الأسر غارقة في الديون!

ـ متوسط دخل الأسرة الشهري ٢٤٠٠ ريال، ودخل الفرد الشهري ٢٩١ ريالاً!

ـ للأسف.. نسبة بطالة الشباب في السعودية أعلى منها في البلدان التي تمنحها مساعدات (المغرب ـ الأردن ـ لبنان)، وتحتل السعودية المرتبة الثانية كأعلى نسبة بطالة للشباب في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا[٢]!

أيقن فهد؛ أن الاحتقان الذي يملأ أرصدة الفقراء، آلامهم، ضيق قلوبهم، ذلك الهم العريض، لن يطول سباته، سيتفجر يوماً ما، وسيُبعث على صورة دمعة، أو صرخة، وربما أمواج ثائرة، تقتلع كل ما يواجهها!

(٢) تقرير صادر عن منظمة العمل الدولية، التابعة للأمم المتحدة، موقعهم الرسمي.

٢٠

الرياض تختنق صباحاً، كل شوارعها الرئيسة تغص بالمركبات، تسير في قافلة ممتدة؛ بسرعة لا تتجاوز ٢٥ كلم/ س، كان يقود فهد سيارته على طريق خريص، اجتاز جسر الخليج، تأفف كثيراً، يومياً.. يخسر قرابة ساعتين في الانتظار المر، يقضيها بين التثاؤب والضرب على منبه السيارة!

اقترب من مقر شركته، من بوابة الدخول الرئيسة، أخفض من صوت المذياع، ثم أخرج بطاقة الشركة، وضعها على الجهاز الإلكتروني، ففتحت البوابة تلقائياً..

إلا أنه تفاجأ بأحد موظفي الأمن يشير إليه بالتوقف، يعرفه، أكثرهم طيبةً وأخلاقاً، تربطة به علاقة سطحية، لكنها ودودة.

«**صباح الخير**»، بادر فهد قائلاً.

لاحظ في وجه موظف الأمن ارتباكاً غامضاً، يتذكر مرةً أنه باح له ببعض همومه، يعمل تحت الشمس الحارقة ساعاتٍ طوالاً.. تأكل من جسده ومستقبله، راتبه ٢٠٠٠ ريال فقط، بلا بدل للسكن، ولا تأمين، ولا مواصلات، ثم يطالبونه بعد ذلك بالإنتاجية في العمل؟!

سعوديون في القطاع الخاص، آلافٌ منهم يعيشون عيشة مضنية، يعملون قرابة ١٢ ساعة يومياً، تخور قواهم عند الساعة السادسة مساءً، يتوجهون إلى منازلهم مُثقلين، نصف الأطفال قد ناموا، لم

ينعموا حتى بالجلوس معهم، ساعةٌ أو مثلها. . ثم تنهار قوى الأب، فيستسلم لنوم مرهق، لا يستيقظ إلا مع بداية اليوم التالي!

قال موظف الأمن في حياء وارتباك: «**آسف.. أخ فهد، والله إنني مُحرج منك.**»

انتظر فهد تتمة حديثه، لم يقاطعه، يبدو من كلامه أن هناك أمراً كبيراً يخفيه، لاحظ أنه لم يبدأ بالسلام، ولم يرد حتى على تحيته!

«**يبدو أنه يمر بضائقة مالية.**»، خمّن فهد.

أضاف موظف الأمن بعد تردد: «**والله إن الأمر ليس بيدي.. وليس لي علاقة بالموضوع.**»

«**أي موضوع؟!**»

«**البارحة.. وردتنا أوامر من الإدارة العليا.. أوامر بعدم السماح لك بالدخول إلى الشركة.**»

«**.....؟!**»

«**أرجوك يا فهد.. اعذرني.. والله إني مجرد عبد مأمور.**»

«**ولكن.. لماذا؟!**»

«**آسف يا فهد.. أن أكون أول من يوصل لك الخبر.. المدير.. لقد أصدر المدير العام قراراً..**»

«**تكلم بسرعة..!**»

«**أصدر قراراً.. بفصلك من الشركة!**»

٢١

مكث فهد عدة ساعات مذهولاً، لم يستطع تصديق ما يحدث!

استهدافُ مصدر رزقه.. يعني تدمير قواعده الأساسية!

عاد إلى بيته.. يحمل راياتٍ بيضاء متعَبة، مشبعة بالذهول والخيبة، تلقته ملاكه عند الباب بحفاوة، تخبئ شيئاً خلف ظهرها، كانت تتحدث بكلام كثير، حاول أن يجاملها، أن يخفي عنها الخبر حتى تهدأ نفسه، يحبها، يخشى أن يفْجأها الخبر، فتنهار، بالكاد استطاع إخراجها من عزلتها المرضيّة.

أخرجت له ورقة، كان مرسوماً عليها وردة صغيرة، أخبرته بإسهاب عن اسمها، ووقت نموها، وعمرها الافتراضي: «**سأشتري مثلها يا فهد.. سأشتريها يوماً ما. قررتُ أن أملأ فناء بيت العمر منها، ستكون جاذبة للأنظار.. اعتمدْ على ذوقي هذه المرة فقط.**»

استلقى فهد على الأريكة، يحس بأوجاع ووسوسات تحيط به، أفكار غزيرة تهطل عليه، قبل عدة أشهر.. تم تكريمه على أدائه المتميز في الشركة، واليوم يتم فصله من دون مقدمات: «**جاسر السليمان.. تباً لك..!**»

تذكر إيجار الشقة، كيف سيستطيع تأمينه؟!

منزل العائلة.. هو الخيار الوحيد، غرفةٌ واحدة تكفيهم في مثل هذه الظروف، تذكر أوجاع ملاك، مرضها، ماذا سيفعلون بالتأمين الطبي: «**سيلغونه بالتأكيد!**»

منذ البداية.. كان يعلم أن خصمه أكبر منه، أنه أكثر نفوذاً وقوة، يفهم طبيعة هذه الهجمة الشرسة ضده، يعلم أنها ردة فعل طبيعية: «**السارق سيثور إذا ناديتَه باسمه الحقيقي، وقلتَ له: كُفّ عن السرقة! سيحاربك بكل ما يملك!**»

السارق؛ لا يريد من أحد أن يرفع رأسه، أن يعكّر عليه صفو سرقاته، يريد أن يسرق وهو هانئ البال، سيحارب كل من يفعل ذلك، كل من يتحدث عن العدل، عن عواقب الظلم: «**يريدنا أن نتهجّد خلف المحاريب.. ونصمت!**»

كان يفهم تماماً وعورة الطريق الذي يسلكه، أشواكه، تضحياته، لكنه لم يكن يتوقع أن ينزل خصومه لأساليب دونية، لأن يستخدموا بعض أساليب **المافيا** في تصفية خصومها، لم يكن يتخيل أن يصل الأمر لمحاصرته اقتصادياً، لفصله من وظيفته، أيقن فهد أنه يخوض معركته الأخيرة، معركةً خاسرة بكل الأفهام..

راودته فكرة هزلية، استحالت بعد دقائق إلى اقتناع راسخ، قام من مجلسه، فتح جهاز الآيباد، قرر أن يتحامل على آلامه، لن يسمح لأحد أن ينظر إليه وهو يعاني:



فهد التركي
@AlturkyFahad

شكراً لهم..

اليوم.. تم فصلي من وظيفتي!

#وطن

3250 RETWEETS 958 FAVORITE

ستُحدث تغريدته كثيراً من الصخب، والجدل، سيوزعون التهم على عدد من الجهات، جعل التغريدة مبهمة، ومختصرة، فكّر: تصعيدُ الموضوع إعلامياً ربما يسبب لخصومه حرجاً، على الأقل يجعلهم يُحجمون عن أي خطوة أخرى!

يحس برغبة ملحّة في إغماض عينيه، في الاختباء في مكان لا يراه فيه أحد، إحباط مختلط بخوف، مشاعر متداخلة، حمل همّ ملاكه، وقْع الخبر عليها، تأثيره على صحتها، أحلامها التي بنَتها..

فتح موقع قوقل، كتب عدة كلمات في خانة البحث، حدّث نفسه:

«**من اليوم.. أصبحتُ عاطلاً.**»

«**هل سأزيد نسبة البطالة في بلدي؟**»

«**سحقاً.. !**»

دفعه فضولٌ للتأكد من نسبة البطالة في السعودية، أصبح ينتمي إلى هذا العالم الحزين، وجد كثيراً من المقالات، والقصص، والقصائد..

أوجاع لا تنتهي!

الإحصائيات الرسمية تفيد أن نسبة البطالة لا تزيد عن ١١ **بالمئة**.

«**هراء.. !**»

تصفح عدداً من الموضوعات في إحباط، ثم وقع نظره على مقالة مفصلة كتبها الاقتصادي عبد الحميد العمري، يؤكد فيها أن نسبة البطالة في السعودية هي **٣٧ بالمئة** من مجموع الباحثين عن العمل السعوديين، وذلك بعد إخراج العمالة الوافدة من الحسابات، وهي نسبة مقاربة للواقع، ولأرقام منظمة العمل الدولية!

«.. **وزِدتُ رقماً**..»

٢٢

حفلةٌ راقصة، كانت تدور داخل قصره الممتد، له سورٌ خارجي مهيب، يبلغ ارتفاعه قرابة ٤ أمتار، وفي أعلاه سور حديدي مُسنّن، ومن خلف ذلك صفٌّ كثيف من الأشجار.

لإحياء هذه السهرة.. تَم استئجار عدد من المغنيات من ثلاثة بلدانٍ عربية، بصحبتهن خمس راقصات، لم يكن للحفلة أي مناسبة، أحس **السيد الكبير** بشيء من الملل، فأمر بشيء يُبهج!

بلغت تكاليف السهرة أكثر من ٨ ملايين ريال، دفعها مدير مكتبه، كان إجراءً روتينياً، لم يرجع فيه حتى **للسيد الكبير**.

٢٣

وسوسات قاتلة، وضيقٌ شديد، لم يستطع فهد التركي الاحتمال أكثر، شقته لم تعد تسعه، موعد سداد الإيجار سيحين بعد شهرين، قرر الخروج، لا يدري أين يتجه، تفحص سيارته، كان يخطط لتغيير إطاراتها، سيكلفه قرابة ٢٠٠٠ ريال، لن يفعل، سيهز ذلك ميزانيته الجديدة، لا بد من تأجيل هذا المشروع قليلاً، فلم يدخر كثيراً من المال، سيستغل ما تبقى من ماله في الضروريات فقط، يتمنى ألا يضطر للاستدانة!

ركب سيارته، رأى **ورقة دعائية** وُضعت على الزجاج الأمامي، تأفف من موزعي الدعايات!

«منشورات.. تافهة.. تافهة!»

كثيراً ما يُلقيها من دون قراءة، أو يدَعها حتى تذروها الرياح.. تركها وشأنها هذه المرة.

لا يدري أين يتجه، له أصدقاء كُثر، هل يطلب منهم المساعدة للحصول على وظيفة جديدة؟

«ماذا لو سألوني عن سبب فصلي؟ بالتأكيد لا يريدون الدخول مع خصومي في مواجهة مباشرة!»

مرت به خواطر لا تنتهي، لا بد أن يتخفف من بعض متاعه، فكر أن يبيع سيارته، أو بعض أثاث المنزل، إلا أنه استبعد الفكرة تماماً، لابد أن يجد عملاً بديلاً في أسرع وقت: «**ربما سيحاصرونني في وظيفتي الجديدة!**»

موسم شد الأحزمة سيبدأ، لا مطاعم فخمة، لا سفر بعد اليوم، شراء الكماليات.. لا بد أن يتوقف!

«**ملاك يجب ألّا تشعر بالأمر!**»

اتصل به صديقه عماد اليوبي، كان يريد الاطمئنان عليه، معرفةَ آخر أخبار قصته، لم يكن فهد في حالة مزاجية تسمح له بالإسهاب، حاول الاختصار بلطف، كان يقود سيارته ببطء، ينظر للأمام، ركز النظر جيداً، اتسعت عيناه من الدهشة، قفز قلبه..!

أغلق خط الهاتف في وجه عماد من دون شعور!

توقّف جانباً: «**متأكد.. متأكد.. هي نفسها!**»

ترجّل من سيارته في ارتباك، توجه للزجاج الأمامي للسيارة..

مظروف..!

ليس عليه أي علامة من الخارج..!

ليس منشوراً دعائياً كما توهم!

«**كيف لم أنتبه؟!**»

فتح غلاف المظروف.. قلبه.. يحدثه بشيء!

صرخ..! صرخ من أعماق قلبه..!

تمعن في الورقة وهو لا يكاد يصدق نفسه، استمر، شعار استمر:

ووجد العبارة التالية تحت كلمة استمر:

«نتعهد بدفع راتب شهري قوامه ٣٠ ألف ريال، كما نتكفل بأي مصاريف أخرى تحتاجها

استمر.»

٢٤

كان فهد غارقاً بين أوراقه، منهمكاً في تحضير بحثٍ ميداني عن آثار البطالة على حياة الشاب السعودي، فكر كثيراً لماذا وصلت البطالة إلى هذا الحد المخيف؟ قرأ كثيراً من التحليلات الاقتصادية، واطلع على كثير من آراء المختصين، إلا أنها لم تقنعه تماماً، هناك حلقة مفقودة، كلما حاول التفكير في سبب مقنع، في سبب حقيقي.. يعود إليها، ويرتد تفكيره نحو عامل واحد، نحو العابثين بأموال الوطن، نحو سراق الوطن، هم السبب الأول في كل ذلك، وما سواه.. لا يعدو إلا أن يكون سبباً فرعياً!

كان يفكر في هؤلاء السراق اللئام، متخيلاً ولو حلّاً وسطاً، فلو أنهم حين يسرقون.. يُبقون لأفواه الفقراء بعض الفتات: «**تبّاً لهم؛ حتى الفتات.. يُصادرونه!**»

ربما يفهم الناس دافع الذي يسرق؛ ليسد جوعه، أو جوع صغاره، لكن لماذا يسرق الأغنياء أيضاً؟ ولماذا يتظاهر بعضهم بالتقوى، وحب الفقراء؛ رغم أن الجميع يشاهد سوءَتهم؟!

السُّرَّاق المتقون، الذين يلبسون عباءة الشرف ثم يستمرون في السرقة، فيهم شبَهٌ بالشمس، منظرها يأسر وقت الغروب، تخادع العين، ليست هذه صورتها على الدوام، لكن الناس لا يصفقون لها إلا تلك اللحظات، وينسون ما تفعله بهم سائر اليوم!

كان فهد يدرك شيئاً واحداً، يؤمن به إيماناً عميقاً، يختصر كثيراً من التحليلات، والبحث عن المسببات، كان يدرك أن: **السرقات المليارية، تتمدد في الأزمنة الساكنة، في أجواء الصمت، تحت أفياء الخوف، ولا تنحسر إلا حينما يرتفع الصخب، وتتعالى أصوات الضجيج!**

خُلق الفساد عارياً، لذا لا يستطيع أن ينتشر إلا في الظلامٍ، وفي الأمكنة الخربة، ليستر شيئاً من سوءته، هل عرف الناس سارقاً يعاقر جُرمه وسط النهار؟!

دخلت عليه ملاك خلسة، تحمل بين يديها كوبَي شاي، قالت مداعبة:

«**توقف.. هنا بالضبط.. سلِّم كل ما بيديك، ثم اقرأ الكلمة التي توقفت عندها!**»، كثيراً ما تمازحه بهذه الطريقة، أحياناً.. إذا رأته سارحاً في تفكيره، تقبض على معصمه بلطف، وتقول له: «**من دون مراوغة.. أخبرني بماذا تفكر فيه الآن؟!**»

ابتسم لها فهد، لا يملك إلا أن يفعل، رفع ورقةً أمامها، وقال: «**هنا.. وصلتُ لموضع حساس من الحكاية، أعرف أن هواكِ حكوميّ صميم، لكن سأخبرك بناءً على طلبك!**»

أشار إلى الورقة، وأخبرها أنه استبيان صغير بعنوان (هموم المواطن السعودي)، قام بإعداده أحد الناشطين في مواقع التواصل الاجتماعي[1]، وكان إجابةً على سؤال: (ما أهمية القضايا التالية بالنسبة إليك كمواطن سعودي؟):

«**موضوع لا يهمكِ.. أليس كذلك؟!**»

«**مادام أن الموضوع فيه هموم.. فهو يهمني بالتأكيد.**»

---

(١) استبيان أجراه أ.عصام الزامل.

«أعرفكِ.. تحبين الاختصار، نتيجةُ الاستبيان.. تُظهر أن أهم القضايا التي تهم المواطن السعودي هي على الترتيب: الفساد المالي، غلاء السكن، إصلاح التعليم، البطالة، إصلاح القطاع الصحي،..»

«يكفي.. يكفي.. ما رأيك أن تتناول الشاي قبل أن يبرد؟»

لم يغب عن ذهن فهد التركي.. القصة الغامضة، قصة (استمر)، كانت بدايتها في المطعم.. مثيرة للشك، وباعثة على الخوف، لم يفهم سر هذا الدعم الذي وُعد بتقديمه، هل هي مساعدة حقيقية؟ هل حقاً سيدفع ٣٠ ألف ريال شهرياً؟ أم هو استدراج لشيء مجهول؟

تساءل فهد؛ لو كان دعماً حقيقياً.. فلماذا يتم بهذه الطريقة الغامضة؟ وهل لصاحبه دافعٌ أو مصلحةٌ في فعل مثل ذلك؟

ولماذا يصر على إخفاء شخصيته؟

«المخيف في الأمر.. أنه على اطلاع بتحركاتي، وربما يراقبني بشكل مستمر!»

تذكر قصة المقال والندوة التي تم منعها أولاً، ثم جاء الاعتذار عن ذلك بشكل مبالغ فيه، تساءل.. **هل كان يقف خلف ذلك كله مُرسل (استمر)؟**

رن هاتفه المحمول، أحس بتوتر حينما رأى اسم المتصل، استرق النظر لعيني ملاك، لم تلاحظ شيئاً، أخفض من صوت السماعة الداخلية وأجاب: «**مرحباً..**»

«أود التحدث معك.. لديّ خبر عاجل، أنا في طريقي إلى منزلك!» قالت غادة الإبراهيم.

«**إلى منزلي؟!**»، حدّث نفسه، وهو ينظر إلى ملاك.

تردد فهد، لا يدري بماذا يجيب، هي المرة الأولى التي يفعلها، أن يُدخل فتاة إلى منزله، ماذا لو لاحظت ملاك؟ أحس بحرج مباغت: «**لا أعلم.. ربما لا يناسب.. منزلي فيه بعض الإصلاحات، ما رأيك أن نلتقي في جافا تايم؟**»، قال مرتبكاً.

«**لا بأس.. أراك هناك.. باي.**»، قالت غادة.

أخبر زوجته أنه طرأ عليه موعد عاجل، تأسف منها كثيراً، لن يستطيع تناول الشاي معها، ثم غاب سريعاً لارتداء ملابسه، أحست ملاك بشيء غريب، دفعها للتساؤل عن سبب ارتباكه المفاجئ، وعدم رغبته في دخول هذا الضيف إلى منزلهم، رأت هاتفه المحمول على الطاولة، شرعت في تفتيشه، المكالمة الأخيرة، اسم غريب، تعرف معظم أصدقائه، هي المرة الأولى التي يمر بها هذا الاسم، انتشرت كل الشكوك في قلبها، ضغطت على زر الاتصال، ثم وضعت السماعة بجوار أذنها: «**أهلاً فهد.. أرجو ألا تكون قد غيرت رأيك؟**»، أجابت غادة.

أغلقت ملاك الهاتف سريعاً، وقد استعمرتها جيوش الشك!

اتجهت ملاك لغرفة داخلية، اتصلت على الفور بأخيها: «**محمد.. أرجوك تعال بسرعة.. أريدك أن توصلني إلى أحد المقاهي القريبة.**»

طلبت ملاك من أخيها ألا ينزل من السيارة، دقيقة واحدة وستعود..

اتخذت مقعداً بالقرب منهما، وعلى الرغم من الساتر الذي يفصلهما، إلا أنها تستطيع الرؤية بشكل جيد من فتحاته الجانبية!

وحيدان؟

لاحظت أن الفتاة قد نزعت طرحتها، كانت تتحدث بأريحية كبيرة، تضحك كثيراً، استفزتها ضحكتها، لا بد أن بينهما علاقة قديمة، لا يمكن أن يكونَا كذلك في أول لقاء!

فتاة المطعم.. ذاتها!

فهد؛ كان يضحك لها، يتحدث معها في انطلاق، يبدو سعيداً معها، عيناه.. بدتا متسمِّرتين على غادة، تتبعان كل حركاتها وسكناتها، بدا مسحوراً بها، تعرف تعابير قلبه، تعابير دهشته، ثم ماذا بعد؟!

بدأت ملاك تشتعل، جسدها كله، لم تصدق أن.. أن فهد يتجرأ، يتجرأ على خيانتها، على سحق كرامتها، يبيع مَرضها وأتعابها، كادت أن تسقط على الأرض، كل شيء حولها يدور، يتصدع، أول مرة في حياتها تتعرض لمثل هذا الموقف، جنينها صار يُثقلها أكثر، وخطيئةُ فهد.. زادتها وهناً على وهن!

«**فهد.. استعجلتَ رحيلي؟**»، صرخ قلبها باكياً.

ركزت ناظريها على غادة، حديثها، حركاتها، لبسها، ضحكاتها.. كانت تغلي!

لكنها انتبهت لشيء.. لشيء أكثر أهمية.. انتبهت له.. أوجع قلبها.. أوجع كل شيء فيها!

«**متأكدة.. هو.. ليس غيره!**».

رأتها تلبسه.. تلبس **العقد** ذاته!

العقد الذي اختارته بنفسها، الذي أصرت أن تدفع ثمنه من حسابها الشخصي!

«أنت كاذب يا فهد.. كاذب.. ولئيم!».

زعم أنه سيهدي هذا العقد لأخته! لكنه كان يكذب..!

أحست بالخيانة، ذاقت طعمها، علقماً، تذكرت كم أحبته، كم تحاملت على آلامها لإسعاده، سبع سنوات، يبيعها لأجل إحداهن، تذكرت عينيه، دمعاته، يوم أن بكى من أجلها ذات مساء، هل يمكن لهاتين العينين أن تخونا؟ هل عاشت في كذبة كبيرة؟ أحست بنيران تحيط بقلبها، بمشاعر الاختناق، بوادر انهيار كبير، لا بد أن تغادر المقهى حالاً، ستسقط في أي لحظة، أخرجت مرآتها، تأملت في تقاسيم وجهها، هل ملّه فهد؟ هل مل الانتظار الطويل؟

بعض الجراح؛ يغمرها النسيان، ويجتثّ حتى تشوهاتها الصغيرة، إلا أن جرح الخيبة، جرح الخيانة.. لا يموت، ولا يلتئم، يظل ساقي الحزن يتعاهده كل ليلة، يجعله ينزف حتى يحين موعد التلف الأخير!

انهارت قواها، لم تعد تطيق سوى البكاء..

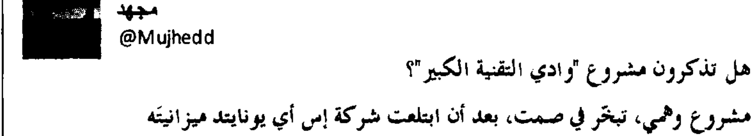
شيء واحد.. كانت تفكر فيه، تهاوت خلفه كل أيام الرضى، كل ليالي الحب، لن يطفئ نيرانها سواه.. قلبها صار يردده.. يتوق إليه:

إخبارُ أخيها.. الانفصال.. الطلاق.. لن تبيع كرامتها من أجله، من أجل رفيق.. يخون!

٢٥

أحس «**ضوء**» باختناق جديد، سلسلةٌ من الإخفاقات مر بها مؤخراً، رغم أنه كان يغيّر أسلوبه كل مرة، قرر دخول عالم تويتر.. خصيصاً لتعقب شخصية **مجهد**، لمحاولة إسقاطه، يختبئ خلف مُعرِّف مستعار، «**ضوء**».. اسمٌ محايد، لا يدل على شخصية، ولا جنس معيّن، كما إنه يُعفيه من أي تبعة قانونية!

قرأ تغريدات مجهد الحديثة، يكاد ينفجر غيظاً، في جوفه أطنانٌ من الحقد الأسود:


مجهد
@Mujhedd

هل تذكرون مشروع "وادي التقنية الكبير"؟

مشروع وهمي، تبخّر في صمت، بعد أن ابتلعت شركة إس أي يونايتد ميزانيتَه البالغة 11 مليار ريال!

#وطن

415 RETWEETS 177 FAVORITE

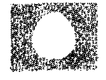
اقتحم **ضوء** أسوار تويتر بقوة، وكوّن شعبية كبيرة في عدة أسابيع، انفرد ببعض المعلومات المثيرة عن مجهد، وعدد من الشخصيات الهامة، كتب سلسلة من التغريدات عن **مشروع مجهد الفضائحي** كما أسماه، وكشف فيه عن ملامح الشخصيات التي تقف خلفه، وكيف

يتم الحصول على الخبر، ومن ثم طريقة صياغته، والجانب التهويلي فيه، وذكر أن ٤ شخصيات تقف خلف معرِّف مجهد، أحدها شخصية نافذة جداً، تم تنحيتها مؤخراً من منصبها، حيث شكلت مصدراً خصباً للمعلومات، بسبب حساسية موقعه السابق، وتمتعها بشبكة علاقات واسعة، والتي ما زالت تتواصل معها لأسباب معلومة لديه.

كما كشف أن هناك شخصية واحدة فقط.. تصوغ المادة النصية، وتُدير الحساب الإلكتروني، وهي شخصية ناشطة في مواقع التواصل الإلكتروني، ومشهورة بمعارضتها للسياسة السائدة، وهدد بكشف اسم المجموعة كاملة، مشفوعاً بعدد من الوثائق الهامة!

كل ذلك.. إذا لم يتوقف حساب مجهد خلال اليومين القادمين!

قرر أن يفجر إحدى مفاجآته الآن، كان يستبق الأحداث التي خططها لنفسه، وكتب:



ضوء
@Dauuaa

عاجل:

وصلتنا أنباء مؤكدة أن مدير حساب مجهد: المدعو (ف.ت).. يلتقي الآن بمسؤول إحدى المخابرات الأجنبية في أحد الفنادق.

التفاصيل لاحقاً

154 RETWEETS 33 FAVORITE

٢٦

ترجّل فهد التركي من سيارته، واتجه صوبه!

رآه مُنكساً رأسه، يجر جسده في تثاقل، قرأ فهد في عينيه قصةً حزينة، رآهما ذابلتين، قبل دقائق.. دار بينهما حوار هاتفي، كان يفيض مرحاً، وبهجة، ما الذي غيره بهذه السرعة؟

«عماد.. خيراً إن شاء الله؟!»

صافحه ببرود، ثم أشار عماد خلسة إلى جهة اليمين، وقال: **«ذلك الرجل.. احفظ ملامحه جيداً، وسأخبرك كل شيء عنه لاحقاً!»**

دخَلا مركز غرناطة التجاري، توجَّها نحو قسم المطاعم، وجلسَا حول إحدى الطاولات، تحادَثا طويلاً، ثم تذكر فهد أخيراً:

«ولكنك.. لم تخبرني عن قصة ذلك الرجل؟!»

تحدث عماد بحزن، عاودته ذكريات موجعة، دوماً يحاول الهرب منها: **«ماذا رأيتَ في ملامحه؟»**

«الصراحة.. لم أنتبه جيداً، لكني رأيت وقار الآباء.. يُشرق من شيبته»

«تمنيت أنني لم أقابله.. فلم أكن أريد أن أوقعه في حرج!»

«وما هي قصته؟»

أخبره عماد، كان صديقاً مقرباً لوالده، كان يقْتطع شطر ماله، يدخره

ليومٍ سعيد، ليوم يشتري فيه بيت العمر، يضم شتات نفسه وعياله، بعد مشوارٍ من الكفاح. استمر لأكثر من ثلاثين سنة: «**قُبيل تقاعده يا فهد.. بأشهرٍ قليلة فقط.. رمى ماله كله في جهنم!**»

«**جهنم؟**»

«**في سوق الأسهم.**»

«**ثم ماذا؟!**»

«**النهاية معروفة.. إنه يسكن الآن مع أخيه الأصغر.. في شقةٍ مستأجرة!**»

هز فهد رأسه متأسفاً، ثم أضاف: «**ولكن لم أفهم سر الحرج والارتباك الذي تتحدث عنه؟!**»

«**استدان من والدي عشرة آلاف ريال.. أعرف حالته المادية، لا يستطيع سدادها! لديه سيارة ليموزين الآن.. يعيش عليها!**»

أطلق عماد اليوبي زفرة شاكية، ضيقٌ يعتريه كلما تذكر هذا الموضوع: «**الشعب السعودي مُتعب، والله إنه مُتعب يا فهد، الأسهم.. المساهمات الوهمية.. الفساد.. غلاء المعيشة.. غلاء الأراضي؛ بالله عليك: متى يرتاح المواطن السعودي من عناء هذا كله؟!**»

«...»

«**والله إني أتألم يا فهد، وأحزن كثيراً، لماذا أعيش محتاجاً في بلدي، أغنى بلاد العالم، ثروته تبلغ عنان السماء، لماذا أُضطرَ للعيش والكدح حتى سن الستين.. لأستطيع بناء بيت صغير لعائلتي، نحن في بلد تجري من تحته الأنهار، أنهار النفط، ومع ذلك ما زال الكثيرون يعيشون تحت رحمة راتبهم الشهري، يُقتِّرون**

على أنفسهم في أيام الشهر الأخيرة.. لماذا يحدث كل هذا؟!»

أسهب عماد اليوبي في الحديث، منفعلاً كان، يشعر بخطرٍ يتهدده شخصياً، ما زال في أول شبابه، في حياته الجامعية، سيمر عبر **بوابة الأحزان السعودية** كاملة، سينضمّ إلى قوافل العاطلين لسنتين أو ثلاث، سيريق ماء وجهه حتى يحصل على وظيفة صغيرة، ستَفنى أجمل سني حياته ليجمع مهر عروسه، وثمن مسكنه المتواضع، وبعد ذلك.. سيظل ينظر من بعيد.. إلى بيت العمر؛ وكأنه سراب كاذب!

البنايات الشاهقة، القصور الفخمة؛ حينما يمر بجوارها السعودي البسيط، فإنه يشعر بالأسى، يشعر أنها لا تنتمي إليه، مع أنها بنيت من دمه وماله، شعبٌ كريم؛ لا يعيش إلا على البقايا، بقايا الرماد، بعد أن تعب السراق من اللهو طوال الليل، ولم يتركوا سواه، سوى بعض الرماد!

مساحات الفرح في حياة السعوديين تتصاغر مع الزمن، وأمامها سنوات عجاف.. حين يكبر الجيل الشاب، وتكبر معه احتياجاته.

«**يبدو أن الموضوع لا يهمك كثيراً؟**»، قال عماد اليوبي.

«**سامحك الله! كنت أَحسِب كم سنةً من التوفير.. يحتاج الموظف السعودي ليحصل على بيت العمر!**»

رد عماد ساخراً: «**هل تصدق أن تملُّك المنزل.. أصبح من أسباب العين والحسد؟!**»

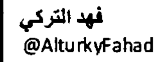
«**للأسف يا صديقي؛ هنا بالقرب منا.. في الكويت والإمارات ١٠ بالمئة فقط من مجموع السكان.. ليس لديهم بيوت يملكونها، أما هنا في السعودية..**»

«بالتأكيد.. ستكون الأرقام كارثية!»

«نعم يا عماد، السعوديون.. أنهكتهم الإيجارات، هل تصدق أن ٧٠ بالمئة من السكان لا يمتلكون منزلاً خاصاً؟!»

المسكن، البحث عن عش هانئ، عن استقرار، بعيداً عن ضغوط الإيجار.. ليس هماً يؤرق الفقراء، ومحدودي الدخل فقط، بل صار يطارد غالبية المجتمع السعودي: **«إذا كان ٧٠ بالمئة من السعوديين ليس لديهم مساكن يملكونها، فهذا يعني أن قرابة ١٤ مليون سعودي من أصل ٢٠ مليوناً.. يعيشون تحت أسقف لا يملكونها! أليست هذه كارثة يا عماد؟»**

لم ينتظر الإجابة منه، بل بادر بفتح هاتفه المحمول، وكتب تغريدة سريعة:



المواطن السعودي؛ يعمل أكثر من ٣٠ سنة ليحاول توفير ثمن "بيت العمر"، ولكنه يصاب بغصة حين يعلم أنه سيبنيه ليعيش فيه ورثته من بعده!

#وطن

391 RETWEETS 156 FAVORITE



بحث فهد في محرك البحث، يريد الوصول لمقالة سبق وأن قرأها[١]، تتناول الموضوع ذاته، وتقارن سعر السكن في السعودية بأهم المدن العالمية، وتستخدم معياراً يسمى **مكرر المتوسط** لامتلاك المنازل

(١) مقال لـ أ. عصام الزامل، مدونته الشخصية.

(Median Multiple) وهذا المكرر: (هو متوسط سعر المنزل تقسيم صافي متوسط دخل الأسرة)، وهذا المعيار هو المعتمد من قبل البنك الدولي والأمم المتحدة ومراكز الأبحاث في جامعة هارفارد.

«ركِّز معي قليلاً يا عماد.. معلومات مهمة، وسهلة.. حسب معايير البنك الدولي والأمم المتحدة فإن (المكرر المتوسط) لامتلاك المسكن.. إذا كان يقلّ عن ٣ فإن المنزل سعره مناسب وصحي من الناحية الاقتصادية.»

«لم أفهم شيئاً.. ماذا تقصد بالرقم ٣»، قال عماد.

«المكرر.. يساوي مجموع رواتب الشخص لمدة ثلاث سنوات في هذه الحالة.»

«أنا بليد يا أخي في الرياضيات.. هكذا كان يقول أستاذي»، قال عماد ضاحكاً.

«يبدو أنني سأحتاج إلى لوحة حائطية لأشرح لك.. ركز معي دقيقة واحدة، لا يحتاج الأمر لعقل رياضي جبار!»

فصّل له فهد الموضوع بشكل مبسط، شرح له معنى **المكرر المتوسط**، وأنه إذا كان ٣ فإنه يساوي مجموع رواتب الشخص كاملة لمدة ثلاث سنوات، فلو كان راتبه ١٠,٠٠٠ ريال، فإن المنزل يكون سعره مناسباً. إذا كلف المشتري ٣٦٠,٠٠٠ ريال.

«تخيل.. هذا هو السعر العالمي المعتدل!»

أكمل شرحه؛ ولو زاد المكرر عن ٣ فإن السعر يعتبر مرتفعاً قليلاً، أما لو زاد على ٥ فهو مرتفع بشدة!

وأشارت دراسة عالمية إلى أن **متوسط مكرر** امتلاك منزل في أمريكا

بشكل عام هو ٣ فقط، أما المكرر في نيويورك ـ إحدى أغلى مدن العالم ـ فهو ٦,١، وكان المكرر في لندن ٦,٥، أما هونج كونج ـ وهي من أغلى مدن العالم بحكم صغر المساحة والشح الحقيقي للأراضي ـ فإن المكرر كان ١١,٤

سأل عماد: «**المهم.. كم هو المكرر لدينا في السعودية؟**»

أوضح له فهد؛ إذا كان متوسط رواتب موظفي الحكومة هو حوالي ٧٣٠٠ ريال، ومتوسط أسعار المنازل ـ حسب دراسة للبنك السعودي الفرنسي ـ فهو ١,٢٣ مليون ريال:

«**بناء على هذه الأرقام.. فإن مكرر المتوسط في السعودية هو ١٤.**»

علت وجه عماد اليوبي تعابير محبطة: «**رقم كبير بالفعل، وتجاوز المعدل الطبيعي.. لكن ماذا يعني الرقم ١٤ بالضبط؟**»

«**يعني أن الموظف الحكومي يحتاج أن يجمع (كل) راتبه لمدة ١٤ سنة حتى يتمكن من امتلاك منزل، وهذا الرقم أعلى من كل مدن العالم الرئيسة، وأعلى حتى من هونج كونج!**»

أضاف فهد: «**أما لو قمنا بحساب المكرر باستخدام رواتب موظفي القطاع الخاص ـ ومتوسطها حوالى ٣٥٠٠ ريال ـ فإن المكرر سيكون ٢٩، وهو رقم يدل بكل بساطة على استحالة امتلاك منزل لغالبية موظفي القطاع الخاص!**»

سأل عماد: «**وماذا لو كان المسكن مجرد شقة صغيرة؟**»

«**سؤال منطقي.. المكرر لشقة صغيرة مساحتها أقل من ١٩٠ م^2 سيكون ٦ للموظف الحكومي، و ١٤ لموظف القطاع الخاص!**»

ختم فهد حديثه بعبارة اقتبسها من المقال: «**ما يحدث في سوق العقار**

السعودي.. هو أمر خارج عن كل النواميس الطبيعية للاقتصاد!»

قام فهد التركي من مجلسه محبطاً، معلنا رغبته في المغادرة، وفض اللقاء: «**آسف يا عماد.. لدي رغبة في المغادرة سريعاً، يبدو أننا نعيش في غابة مليئة بالوحوش المفترسة!»**

طلب منه عماد أن يتريث قليلاً، ألح عليه، وقال بطريقة عفوية: «**فهد؛ استمر.. استمر.. سألتك أن تواصل حديثك، فقد استمتعتُ بكل تفاصيله.»**

«...!»

«**استمر أرجوك.»**

اتسعت عيني فهد، أحس برعشة تسري في جسده كله، حاول أن يخفي دهشته، ردةَ فعله..!

لقد.. نطقها، لقد كررها ثلاث مرارت: «**هل يمكن أن يكون...؟!»**

وتراءى في مخيلته الشعار الغامض، والمريب:



٢٧

قاد فهد التركي سيارته في شرود، قطع شارع الملك عبدالله، وصل حتى أقصى شرقه، يعرف فهد نفسه، كثير الوسوسة، كثير التفكير، يضخّم بعض الأمور، «**لكنه كرر كلمة استمر.. كررها ثلاث مرات!**»

تساءل؛ هل قال تلك الكلمة من باب المصادفة فقط؟ أم هل له يد في قصة (استمر)؟

في القاموس آلاف المفردات، والتعابير! لماذا اختار هذه الكلمة بالذات؟ ألا يمكن أن تكون زلة لسانٍ كشفت خطته؟

«**ماذا لو تعمّد النطق بها أمامي؟ هل كان يريد إيصال رسالة معيّنة؟**»

«**هل له علاقة.. بغادة؟ كل الدلائل تشير إلى أنها خلف الموضوع؟!**»

أحس بتيه شديد، بضياع لا حد له، أصبحت حياته في دوامةٍ لا تنتهي من الشكوك، كأنه يعيش في غابة من المخبرين!

عاد إلى منزله الصغير، حتى هو.. أصبح يشيح بناظريه في توتّر، زوجته لم تعد تجيبه إلا بالبكاء، رفضت أن تنام معه في غرفة واحدة، أو حتى أن تستمع لحديثه، تفجّر الموضوع بينهما منذ معرفتها بعلاقته مع غادة الإبراهيم، ورؤيتها للعقد يزين صدرها!

خلال سنواته السبع معها، هي المرة الأولى التي يحضر بينهما مبعوث الطلاق، كم كانت ظلاله ثقيلة!

الحب لا يعيش إلا منفرداً، خُلق ليكون في عزلة، فإذا جاورته

البغضاء، أو الشك؛ انسحب في صمت، وارتحل إلى مكان قَصِيّ، ليبني مسكنه من جديد، أو يموت وحيداً!

ملاكه؛ جاءت في وقتها تماماً، دخلت حياتَه على حين ظمأ، كانت كلَّ أصدقائه، وجميع أمنياته، كانت جنته التي تجري من تحتها الأنهار: «**هل سترحل عني بكل هذه البساطة؟**»

أدرك فهد أنه يدمر بيته بيديه، يدمر حبه، لماذا سمح لنفسه بكل ذلك، كان بالإمكان أن يرفض عرض غادة منذ أول يوم، أن يأمرها بأن تختفي من حياته!

الغِراس الأول.. الحب الأول.. لا يمكن أن يزول إلا بإعصار مدمّر، يقتلعه من جذوره، كم يتمنى ألا يكون قد حان أوانه!

الحب كائن حي، ربما يُعمَّر طويلاً، وربما يهرم، أو يصيبه المرض، ويمكن أن تخطفه أيدي الموت في أي لحظة!

ملاك.. يجب ألا تتركه يقاتل وحيداً، يحتاجها أكثر من أي وقت مضى، قلْبُها؛ لم يستوطن داراً غيره، لا يتخيل أنها ستطرده لأجل أنه أخطأ، سيظل يطرق أبوابها حتى تأذن، حتى تعفو عنه، إلا أنه قرر أن يتركها بعض الوقت، حتى تهدأ نفسها، وسيشرح لها القصة كاملة، أدرك أنها ستصدقه، لكنه ليس متأكداً من إزالة بقايا الشك منها!

يتذكر موقف العقد جيداً، ركبت معه غادة الإبراهيم سيارته، تأخر سائقها، فقام بإيصالها إلى منزلها، يتذكر حينما رأت العقد التعيس، مدحته كثيراً، أحس بأن الموقف يستدعي شيئاً من المجاملة، فعرض أن يهديها إياه، تم الأمر بشكل عفوي، كانت مجاملة لا غير، توقَّع أن ترفض، أن تتمنع مُحرجة..

لكنها أطلقت صيحة فرحٍ صغيرة، قَبِلته باحتفاء كبير!

أقر فهد أنه مخطئ منذ البداية، ما كان له أن يورط نفسه مع غادة،

ليس في حاجة لأن يدمر أسرته الصغيرة، أن يخسر من سمعته، إلا أنه رغم ذلك.. لا يستطيع أن يتركها، فهي مكسب كبير، يعتبرها مصدراً مهماً للمعلومات، خصوصاً بعد خصومته مع شركة إس أي يونايتد، وجاسر السليمان!

كل هذا التوتر.. لم يكن يتمنى أن يدخل إلى عشه الصغير، إلى قلب زوجته المتعب، كان يريد أن يكون بمنأى عن ذلك كله، لو رحلت قريباً كما يقول الطبيب.. فيتمنى أن ترحل وهي راضية، وقلبها يحبه، سيبكي كثيراً لو صحبتْ شكوكها وحزنها معها!

لا يريد أن يسترسل أكثر!

التجأ إلى مكتبته، حاول إلهاء نفسه بأي شيء، أعاد ترتيب بعض الكتب، رأى صورة طفل على أحد الأغلفة، استغرق في النظر إليه، كانت الصورة مرسومة بطريقة غريبة، وباستخدام اللون الأسود فقط، انجذب إليها كثيراً، وجد في صورة الطفل شيئاً يشبهه، حاصرته ذكرياته القديمة، استحوذت على تفكيره، استعرض طفولته، صباه.. ثم شبابه..لم يجد فيها ما يستحق الذكر، خاويةً كانت!

حتى.. ارتبط بملاكه، حتى سكنت قلبَه!

قبيل الزواج بها.. عاش ثلاث سنوات عجاف، كان عاطلاً عن العمل، عاقر كؤوس الضياع حتى مَلَّ، ولما ارتبط بها.. أورق كل شيء في حياته!

استند إلى الحائط، نظر إلى زاوية الغرفة، أحس بوحشة من المكان، كل شيء حوله يقف ضده، يتعاطف معها، مع ملاك، تمنى أن تأتيه الآن راضية، وتصفح عن إساءته!

يتذكر أيامه الأولى معها، يوم خطبتها، ثم ليلة العَقد عليها، يتذكرها بحنين كبير، أسعد أيامه على الإطلاق، بعد ارتباطه بها؛ أحس

بشيء من نعيم الجنة، أصبح هناك من يحبه، من يسأل عنه إذا تأخر، من يواسي جراحه، من يعتبره أهم إنسان في حياته!

يتذكر كل شيء عن ملاكه، حتى رؤيته لها في المنام، كثيراً ما تأتيه أحلام مزعجة، تنذر بخطر غامض يحيط به، لا ينسى ذلك الحلم المخيف، تكرر عليه أكثر من مرة، فكر في الذهاب لأحد مفسري الرؤى، لكنه خاف أن يكون التفسير على غير ما يهوى!

قبل زواجه بأيام.. رأى الحلم مرة ثانية، في كل مرة كان يستيقظ فزعاً، متعرقاً، كان يرى أنه.. يصعد درجاً طويلاً، يصعده بخطوات بطيئة، متثاقلة، وحين يصل نهايته، تُفزعه.. بركةٌ عظيمةٌ من الدماء، يرى فيها شخصاً واحداً، يُغالب الغرق، ويبتلع كمية كبيرة من الدماء..!

لم يكن يُلقي له بالاً أول الأمر، لكن مع تكرر رؤيته، أحس بارتباط وثيق بين بركة الدماء، وبين مستقبلٍ مخيف ينتظره!

رن هاتفه المحمول، تجاهل الاتصال، فتَح قائمة تغريداته الجاهزة، لم يكن في حالة مزاجية تسمح له بالتفكير، أحس برغبة شديدة في الصراخ، في الهرب من هذا العالم، استعرض التغريدات سريعاً، كان قد عزم أن يكتب موضوعاً كل يوم، لا يريد أن تخفت سخونة الملفات التي يطرحها، نشر تغريدةً سبق وأن كتبها:



فهد التركي
@AlturkyFahad

الوثيقة بحوزتي:

حصول مسؤول مناقصات بمكان حساس؛ على يخت أنيق بإسبانيا بقيمة 7 مليون ريال بعد فوز إحدى الشركات بمشروع ضخم لتصريف المياه!

#وطن

1911 RETWEETS 525 FAVORITE  

٢٨

عابساً؛ دخل جاسر السليمان مقهى جافا تايم، واضعاً يديه في جيبيه، ويمشي بخطواتٍ متثاقلة، يتبعه حارسان شخصيان، ليس من عادته فعل ذلك، لكنه آثر أن يخلق هيبة مصطنعة في قلب فهد التركي، أن يوصل له رسالةً عن منزلته الاجتماعية، وعلو مكانته.

«**اتفقنا أن تأتي بمفردك!**»، قال فهد بحزم.

أشار جاسر إلى الحارسين دون أن يلتفت إليهما؛ فانصرَفا فوراً.

أحد أصدقاء فهد التركي؛ يعمل إعلامياً في إحدى الصحف المحلية، طرح عليه فكرةً تصالحية مع جاسر السليمان وشركته، طلب منهما الالتقاء والتفاهم بشكل مباشر، كثيرٌ من الخلافات تذوب بعد اللقاء الأول، ألح على فهد كثيراً حتى وافق، لكنه امتنع بشكل قاطع أن يكون اللقاء في مكتب جاسر كما طلب، عدّ ذلك إهانة شخصية له، أصر على أن يكون اللقاء في مكان عام، هو من يحدده.

بدا له جاسر متغيراً بعض الشيء، صورته الصحفية كانت أكثر لطفاً، يبدو هنا كوحش، من أين خرج كل هذا التجهم؟ كيف استطاع إخفاء كل ذلك خلف صورته الصحفية الباسمة؟

يخيل إليه أن قلبه جامد لا ينبض، لا تدخله المشاعر، مُقفرٌ من كل

شيء، سوى من أطلال الكراهية السوداء، حيث تتربع في زواياه!

تساءل فهد في نفسه: «**هل يمكن.. أن تُعقد هدنةٌ مع سارق؟**»

تأمل ملابسه، ساعته، خاتمه الثمين، هل ابتاعها بأموال الشعب؟ حتى يده؛ ناعمة كانت، هل اكتسبت ذلك بفضل أموالهم لا غير؟

السارق؛ ثيابه بيضاء؟

هي كذلك في عينيه فقط، وعلى أفواه المرتزقة مِن حوله، كل الناس، كل المجالس؛ تتحدث عن عريه، عن مستنقعه، عن اتساخ ما تبقى من ثيابه؛ لو يعلم السرّاق؟!

بدأ اللقاء فاتراً، طويلَ الصمت، قبل أن يتفجر على وقع مقاطعةٍ من جاسر، كان فهد يتحدث عن الباعث الذي دفعه لكتابة مواضيعه، شارحاً وجهة نظره بإيجاز، وأن الموضوع ليس لجوانب ثأرية، أو شخصية، تتعلق بجاسر، أو بشركته..

أشار إليه جاسر بسبابته احتقاراً: «**ولكن من أنت حتى تفعل كل ذلك؟!**».

تفاجأ فهد من انقلابه السريع، وحدّيته في الخطاب، تذكر شكوى غادة منه، وتأففها الدائم من مزاجه المتقلب: «**جزّار إداري**»، هكذا كانت تصفه.

«**أنا فهد التركي**»

«**من أنت حتى تتبّع خصوصيات الناس؟ وتطالب بمعرفة الكيفية التي تُدار أو تُصرف بها الميزانيات؟**»، دقق فهد في عينيه، كانتا تتحدثان شراً، يبدو أنه مشحون بشكل أكثر مما كان يتصور، لاحظ يده «**هل كانت ترتجف؟!**»

قال فهد: «أنا مواطن.. ويحق لي أن أعرف الطريقة التي تدار بها أموالي!»

«كلامٌ فارغ! أنت تتدخل فيما لا يعنيك.. فأنت لست مسؤولاً في أي جهة رقابية! كما إن الذي تفعله هو تشكيك في أمانة جميع المسؤولين!»

«أبداً يا أستاذ جاسر.. فمحاسبة المسؤولين لا تعني أبداً إساءة الظن فيهم ولا الطعن في أمانتهم، ولكنه إجراء عدلي يخضع له الجميع.. لضمان سلامة أموال الشعب.»

«الذي تفعله ليس سوى تطفل مقيت.. اسمه تطفل..تطفل.. هل تفهم؟!»

«لستُ متطفلاً.. بل أنا من صميم القضية.»

«أنت أصغر من ذلك بكثير!»، قال جاسر، بدا متوحشاً، متأهباً للاشتباك في معركة شرسة، لا يرى في عينيه سوى لغة قتال!

«هذه أموال الشعب يا أستاذ جاسر، وهي حق للشعب وحده، وأنا جزء أصيل من هذا الشعب المغبون، لذا.. فهذه الأموال التي تتلاعبون بها.. هي جزءٌ من مالي، يحق لي معرفة كافة التفاصيل التي تُدار بها، والمطالبة بمحاسبة السارقين»

«يا أ.جاسر.. لا بد أن تفهموا جيداً: أن المسؤول في منصبه؛ ليس سوى (وكيل) على هذا المال.. مجرد وكيل.. ولا يحق له..».

قاطعه جاسر هازئاً: «وكيل؟»

«أتدري ماذا تعني كلمة (وكيل)؟ تعني أنه حارسٌ على هذا المال فقط، أنا والشعب.. من يُفترض أن يقوم بتعيينه لحفظ المال وصيانته،

فإذا لم يؤدِّ حقه، وسرق، ونهب، فيحق لنا محاسبته، بل وحتى فسخ (عقد الوكالة) معه»

رد جاسر بانزعاج: «**اسمعني.. أنا لا أحب تطويل الكلام.. ما تفعله ليس سوى تخوينٍ لجهات محترمة، لها هيبتها أمام الشعب، وسيعرّضك ذلك للمساءلة والعقاب!**»

«**تهددني؟**»، سأل فهد.

«**بمكالمة واحدة فقط.. أستطيع الزج بك في السجن حتى تتعفن..**»

أزاح فهد ناظريه عنه، تناول رشفة من الماء..

أحس بها تتفجر في داخله؛ جينات العناد التي ورثها عن أبيه، كل خواطره تحمله على الرد، والمواجهة، إلا خاطراً وحيداً.. أتى يحمل معه وجه ملاكه، هي وحدها من سيبكي عليه لو نفذ تهديده!

قرر فهد ألا تظهر عليه أي أمارات للضعف، قال بنبرة صارمة متحدية: «**ومن يمنعك من ذلك؟ أنتم سرقتم أموالنا.. وستسرقون أرواحنا معها!**»

«**اخرس.. لا تتحدث معي بهذه الطريقة!**»

قام فهد مُغاضباً، أحس بإهانة تلف جسده كله، لا بد أن يُغادِرَ المقهى، لا يريد أن يتطور الأمر أكثر من ذلك: «**لا يحق لك أن تخاطبني بهذه الطريقة، لستُ موظفاً صغيراً لديك!**»، قال فهد.

ضحك جاسر بطريقة استفزازية، ثم قال: «**وماذا ستفعل لي يا سيادة الرئيس؟!**»

«**المهم.. أن تعرف أننا لسنا متاعاً.. لسنا عبيداً لكم.. كلا لسنا كذلك..!**»

غادر فهد المكان سريعاً، أجرى مكالمة هاتفية صغيرة: « **أرسِل الصور الآن على هاتفي.. بسرعة.. أنتظرك**»

ثم كتب تغريدة في حسابه، ألهبتْ تويتر عدة ساعات، ذكر فيها ملخص لقائه مع جاسر السليمان، اللقاء الذي عُقد لأجل تسوية الخلافات بينهما، والذي تحول في نهاية اللقاء إلى تهديد بالسجن.

ذكر كل التفاصيل، ثم.. أرفق عدة صور تجمعه بجاسر، التقطها أحد أصدقائه في المقهى، إحداها انتشرت في مئات الصفحات، كانت تُظهر جاسر السليمان.. يُشير نحو فهد بسبابته مُهدداً!

٣٩

«خرجتُ إلى الصحراء كي أتنفس، كي أرتاح.. لا لأكدِّر على نفسي! لأبكي! لأستصحب الأحزان معي!»، كثيراً ما يَعمد فهد إلى الانفراد بنفسه، يحب العزلة، هناك.. شمال الرياض الشرقي، كثيبٌ رملي.. أحبَّ فهداً وأحبه، يستلقي عليه لساعات، يستعرض طرفاً من أيامه، من حياته، يتأمل فيها، يحس أن هذه الطريقة تُعيد له شيئاً من صفاء روحه، من طمأنينته، بعيداً عن صخب الرياض، وضوضائها القاتل!

كان يقرأ رسالةً وردته للتو على بريده الإلكتروني، إحداهن كتبت له بمدادٍ من دمع، حولت صفاءه إلى حزن مقيم، هزته الرسالة كثيراً[1]، جاءت رسالة هذه الفتاة تجاوباً مع ملف البطالة الذي طرحه في حسابه بتويتر، جاءته ردود أفعال كثيرة، إلا أن هذه الرسالة لم تكن كغيرها، كان يرى بين حروفها بقايا دموع لم تجفّ بعد:

(ليتْ ربي ماخلقني سعودية!!

بعد التعب والانهيار النفسي اللي أعيشه

قررت أصرخ.. لعل صوتي يصل لأعلى مسؤول!

إلى متى وموضوع البطالة قضية أصعب من قضية فلسطين؟!

---

(١) الرسالة حقيقية، ولم أتدخل لتعديل لهجتها حتى لا تفسد لغتها العفوية الصادقة، مع الشكر لمدونة حلم أخضر.

أنا مخطوبة من ٧ سنوات، وللحين ما تزوجنا! والسبب خطيبي ما لقى وظيفة!

طيب وش أسوي أنا.. أتركه يعني وأتزوج واحد متوظف؟؟

أبيع حبي وقلبي؟ والسبب دولة ما تعرف كيف تأمِّن وظايف لشبابها!

تكفون طمنوني إذا فيه تقديمات لخريجين الثانوي في أي مكان حكومي

قولوا لي عنها الله يطمنكم دنيا وآخرة..

وما أقول إلا:

ليت ربي ماخلقني سعودية

ليت ربي ماخلقني سعودية

بـ ألم المواطنة: عبير)

في ظلمة الصحراء.. أغمض فهد عينيه، واضعاً رأسه بين يديه، كل الظلمات تلفّه، يحس برغبة ملحة في البكاء، في الاختباء، في الهرب من هذا العالم الموحش، يستطيع أن يحتمل منظر شابٍ يُقاسي، يُعاني مخاضات البقاء، يستطيع أن يحتمل ذلك بمرارة، لكنه.. ينهار سريعاً؛ إذا سمع صوتَ أنثى تتألم، تُصارع لتبقى، يقولون بأن الفقر سِيماه أنثى، ارتبط بأعينهن، بدمعاتِهن، رفع فهد رأسه، نظر إلى السماء، صافيةً كانت، تماماً كقلوب الفقيرات، تمنى أن يُدخل البسمة إلى تلك القلوب المتعَبة، أن تكون حياته ثمناً لإسعادهم!

الآمال تتقازم؛ حينما ينظر السعودي إلى واقعه البائس، يبحث عن أمل ضائع، عن بقايا فألٍ وسط ركام السارقين، هل يمكنه أن يودّع أيام التعب؟!

حاول أن ينسى كل ذلك، حاول أن يَصرف تفكيره لأي شيء، لا يريد أن يفعلها، في عينيه ألف دمعة، يعرف نفسه لو بكى، سيظل مكتئباً لساعات، قام من مجلسه، نظر إلى الصحراء من حوله، امتدادها موحشٌ في الظلام، إلا أن لها منظراً مهيباً في الصباح، تملك هيبةَ ملك، حسدها، لا تحس بآلام البشر، تجوَّل حافياً، فكر أن ينغمس أكثر وسط هذه الكثبان، مرت عليه نسمةُ هواء باردة، أنعشته، هل جاءت لتواسيه؟ لن يجد أجمل من نسيم الصحراء، لكنه سيكون لهيباً في جوفه.. حينما يمتزج برائحة الأحزان!

كلمات الفتاة.. لم تفارق خياله، حروفها تتسلل إليه، تقتله ببطء:
«**خطيبي ما لقى وظيفة! طيب وش أسوي أنا.. أتركه يعني وأتزوج واحد متوظف؟ أبيع حبي وقلبي؟ والسبب دولة ما تعرف كيف تأمِّن وظايف لشبابها!**»

الجسد السعودي من بعيد؛ يبدو جميلاً، يأسر الناظرين، إلا أن هناك رُقَعاً تملأ كل شبر فيه، لا تبصرها العين، إذْ تعلوها مساحيقُ تجميلية، تستر سوءاتها وآلامها، لا محالة؛ سيأتي زمان تذوب فيه هذه الألوان، وتظهر حقيقة هذه الرقع الكارثية!

تساءل بمرارة: «**من يعيد للسعوديين أياماً جميلةً سرقت منهم؟!**»

أخرَج جوّاله، سيقرأ أي شيء، سيشاهد أي شيء، لا يريد أن يستسلم لإلحاح عينيه، قديماً كان يعتقد أنه لو ترك العنان لنفسه بالبكاء.. فإنها سترتاح، وستغسل آلامها بدموعه، لكنه كان مخطئاً، فقد جرَّب مراراً، فكانت جراحه تغور أكثر!

تساءل؛ هل يمكن الألم أن يتجزأ، أن يتقاسمه المحبون، أن يحمل بعضهم أثقال بعض؟ تمنى لو كانت فكرة الخلاص حقيقية، أن يضحّي أحدهم لأجل إنقاذ البقية، لأجل إسعادهم، أقسم أنه على

استعداد أن يفعلها، أن يكون سبباً في إسعاد بؤس فقيرات السعودية، أن يكون هو من يبيع روحه لأجلهن!

أحياناً يصيبه فتور، يملّ من طول الطريق، منذ سنوات وهو يتحدث، وهو يصرخ في وجه الظلام؛ ولم يتغير شيء، فكر بأن يعتزل كل ذلك، أن يعيش هانئاً في عشه الصغير، أن يهتم بملاكه، أن ينذر نفسه خادماً بين يديها حتى تشفى، لكن.. حينما تتسلل إليه مثل هذه الرسائل الباكية، حينما يقرأ فيها دموع الوطن، دموع الأرض.. فإنه لا يقوى على القعود، والانعزال، يحس بتضاؤل، بأنانية، باحتقار شديد لنفسه!

السعودي؛ يحب وطنه، يفديه بروحه، تربطه به وشائج دينية وتاريخية، لا يمكن أن يتنازل عن شبر منه للغزاة، إلا أنه يحزن، يحس بالغبن؛ حينما يكون الحب متوجِّهاً من طرف واحد، هو.. يُقبل على وطنه بكل ما يملك، بنفسه، بماله، بكل شيء، ثم يرى وطنه.. يسلبه حتى فرحة الوظيفة المحترمة، فرحة البيت الهانئ، فرحة الحياة الكريمة!

حب الوطن؛ ليس قصة حب سخيفة، حب من طرف واحد، الولاء للوطن.. شيء لا يوهب، ولا يمكن أن يشترى، إنما هو رصيد طويل من الإحسان والعطاء!

أثقل ما يكون الحب؛ حينما يكون شِقُّه مائلاً، يتحمل أحد الطرفين جميع الأعباء، والتضحيات، ثم بعد ذلك.. يظل يتلقّى صرخات التخوين كلما فكر في فك رباط هذا الاشتباك الجائر!

بماذا يحلم المواطن؟ يحلم بأشياء كثيرة، أقلها أن يفتخر بوطنه، أن

يحس أنه بجواره، أن يحس فيه بالأمن، أن توزع ثرواته بعدل، أن يرى نهضة حقيقية، أن يكون وطنا متبوعاً، لا تابعاً..!

«**يكفي..!**»، صرخ قلبه، التفكير في هذا الموضوع يستجلب آلاماً لا تنتهي!

أيقن فهد؛ أنه حينما يشتكي من هذا الوطن، حينما يعترض، فلا يعني أنه يكرهه، أنه يتمنى خرابه، كلّا، هو يحب وطنه بعمق، ولا يرضى سواه، إلا أنه يعاتبه بقسوة، يريد إصلاح خلله، وفساده العريض!

«**يجب أن يتوقف كل ذلك!**».

تصفح بريده الإلكتروني، حفظ رسالة الفتاة في قائمة ملاحظاته، لا يُطيق الألم، لكنه يظل يبحث عنه!

تصفح عدداً من المواقع الإخبارية؛ لا جديد، الأخبار تكرر نفسها، لا تنشر سوى ألوان الدماء، والدماء وحدها، فتح موقع تويتر، يقضي فيه عدة ساعات بشكل يومي، أصبح جزءاً لا ينفصل من شخصيته، في هذا العصر، أصبح بمقدور الفرد الواحد أن يصنع الفرق، أن يكون له تأثير بالغ في الرأي العام!

تذكره فهد..!

فقام بالاتصال به على الفور، يريد أن يطمئن على حالة أخته الصحية:

«**ألو.. ابني فهد..**»

تفاجأ بصوتٍ أنثوي يرد عليه، يبدو أنها كبيرة في السن، هكذا

استنتج، صمَت لِلحظات، متأكدٌ أنه اتصل برقم صديقه، نظر إلى اسمه على الشاشة، لم يخطئ: «**من تكون هذه؟!**»، حدث نفسه.

لم يستوعب شيئاً من كلامها، كانت تبكي، وسيل دعواتها يسبقها، دعت له بالتوفيق في حياته، بأن يحفظه الله من كل عين، بالغت في شكره، وهو صامت لا يتحدث.

«**فهد.. بيّض الله وجهك، هذه أمي، أصرّت أن تهاتفك، وتشكرك بنفسها**»

شكره كثيراً، كان يغلب على صوته التأثر، أخبره: «**نحن في المستشفى الآن، قبل نصف ساعة.. وصلت طائرة الإخلاء الطبي، وستنقل أختي للرياض، هذا من فضلك بعد فضل الله**».

قبل يومين؛ كتب فهد عدة تغريدات عن حال هذه الأسرة، تربطه بهم صداقة قديمة، كانوا جيراناً له قبل أن تجبرهم الظروف على العودة إلى مدينتهم الصغيرة، والتي تبعد عن الرياض قرابة ١٠٠ كلم، دخلت ابنتهم في غيبوبة مفاجئة، أدخلوها إحدى المستشفيات الحكومية بالمحافظة، لم يفعلوا لها شيئاً، كان الحل الوحيد أن يتم نقلها إلى إحدى مستشفيات الرياض الكبرى: «**لا يوجد سرير شاغر..!**»، هكذا كان يقال لهم على مدار عشرة أيام، اتصلوا بكل من يعرفون، كتبوا ألف عريضة، أبرقوا لكل مسؤول، ولم يُجْدِ نفعاً، حتى أثار فهد الموضوع إعلامياً، وقام بحملةٍ منظمة على مواقع التواصل الاجتماعي..

وها هو الآن يتفاجأ.. بالاستجابة لمطلبهم!

«**من الغريب.. أنهم أرسلوا لها طائرة إخلاء خاصة!**»، حدّث نفسه.

خواطر سريعة، ازدحمت في رأسه، كان يتساءل دوماً، لماذا يتوجب

على المواطن السعودي أن يحمل همّ المذلة، والاستجداء المهين الذي سيلاقيه.. في سبيل الحصول على سرير في مستشفى، أو علاج خارجي؟

لماذا على المواطن البسيط أن ينتظر ٦ أشهر للحصول على موعد صغير؟ أو أن ينتظر لساعات في المستشفى من أجل علاج أحد أبنائه؟

«**الخدمات الصحية في بلاد النفط.. قصة لا تنتهي!**»، حدث نفسه.

أصبح ماءُ الوجه يُسكب لأجل ذلك، هذه ليست منّةً من أحد حتى يبحث عنها، هو حقٌ صغير من حقوقه، يجب أن يحصل عليها من دون واسطة، من دون عشرين مكالمة، من دون طرق ألف باب وباب: «**لماذا صارت الحقوق تُتسوَّل؟ تُستجدى؟، لماذا يحتاج المواطن السعودي إلى تقديم معروض طويلٍ.. لأجل أن ينعم بحقوقه الأساسية؟**»

«**فهد.. هل تسمعني؟**»

كان صديقه يتحدث في الهاتف، لم يتوقف عن شكره، عن الثناء على جهوده، عن وصفه بالوفاء والشهامة، ثم سرد عليه تفاصيل القصة، أخبره أن شخصاً اتصل بمنزلهم، وسأل عن تفاصيل حالة أخته، ومكان وجودها، ثم أخبرهم أن طائرة إخلاء جاهزة الآن لنقلها بشكل مباشر إلى الرياض، ثم قال:

«**بقي أن أخبرك يا فهد.. لديّ ورقة خاصة لك، طلب مني أحد المسؤولين إيصالها لك**»

«**هل تتكرم علي بذكر اسمه؟**»، قال فهد

«**والله يا فهد لا أعلم.. الفرحة لم تجعلني أفكر أن أسأله أي شيء.**»

«وماذا يريد إيصاله لي؟»

«لم أقرأ رسالته بعد، لكن يبدو أنها شكر، أو ربما دعوة خاصة.. إن أردت سأصور الرسالة، وأرسلها على بريدك؟!»

فتح فهد التركي بريده الإلكتروني، وشرع في قراءة الرسالة..!

ثم..

أحس بحرارة تشتعل في جسده كله، تأمل الصورة مرة أخرى.. لم يكن يتخيل، ذات الشعار، ذات المفاجأة..

استمر.. استمر!



٣٠

مرّتان؛ رأى وجه ملاكه على هذه الهيئة، يذكِّره بوجوه المرضى لحظات الاحتضار، حين يَنصِب اليأس شراعه، ويحلّ في الأرجاء، كانت المرة الأولى.. لحظةَ أن جاءها خبر مرضها، وهذه هي المرة الثانية!

كانت ملاك تنظر إليه في ألم، كل شيء فيها كان يبكي بصمت، كثيراً ما يحمل الصمت ضجيجاً وآلاماً مستورة، تفوق آلام الجسد الأخرى، ملاك.. كل شيء فيها يضج على وقع الخيانة،لم تكن تتوقع أن تنظر إليه يوماً بعين الشك والريبة، أن تتحدث معه على أشلاء علاقة غير شرعية، تمنت لو فتك بها المرض قبل أن تعايش هذا الموقف.

«**لم يبقَ لي قلب أثق به.. بعد اليوم..!**»، حدثت نفسها.

الشك أقوى من الحب، وإذا لامس يوماً قلوب المحبين.. أمات فيها كل شيءٍ جميل!

نظرت إلى روحها، ذات يوم كانت عامرة، ملأى بغراس الحب وحده، لكنها اليوم.. أصبحتْ خاويةً من كل شيء، إلا من الدمار، والخراب، وأطلال الخيبة..

كما الأشجار المحترقة؛ لا تُبعث من جديد..!

بدأت ملاك تتشافى من آلام قلبها، من صدمتها فيه، الزمن كفيل بالنسيان، هكذا حاولت أن تُقنع نفسها، جاهدت لتصدق تبريراته المتكررة؛ عن سبب وجود العِقد مع تلك الفتاة، مع غادة الإبراهيم، كان يكثر شتمها في حضرتها، تمنت لو تسحقها بيدها، لو تمحي صورتها من الوجود، فقد تجرأت؛ وسرقت حبها الوحيد!

بالكاد استطاع فهد أن يخرجها من عزلتها، من بكائها المستمر، إلا أنها ما زالت تشعر بفتور كبير تجاهه، تمنت ألا تخيِّم مشاعر البغضاء في قلبها، أقنعته كاذبة.. أنها نسيت **قضية العقد** تماماً..!

سائق غادة الشخصي؛ كان يسير بها في أحد شوارع الرياض الرئيسة، طلبت منه أن يتجه شمالاً، لم تخبره إلى أين يذهب، كانت تشعر بملل كبير، لم تحدد وجهتها بعد، كانت تستعرض علاقتها مع فهد التركي، الوثائق التي سربتها له، كل تاريخها القصير معه.

قبل أن تعرفه.. كانت ترسم له تماثيلَ عظيمة، حواجز شاهقة، فكرت في شخصيته الطاغية عبر مواقع التواصل الاجتماعي، كان يغلب عليه الحزم، والصرامة الشديدة، مع المبالغة في ردة الفعل أحياناً، لكن حينما تعرفتْ عليه عن قرب، حينما خالطته؛ وجدته قليل الكلام، بسيطاً، طيب القلب، لا يملك كل تلك الحدِّية التي تحملها شخصيته الافتراضية!

توقف سائقها عند محطةٍ لخدمة السيارات، طلبت منه جلب ماء بارد، تابعته حتى غاب عن ناظريها..

من مقعدها الخلفي.. أخذت هاتفه المحمول، يتركه عادة في السيارة، كانت تود التأكد من الرقم الذي اتصل به قبل قليل، حين

رد على المتصل؛ لاحظت نظراتٍ مضطربة في عينيه، كان يجيب بطريقة مقتضبة، زادت شكوكها حينما قال بأنه سيتصل به لاحقاً، نظرتْ إلى قائمة الاتصال، إلى الرقم الأخير: «**ليس غريباً عليّ!**»، تألَف أرقامه الأخيرة، بحثت عن الرقم نفسه في هاتفها، ربما يكون محفوظاً لديها..

هزتها مفاجأةٌ غريبة: «**لماذا؟ لماذا يتصل بسائقي الخاص؟!**»، قالت في ريبة، فتشت في قوائم الاتصال الأخيرة، تفاجأت، الرقم ذاته.. اتصل بسائقها عدة مرات هذا اليوم..!

«**هل كان يتجسس علي؟!**».

«**ولكن.. ماذا يريد مني بالضبط؟**.»

رن هاتف السائق، الرقم ذاته.. كان يتصل به مرة أخرى!

احتارت فيما يجب أن تفعل، ترددت قليلاً، إلا أنها قررت أن تجيب عليه، ضغطت زر الإجابة، سمعت صوته ينادي باسم سائقها، صوته بالتأكيد، تعرفه جيداً!

«**فهد.. أريد أن أفهم.. لماذا تتجسس عليّ بهذه الطريقة الوضيعة؟!**»

تمتم فهد بكلمات غير مفهومة، ثم دخل في نوبة صمت لم تستمر، قبل أن تسمع غادة.. صوت إغلاق الخط..!

٣١

اتصل بها فهد..

تحدث معها بإسهاب، اعتذر لها، بالغ في الاعتذار، لم تكن تردّ عليه، غاضبةً كانت، أخبرها مُحرجاً عن سبب الاتصال بسائقها، كان يريد أن يتم الأمر من دون علمها، أن يحصل على بُغيته من دون أن يسبب حرجاً لها وله، أمرٌ صغير وتافه، تمنى ألا تُغضبها هذه الحماقة، أن تتفهم دوافعه، ألا تؤثر على علاقتهما المتينة..

ضحكت غادة.. حينما أخبرها عن سر اتصاله بالسائق، ضحكت كثيراً، فتنته ضحكتها، عذبةً كانت، لن ينسى تلك النغمات، قالت بغنج ظاهر: «**كل هذا التجسس البوليسي.. من أجل الحصول على هذا الكنز العظيم؟!**».

«**حتى خادمتي.. أردتَها أن تسطو على غرفتي؟**»، قالت ضاحكة.

اطمأنتْ، فقد كان الموضوع أصغر مما تخيلت بكثير، فلم يكن يتجسس عليها، لا تريد أن تخسره، مستقبلها متوقف عليه، أردفت مازحة: «**لدي الآن ما أساومك به، هذه الليلة.. ترقّب صورة هذا العِقد العظيم على جميع وسائل الإعلام..!**»

في المساء؛ ذهب السائق إلى منزل فهد التركي، أرجع إليه العِقد محملاً بأسف واعتذارات لا تنتهي..

٣٢

أوقف فهد التركي سيارته في أحد المخططات الجديدة، مخططٌ تحت الإنشاء، لم يجدوا متنفّساً يلتقون فيه سوى هذا المكان، تأخر عن رفقته، رآهم متحلِّقين ينتظرونه، أطفأ محرك السيارة، نسيم الرياض الليلي يعوِّض عذابات النهار، بين يديه عدة تغريدات غير مكتملة، أراد أن يتمّها قبل أن ينضم إلى رفاقه، ليس من المناسب أن ينشغل بها أثناء جلوسه معهم!

في كل مرة؛ يُثير فهد موضوعاً ساخناً، يكتب حوله، يحرِّض عدداً من الناشطين للكتابة فيه بطريقة جماعية منظمة، ليأخذ زخماً شعبياً، هذه المرة.. قرر أن يطرح ملف التعليم في السعودية، قام بجولة ميدانية في عدد من المدارس، قرأ عن أحوال المعلمين والمعلمات، عايش همومهم، طلباتهم، متاعبهم، قرأ عن معاناة المعلمات بالخصوص، عن تضحياتهن، عن الحوادث الأليمة التي لا تنتهي؛ فخرج بنظرة متشائمة، زادت في سلسلة إحباطاته حلقةً جديدة!

المعلمة، المعلم.. يُفني حياته في التعليم، ينحت في الصخور لأكثر من ٣٠ سنة، يربي أجيالاً متتابعة، يحرق زهرة حياته لأجل تعليمهم وتربيتهم، ثم بعد ذلك كله، يخرج من مهنته بالكفاف، راتبه لا يليق أبداً بمقامه، حقوقه التقاعدية.. لا تمكّنه حتى من شراء ربع أرض يبني عليها بيت أحلامه، يقف المعلم على عتبة الستين، يقف

بجراحه، حزيناً، بائساً، يأسف على وطن يلفظ أبناءه ولا يبالي!

«**ما أبخلك يا وطن**»، تمتم فهد في أسى.

استعرض القصة منذ بدايتها، القصة كاملة، تتكرر لجميع أبناء الوطن، كل أسرة؛ تفرح حينما يتخرج ابنها من جامعة، من كلية، من معهد، أو حتى من الثانوية، تفرح قليلاً، ثم تحزن طويلاً، فسرعان ما تدخل في دوامة الانتظار المضني، الطالب؛ يستلم ليلة تخرجه شهادتين، يُمناه تتلقف وسام التخرج بكل بهجة، ويُسراه تقبض صك البطالة المفتوح، لسنتين أو ثلاث، أو ربما تزيد!

سمع صرخات عماد اليوبي، نداءاته المتكررة له بالنزول، والالتحاق بجلستهم، سمعه ينادي: «**يا عمدة.. تأخرت علينا**»، ابتسم فهد له، أشار إليه بسبابته، رفع من صوته: «**دقيقة.. دقيقة**».

أصبح تفكيره مشتتاً، صوت عماد.. ذكّره مرةً أخرى بطائرة الإخلاء، بقصة استمر، أصبح في دوامة لا تنتهي من الوساوس، أرهقه كل ذلك: «**استعراضُ عضلات.. بالتأكيد!**»، كان يرى أن جلب طائرة الإخلاء من الرياض.. فيه شيء من استعراض القوة والنفوذ، تساءل عن علاقة عماد وغادة بقصة استمر، مقدار ضلوعهم في الأمر، فكر كثيراً في زلة عماد في اللقاء الماضي، حين تلفظ بكلمة استمر مراراً..

«**مستحيل.. الأمر أكبر منه بكثير!**»

نزل فهد من السيارة، فتلقاه عماد مرحباً، ثم قال مازحاً: «**مرحباً بصاحب القدرات الخارقة.. حتى الطائرات أصبحت طوعَ يديك!**»

اتسعت عينا فهد، انتبه لشيء مهم، نظر إلى عماد نظرة توجس سريعة، جاهد ليخفيها!

أخذ مكانه بينهم، ثم تحدثوا عن موضوع الإخلاء الطبي، شرح لهم فهد القصة باختصار، ثم انتقلوا لمناقشة عدة قضايا، كان اللقاء عفوياً كعادته، لا يحكمه نظام، ولا تحده حدود، كان كل واحد يبدي وجهة نظره بحرية، لم يكن فهد مستمتعاً باللقاء، كان ينتظر لحظة انفضاض الجمع، كان باله مشغولاً به.. بعماد!

لدى فهد عدد من الأصدقاء، والكثير من المعجبين، لكن.. لم يدخل قلبه منهم أحد، كان قليل الشكوى، قليل الحديث عن نفسه، أصدقاؤه يرون فيه شيئاً من الغموض، وكثيراً من المساحات المخفية، حتى هو لم يستطع تفسيرها، كثيراً ما يحاول أن يكتشف جوانبها المستترة، يرى الناس من حوله، لكل شخص طبيعة مختلفة، يتشابهون في أشياء، ويختلفون في أشياء،لم يستطع أن يعطي نفسه تصنيفاً نهائياً، أن يحدد أيها أقرب لتوصيف شخصيته، في كل مرة تظهر له صورة مختلفة، إلا أن شيئاً واحداً يستطيع أن يجزم به، اكتشف أنه يمتلك شخصية سلميّة، تنفر كثيراً من الأجواء المتوترة، لا تطربه سوى مفردات العفو والصفح، كان يتأمل ذلك كثيراً، يسأل نفسه: «**هل يعود ذلك إلى مخزون الضعف الذي تحويه نفسي؟ إلى شيء مدفون بداخلي؟**»، كثيراً ما يتهم نفسه بالجبن، بالخوف من المواجهة المباشرة، أيقن بأنه سيفشل في ميادين القتال الدموية، ربما سيكون أول الهاربين!

بعد دخوله لعوالم الإعلام الجديد، وخصوصاً بعد اعتياده على أجواء السجال الرقمي، اكتشف جانباً جديداً في شخصيته، كانت تميل إلى الحدية والصرامة في بعض المواقف، ولا ترضى بأي تسوية سلمية، فكر أن يسأل أحد الأطباء النفسيين عن سر هذا التناقض، فبمجرد أن يُجالس أحد خصومه الرقميين؛ إلا وتنتقل المواجهة إلى لقاء سلمي يظلله الخجل!

«عماد.. أريدك أن تجيبني بوضوح»، قال فهد، بعد أن انفرد به جانباً.

«تفضل.. يا سيدي المبجل.»

قال فهد بنبرة حازمة، تحمل شيئاً من الارتباك المستتر: **« كيف عرفتَ أن الفتاة تم نقلها عن طريق.. طائرة الإخلاء الطبي؟!»**

«أنتَ أعلنت ذلك في حسابك بتويتر.. يبدو أنك قد شِخْت فجأة»، قال ضاحكاً.

«صحيح أنني أعلنت تفاصيل القصة.. لكنني لم أتطرق لطائرة الإخلاء أبداً!»

احمرّ وجه عماد فجأة، أدخل يديه في جيبيه ثم أخرجهما سريعاً بطريقة مرتبكة.

أردف فهد قائلاً: **«أخبرني.. كيف عرفت؟!»**

«أنت.. أظنك أخبرتني.. نعم متأكد.. لا بد أنك أخبرتني.»

تظاهر عماد اليوبي وكأن أحدهم يتصل به، لم يرن هاتفه على الإطلاق، إلا أنه انهمك في حديث وهمي، كان فهد يراقب ردة فعله بدقة، لم يصرف عينيه عنه لحظة واحدة.

«أنت كثير النسيان يا فهد.. بالتأكيد.. لقد أخبرتني بنفسك!»، قال عماد اليوبي بارتباك.

٣٣

تفاجأ فهد التركي بمقْدَمه، أول مرة يزوره في شقته، أحد أعيان قبيلته، لا تربطه علاقة خاصة به، رجل خمسيني، انتشر الشيب في شاربه ولحيته الخفيفة، كان يعتمر عباءة فاخرة، استغرب فهد قدومه بكل هذه الرسمية، كما إنه باغته بزيارته المفاجئة، شعر فهد بدهشةٍ ممزوجةٍ بترقب: «**لا بد أن هناك أمراً خطيراً**»، حدث نفسه.

رحّب به فهد، وأظهر حفاوة مبالغاً فيها، ثم استأذنه للغياب لحظات، أخبره أنه سيعود بعد دقيقة: «**القهوة جاهزة.**»

«**أكرمك الله يا ابني.. لا أريد أن أشرب شيئاً.. سأغادر الآن.**»، ثم أضاف بعد أن تأمل فهد ملياً: «**أظنك.. تعلم جيداً سبب قدومي إليك!**»

تحدث الرجل الخمسيني بإسهاب، أوصل عدة رسائل لفهد، أخبره أنه يتحدث إليه من منطلق حبه وحرصه، لا يريد أن يرى نهايةً محزنة لأي فرد من أفراد القبيلة، ذكّره بمستقبله، بزوجته، بأخته، بوظيفته: «**يا ابني.. اسكت كما يفعل معظم الناس، أنت لن تستطيع إصلاح الكون بمفردك، لماذا تعرِّضها للخطر؟ انظر إلى الجانب المضيء في هذه الحياة، اكتب عن المحاسن، عن الإيجابيات.**»

«**لا بد أن تعلم ـ يا ابني ـ أن طريقك.. لابد أن يمر عبر بوابة الفتنة، والتخريب، وإثارة الغوغاء، ثم ينتهي بك المطاف في السجن، ولن يسأل عنك حينها أحدٌ ممن يطبِّل لك الآن!**»

«يا ابني.. لماذا تكلف نفسك ما لا تطيق؟! اهتم بنفسك وبأسرتك، ولست محاسباً على أخطاء الآخرين.. لهم رب يحاسبهم.»

بعد أن أتم كلامه، استأذنه فهد في طرح سؤال يحمل بعض الخصوصية: «**هل تسمح لي أن أسألك سؤالاً يا عمّ؟ هل أستطيع معرفة الجهة التي طلبتْ منك التحدث معي؟!**».

«**ماذا.. تقصد؟!**»، رد بحزم.

«**آسف يا عم.. أنا أقصد: هل هذه مبادرة شخصية منك، أم هي نتيجة لضغوطٍ من خارج الأسرة، من جهات نافذة مثلاً؟!**»

«**لا عليك.. المهم أن تقدِّر قدومي إليك، وتجنّبنا المزيد من الإحراجات!**»

رد عليه فهد بلباقة، أخبره أن زيارته شرف كبير له، ونصائحه تاج على رأسه، لم يشأ أن يناقشه، أن يردّ عليه، فضّل أن يكتم رأيه، وأن يُبقي حبل ودِّهما متصلاً.

في خاطره ألف سؤال، كان يتمنى أن يبوح له، أن يسأله:

هل تأملتَ - يا عمّ - عيني **فقيرة سعودية** من قبل؟ عيني فقيرة متعففة، أجبرتها وطأة الفقر والحاجة أن تنكِّس رأسها، وتمد يدها لتحصل على فتاتِ مال، أو بقايا طعام؟ أظن بأنك لم تر تينك العينين من قبل، أُقسم أنها أسهرتني وأبكتني طويلاً، تلك النظرات الباكية - يا عمّ - هي من أوقد شعلة الإصرار في قلبي، هي من أذكى سعيره، من نفخ نيران الحقد الأسود فيه!

السارق. يتذكر تفاصيل سرقته الأولى؛ الرهبة، تأنيب الضمير، تفاصيل انكسار الفطرة، ثم بعد ذلك، ينسى، ويظل يألفها، وتألفه!

إذا تعوّد السارق مئة سنة على أن يسرق، ولم يجابهه أحد، أو يقف في طريقه أحد، فعليه أن يعلم أن الزمن قد تغير، والنفوس كذلك، فنيران الكراهية بدأت تسري وتنتشر في صمت مستتر، وقد تصل إلى حدٍ لا يمكنها فيه الاستتار.

اليد الفقيرة، اليد المغلوبة؛ لن تظل كذلك أبد الدهر، سيأتي يومٌ وتحمل فيه سلاحاً، لتحيِّي من أحسن إليها، وتغتال من كان سبباً في شقائها!

آليتُ ـ ياعمّ ـ أن أنذر نفسي لخدمة هؤلاء الضعفاء، للاصطفاف في خندقهم، حتى أنتصر، حتى أرى البسمة تعلو كل تلك الشفاه البائسة، أو أموت شهيداً دون أحزانهم ودمعاتهم!

٣٤

دقق فهد في المشهد الذي أمامه، بجوار الباب الرئيس لمنزله، تردد فيما يجب عليه أن يفعل، كان يقود سيارته ببطء، ويراقب سيارة الشرطة التي كانت تقف أمام مدخل منزله!

انتبه إلى سيارة شرطةٍ أخرى قادمة..

كانت تتجه صوب المكان نفسه!

أوقف سيارته بعيداً منهما، رأى شرطياً يترجل من السيارة الأولى، توجه لقرع جرس منزله، كانت الاحتمالات أمامه محدودة، لا بد أن يذهب ليستطلع الأمر، ملاكُه وحيدة في المنزل، يجب ألا يُفزعوا قلبها.

«خيراً إن شاء الله؟!»، سأل فهد.

«أنت فهد التركي؟!»

«أنا.. نعم.. فهد.. ولكن لماذا؟!»، رد بتلعثم، من المرات القلائل التي أحس بفقدان القدرة على الكلام.

«تفضل معنا.»

«ولكن إلى أين؟!»

«قلتُ لك تفضل معنا..!»

«دعني أخبر زوجتي.»

«أنت لا تفهم.. نحن نتحدث معك حتى الآن باحترام.. تفضل معنا!»

نزل شرطيان آخران، أمسكاه بقوة؛ بعد أن أظهر شيئاً من التمنع، أدخَلاه سيارة الشرطة، كان يسألهم عن سبب توقيفه، يحق له معرفة السبب، والمطالبة برؤية مذكرة القبض عليه، أخبرهم أنه اعتقال تعسفي، ومخالف للقانون، لم يلتفت إليه أحد!

أحدهم.. ضحك حينما سمعه يردد كلمة: «**القانون**»!

في الطريق؛ لم يكن يتحدث معه أحد، كان راكباً في المقعد الخلفي، ويفصله عنهم حاجز حديدي سميك، أخبروه فقط أنهم متجهون إلى السجن، سألهم لماذا؟ ماهي تهمته بالضبط؟

فلم يجبه أحد.

تملّك الفزع قلبه، استعرض أيامه الأخيرة، كل مواقفه، تعاملاته، لم يقترف أي جنحة، أو أي تجاوز قانوني، استبعد أي دوافع سياسية لاعتقاله، **الشرطة** هي من باشرت توقيفه، لم يكن يتجه للسجن السياسي، يعرف طريقه جيداً: «**في الموضوع شيء غريب!**»، حدّث نفسه.

كان جاسر السليمان يتحدث عبر الهاتف، مسترخياً في غرفة نومه، في قصره الأنيق، منذ مدة لم يبتهج كما اليوم، قال في زهو: «**هذه نهايةٌ طبيعيةٌ للفطريات الضارة!**»

رد عليه الطرف الآخر: «**أخبرتك سيدي.. هو من كان يدير حساب مجهد، ستتأكد بنفسك حينما يتوقف الآن عن التغريد.**»

في السجن؛ تعاطف معه شرطي برتبة صغيرة، يعرفه من خلال كتاباته، أخبره باختصار عن قضيته، صاحب الشقة رفع عليه قضية مالية، اتهمه فيها بالمماطلة في تسديد إيجار الشقة: «**اتهمك بأنك لم تدفع الإيجار للسنتين الأخيرتين.**»

«**غير معقول..!**»، تمتم فهد، أَقسم أنه لم يتخلف عن السداد، كان يسدد الدفعات بشكل نقدي، وأحياناً عبر حوالة بنكية.

«**هل كنتَ تأخذ إقراراً من صاحب المنزل بأنه استلم النقود؟!**»، سأل الشرطي متعاطفاً

«**في أول سنة فقط.. كنت أثق به كوالدي!**»

هز الشرطي رأسه متأسفاً، وحاول طمأنته، والتخفيف من جزعه، ثم قال: «**هذا موضوع سهل.. لكنه اتهمك أيضاً بتزوير شيك بقيمة كبيرة.**»

«**متأكد؟ مستحيل! أنا لم أُصدر شيكاً في حياتي على الإطلاق!**»

«**والله يا أستاذ فهد.. أنا موظف صغير.. وليس لديّ علم بأي شيء.. هكذا سمعتهم يقولون.**»

«**لا أكاد أفهم: هل يمكن أن يتم توقيف شخص.. حتى قبل رفع قضية ضده في المحكمة؟**»، استفسر فهد في إحباط.

«**أمر القبض عليك.. صدر من جهات عليا**»

بلغها الخبر؛ ملاك..!

أصيبت بانهيار، أحد الجيران أخبرها بتفاصيل ما جرى لزوجها، أخبرها من دون مقدمات!

من أعماقها؛ أطلقت صرخةً خوف مخنوقة، لم تتمالك نفسها، حبها الوحيد، اختطفوه من أمام المنزل، سقطت على الأرض، لم تعد تقوى على شيء. .

كانت متيقّنة من شيء وحيد. . !

متيقنة بأنها لن ترى زوجها بعد هذا اليوم!

امتلأت فضاءات مواقع التواصل الاجتماعي بخبر اعتقاله، ضجّت كما لم تفعل من قبل، تتابعت المواقف الغاضبة، والمتشنجة، أغلب ردود الفعل تقول إن هذا الأمر تم تدبيره، تم الإيقاع به، بقصد وأد حرية فهد التركي، وإرسال رسائل واضحة لمن خلفه. .

صباح اليوم التالي. .

تم استدعاء فهد التركي إلى مكتب **مدير السجن**، لاحظ تغيراً مفاجئاً في معاملة الجنود له، أحدهم كان يحمل ملابسه وحاجياته الشخصية!

«غريب!»

قام له مدير السجن مرحباً، قدَّم له الشاي، واعتذر منه كثيراً، اعتذر عن كل ما حدث، أخبره أنه رهن إشارته، ويتشرف بمقابلته، والتعرف عليه، توقع فهد أنها طريقة مبتكرة لاستخلاص المعلومات، قرأ عن كثير من الأساليب الاحترافية للاستجواب، حاول أن يهيئ نفسه لمثل هذه المواقف.

تحدث معه مدير السجن باختصار، لم يقدم له أية مبررات عن سبب

توقيفه، ثم أخبره من دون مقدمات: أن سائقه الشخصي تحت تصرفه الآن، وهو ينتظره في الخارج لإيصاله إلى حيث يشاء!

«**إفراج؟**»، سأل فهد التركي.

حاول أن يتعرف على السبب الذي دخل من أجله إلى السجن، عن حقيقة التهم الموجهة إليه، استفسر حتى عن سبب خروجه المفاجئ، اعتذر له الضابط بأدب، وأخبره أنه غير مخوّل للحديث عن هذا الموضوع، وطلب منه تفهّم موقفه.

لملم فهد حاجياته، وملابسه الشخصية، وسط دهشة لا تنتهي..!

حافظة نقوده؛ هم بإدخالها إلى جيبه، إلا أنه..!

«**مستحيل.. مستحيل.. لا يمكن..!**»

رأى مظروفاً صغيراً تم حشره وسطها:

اهتز قلبه بعنف هذه المرة، أحس بالمعنى الحقيقي للريشة التي تذروها الرياح، الشعار ذاته مرة أخرى:

كُتب على ظهر الورقة بخط دقيق:

«**خلال يومين.. سيتم تحويل ملكية العمارة كاملةً باسمك..**

استمر..»

٣٥

بعد خروجه من السجن، كان لديه هدف محدد، صمم على الوصول إليه، على معرفة السر الذي يقف خلف كل ما يحدث حوله، اتصل على عماد اليوبي، ضرب معه موعداً في أحد المطاعم، قرر أن يكتشف حقيقة ارتباطه بلغز (استمر) الغامض، لا يريد أن يعيش في دوامة من الشكوك والحيرة، سيصارحه، سيطلب منه الاعتراف بكل شيء، عن دوافعه، لماذا لا يكون دعمه بصورة مباشرة، ما السر وراء كل هذه التعقيدات الخفية؟!

«ولكن.. هل يعمل بمفرده؟ أم هل هناك من يقف خلفه؟!»

«هل يمكن أن يكون جاسوساً.. ويريد توريطي في شيء ما؟»

«مستحيل.. لا يمكن أن يفعلها عماد.. أقرب أصدقائي.. أثق فيه كثيراً.»

طلب فهد وجبة خفيفة، اكتفى بطبق بيتزا إيطالية، كان باله مشغولاً في الطريقة التي سيُفاتحه فيها، لاحظ أن عماد طلب طعاماً أكثر من حاجته بكثير: **«يبدو أن ثقته بنفسه لا تنتهي!»**.

احتار في الطريقة المثالية التي يجب عليه أن يبدأ بها، باتت نفسه تخشى عماد كثيراً، لا يمكن أن يكون شخصية عادية، استطاع تأمين طائرة إخلاء، وتكفّل براتبه كاملاً، ونقل ملكية العمارة باسمه، كما استطاع إخراجه من السجن!

«ولكن هل يعقل أن يمتلك كل هذا النفوذ الضخم.. وهو مجرد طالب جامعي؟!»

«ماذا لو لم يكن له صلة بالموضوع من الأساس؟!»

أحس فهد بدوار مفاجئ، لم يستسغ الأكل، اقترح على عماد أن يخرجَا في نزهة بالسيارة، يحس بضيق، ورغبة ملحّة في المغادرة، تجوّلا في عدة أحياء سكنية، أصر عماد أن يكون ذلك عبر سيارته الشخصية: «**لا بد أن ترتاح قليلاً.. يبدو أنك لم تنم جيداً بعد خروجك من السجن**».

«**ما شاء الله.. مبروك.. جهاز آيباد وآيفون مرة واحدة؟!**»، قال فهد بحذر، سأله كيف تمكن من تأمينهما في شهر واحد، ليس لديه دخل سوى المكافأة الجامعية!

«**أرزاق من السماء يا صديقي.**»

«**لم أفهم.**»

«**هدية.. من أحد الأصدقاء.. المعجبون كثير.**»

ألقى فهد جهاز الآيباد، أحس كأن شيئاً يغلي في داخله، أنه يفقد القدرة على ضبط نفسه، شيءٌ يدفعه نحو الانفجار، صرخ في وجه عماد: «**أنت.. أيها المخادع.. اسمع.. أخبرني بسرعة.. ما هي علاقتك بها؟ علاقتك بقصة: استمر**»

أغمض فهد التركي عينيه، هز رأسه في تثاقل، لم يكن متأكداً من أنه سأل عماد، أنه تفوه بشيء، صار يتخيل أن عماد يسمع خواطره الشخصية، أنه يرددها بصوت مسموع: «**سينتهي بي الأمر إلى الجنون**»

«**فهد.. سمعتك تهذي بشيء غير مفهوم!**»

«**لا.. لا شيء، فقط.. انسَ الأمر!**»

حاول فهد أن يغيّر الموضوع، أن ينشغل بشيء آخر، سيفقد تركيزه، بدأ يتصفح جهاز الآيباد الخاص بعماد، بادره عماد قائلاً: «**أحتاج إلى دورة تدريبية..أريدك أن تعلمني كيف أستخدم هذا الجهاز المعقد.**»

استعرضه فهد سريعاً: «**جهاز رائع.. أفضل من جهازي بمراحل**»، كان يعدد له الفروق بين الجهازين، والتطويرات الكبيرة التي تم إضافتها على النسخة المحدثة منه، كان يشرح له بإسهاب، قبل أن يتوقف فجأة.. أحس باختناق، بحرارة، بشيء يسري في جسده كله!

كان يتصفح ألبوم الصور: «**كلّا.. أنا.. لست أحلم.. لستُ في كابوس!**»

لم يكن يحلم، الصورة الخامسة بالضبط، كانت صورته الشخصية، صورته وهو يتجول في أحد المجمعات التجارية!

تم تصويره بصحبة زوجته!

«**ولكن.. لماذا يصورني؟!**»

«**لماذا يفعل ذلك كله؟!**»

انتبه للصورة التي تليها.. الصورة السادسة..!

كاد أن يصرخ، أن ينفجر!

كان مستقراً في ألبوم الصور!

استمر..

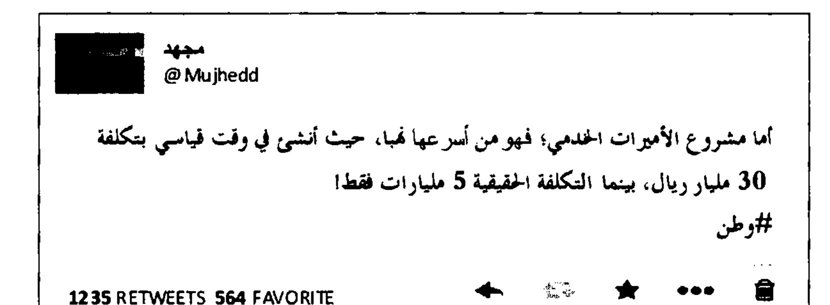
شعار استمر!



٣٦

أحس **مجهد** بنشوة عارمة؛ وهو يتخيل مقدار الدمار الذي خلّفه في قلوب خصومه: «**تويتر يشتعل الآن**»، حدث نفسه.

انتهى من سلسلة تغريدات مثيرة، تتعلق بآخر أخبار عدد من أكبر المشاريع في تاريخ السعودية، ذكر فيها تفاصيل المليارات التي تم نهبها بشكل منظم، وأسماء الجهات التي كانت متورطة في الفضيحة، ختمها بتغريدة يعتقد أنها ستحدث جدلاً كبيراً، واعِداً أن كل الوثائق سيتم نشرها بعد ساعتين بالضبط:



في الدور الثالث، لمبنى شهير وسط الرياض، كان «**ضوء**» مسترخياً على كرسي مكتبه الصغير، يفكر بعمق في الطريقة المثلى للرد على تغريدات مجهد الأخيرة، لديه عدة خيارات جاهزة، لا يريد أن يحرق أوراقه دفعة واحدة، أقسم أن يغير دفة المعادلة، لكنه لن يستعجل بكشف أوراقه هذه المرة!

أحس بدمه يفور؛ حينما قرأ تغريدةً جديدة كتبها فهد التركي، وقال: «**يبدو أن السجن لم يعلمك الأدب.. أيها الوغد الحقير!**»



فهد التركي
@AlturkyFahad

أحد مُلاك شركة إس أي يونايتد؛ كان يفاوض – عبر مدير مكتبه – مطعماً شهيراً ليشاركه أرباحه، مقابل السماح له بفتح عدة فروع بالرياض!



فهد التركي
@AlturkyFahad

(التسجيل الصوتي) بحوزتي الآن، وسيتم نشره.. بعد أخذ الإذن من صاحبه. دعواتكم..أحاول الآن إقناعه بذلك #وطن

شعر «**ضوء**» أنه بات يخسر المعركة تدريجياً، ويفقد كثيراً من وهجه السابق، قرر أن يسرع بإلقاء بعض ما لديه، كتب عدة تغريدات، يربط فيها بين فهد وشخصية مجهد، ختمها بصورةِ خطابٍ أرسلته إحدى الشخصيات النافذة جداً إلى فهد التركي، يحمل ختم مدير مكتبه الشخصي، ويعرض على فهد إمكانية التعاون لتسريب بعض المعلومات الخطيرة حول مشروع حكومي جديد، وذلك عبر حساب مجهد بالتحديد، واعداً إياه بإرسال عدد من الوثائق والمستندات المثيرة.. حال موافقته على التعاون معه.

مع الوقت، كان «**ضوء**» يزداد إحباطاً، متابعو مجهد في ازدياد مذهل، فقد دخل إلى نادي المليون، وأصبح اسمه يتردد على كل لسان!

تناول ضوء هاتفه في غضب، واتصل بأحدهم، قال بلهجة آمرة: «**الآن.. بسرعة.. اطلب منه أن يصعّد الموضوع بطريقة أكثر جدية.**»

٣٧

«هذه المرة.. ليس هناك مجال للشك.. أبداً.»

نظر فهد إلى عماد اليوبي نظرةَ رعب خاطفة، حاول أن يسرق ردة فعله، ملامحه.. لا شيء!

عدّل من جلسته، تظاهر أنه مشغول بتصفح جهاز الآيباد، أشاد بمواصفاته، تحدث باختصار، بعض الكلمات عَلِقت على شفتيه، لم تجرؤ حتى على المغادرة!

أحس بتلاشي قدرته على التفكير، أو اتخاذ أي قرار، ماذا يفترض به أن يفعل؟ هل يفاتحه في الموضوع في هدوء؟ أم يستخلص المعلومات بالقوة؟

«لو حاصرته من أجل أن يعترف.. ما هو أسوأ شيء يمكن أن يحدث لي؟»

رن هاتف فهد رنةً مزعجة، أحس كأنها تضربه على رأسه، تحطمه، نظر بتمعن إلى شاشة الهاتف، لم يكن يظهر رقم المتصل!

اتصال مخفي؟

أحس برهبة، بخوف من المجهول: **«لماذا تتابع عليّ الأحداث بهذه الصورة؟»**

«نعم..»، رد فهد بحذر.

أجابه صوت عميق: «**فهد.. رسالة الملك.. الديوان الملكي.. هل نسيتها؟!**»

صوته؛ كان كفيلاً بإسكان الرعب في جسده كله!

«**فهد..**»

«**لماذا لا ترد عليّ يا صغيري؟**»

«**عموماً.. ستصلك توجيهاتنا قريباً، نفذها حرفياً.. هل فهمت؟**»

«...»

«**بالمناسبة: رجالنا يتابعون حالة زوجتك الصحية باهتمام كبير، أبلغها سلامنا الحار!**»

«**فهد.. ماذا حصل؟!**»، قال عماد اليوبي.

«**لا.. لا شيء.. أريد أن أعود حالاً إلى المنزل.**»

شيء واحد.. ربط بينهما: الصورة العائلية، التي في جهاز عماد، وتلك الأخرى، التي وجدها في رسالة الملك، الاتصال الذي جرى قبل قليل.

«**هل كان الاتصال من قبيل المصادفة.. أم هو تم ترتيبه بدقة؟!**»

حاول أن يسترق نظرة إلى عماد؟ هل يمكن أن يفعلها؟ هل هو من كان يهدد زوجته؟ من اقتحم منزله؟ ولكن ما علاقة كل ذلك باستمر؟!

«**ولكن.. لماذا يظهر عماد بكل هذه الثقة المفرطة؟!**»

...، واختلط في رأسه كل شيء!

لم يتجرأ فهد على مفاتحة عماد، صار يخشاه أكثر من ذي قبل،

فضّل تأجيل الموضوع لوقت آخر، اتجه إلى منزله مستسلماً، شعر بالوحدة، بالعزلة، بمعاني الضعف، بتخلّي كل الناس عنه، تمنى لو يجد حضناً يلتجئ إليه، يبكي على أعتابه بحرقة، في داخله أثقالٌ لا يخرجها سوى بكاءٍ مرير..

«سينتهي بي الحال إلى الجنون.»

وحيداً، تتخطفه جهات نافذة، يملكون المال والسلطة، وهو فرد ضعيف، لا يملك سوى قلمه الإلكتروني، وشيء من الإصرار الذي بدأ في الاهتزاز، فكر في طريقة يواجههم بها، يرد بعض هجومهم، يشغلهم بأنفسهم ولو قليلاً، أطال التفكير، إلا أنه أدرك أنه يخوض مواجهة خاسرة بكل المقاييس!

كان يقود سيارته في إحباط، أوقفها في مكانها المعتاد، وقبيل أن ينزل منها، سمع طرقات متتالية من النافذة الجانبية، التفت في هلع..

«**الأستاذ فهد التركي؟**»، سمعه يتكلم من خلف النافذة!

شخص غريب، لا يتذكر أنه رآه من قبل، ثلاثيني، أسمر البشرة، خصلاتُ شعره ثائرةٌ في كل اتجاه: «**هل خرج لتوِّه من عراك؟!**»، كان ينظر إلى فهد بعينين حائرتين، صوته يتهدج من الخوف: «**هل تسمح لي بالتحدث معك لدقائق؟!**»

أذن له بالركوب، كان يدقق في كل تفاصيله بحذر، ينتظره أن يتحدث، أن يخبره بسر كل هذا الارتباك!

«قصتي طويلة يا أستاذ فهد.. إلا أنني تلقيت أمراً بالتوجه إليك، وتنفيذ أوامرك!»

«**أوامري.. أنا؟!**»، قال فهد في دهشة!

«**أرجوك.. أتوسل إليك.. استرني بستر الله**»، قال الرجل في خضوع كبير.

«...»

«**امنحني فرصة أخيرة.. فرصة واحدة فقط.. أرجوك.. سيدي.**»

غطى فهد وجهه بيديه، الأرض ليست هي الأرض، شيء يموج تحته، يتحرك ببطء، لا بد أنه يغرق، أفلاكٌ سحيقة، انتقلت حياته إلى خندق مظلم، إلى قفر موحش، إلى عذابات لا تنتهي.

«**ماذا تريد مني بالضبط؟!**»، قال فهد، من دون أن يرفع رأسه.

قال الرجل بنبرة خاضعة: «**كنتُ واقفاً عند إحدى إشارات المرور.. جاءتني امرأة.. ظننت أنها كانت تتسول.. لكنها قذفت عليّ مظروفاً من النافذة**»، وأشار إلى ورقةٍ يحملها بيده.

تصلّب كل شيء في جسد فهد، الخوف.. نيرانه.. تلفه من كل صوب، كان يرى كل شيء حوله بصورة غريبة، مقود السيارة، الزجاج الأمامي، لم يعد يرى سوى المرآة، أحس بأنها تتضخم، بأنها تحتل مساحة أكبر من حجمها الحقيقي: «**وهل طلبوا منك إيصالها للديوان الملكي.. للملك شخصياً؟!**»، سأل فهد التركي بارتباك.

«**نعم..!**»

«**وهل وجدتَ صورةً عائلية بالداخل.. صورة زوجتك مثلاً؟**»

رد الرجل بتردد: «**صورة؟ ولكن.. كيف.. كيف.. عرفت؟!**»

٣٨

أكمل جاسر السليمان كافة استعداداته، لم ينسَ حتى تلك التفاصيل الصغيرة، قرر أن يقضى شهراً في عدد من المدن الأوروبية، فضّل أن يذهب بمفرده هذه المرة، سيعُبّ من كؤوس المتعة حتى يتعب، لا بد أن يكافئ نفسه، في الفترة الماضية.. اعترضه عدد من الصعاب، أثقلت كاهله؛ أرباح الشركة، عدد من المشاريع التوسعية الجديدة، مشكلات الموظفين التي لا تنتهي، وأخيراً.. قصة ذلك المتطفل السخيف؛ فهد التركي!

قام إلى النافذة، فتَنته الشمس، منظرها وهي تغيب.. تسحر القلوب، في باريس؛ سيكون هذا المشهد أكثر حميمية.

يعاوده شبح فهد التركي من وقت لآخر، لقاؤهما الأخير كان محبطاً له، اعترف لنفسه أنه جازف بالموافقة على لقياه، خطأ كبير، يجب ألّا ينزل من مقامه ليلتقي بمثل هذه العقليات: «**حشرات.. مجرد حشرات حقيرة**»، تمتم في غضب.

كان حريصاً على تتبّع تفاصيل أخباره، على تتبع تحركاته، على قراءة كل ما يكتب، كلّف عدة أشخاص بهذه المهمة، لاحظ انخفاضاً كبيراً في نشاط فهد الإلكتروني، في محدودية مشاركاته: «**بالفعل.. كانت على حق..**»

ما زال يتابع جسد الشمس، لم يرها بكل هذه الفتنة من قبل، ابتسامةُ رضى.. فلتَت من بين تفاصيله العابسة، تنفس بعمق، وجعل يفكر: «**اثنان؛ إذا حصلت على رضاهما، فقد حيزت لي الدنيا: العالي.. والسيد الكبير**»

٣٩

استعرض فهد خسائره، جراحه، فادحةً كانت، ارتكزت في أعماق قلبه، صار مشتتاً، لا يقدر على فعل أي شيء، قرر أن ينقطع عن العالم، أن يعتزله عدة أيام، أن يُريح جراحه قليلاً، سيدعها تلتئم، تَمّحي آثارها، لن يستسلم، لن يلوِّح لهم بأية راية، هذا أقصى ما يتمنونه: «**لن يكتفوا مني بذلك.. سيتخذوني عبداً وضيعاً لديهم!**»

طلب من زوجته أن تبقى في بيت أهلها، سيعود قريباً، أراد أن يتخفف، أن يُلقي بعض أثقاله، أغلق هاتفه المحمول، ترك كل أجهزته الإلكترونية الأخرى، قرر أن يأخذ بعض الراحة، أن يتنفس قليلاً، أن يختفي عن كل الأنظار التي تلاحقه، لا يتذكر المرة الأخيرة التي أغمض فيها عينيه بأمان!

قضى عدة أيام في مدينة الخُبَر، في شواطئها، في مجمعاتها التجارية، كان لا يخرج إلا متخفياً، ليس مستعداً لملاقاة أي أحد، عاش حياة المطلوبين، المطارَدين، أحس أن روحه نبتت من جديد، تعالت، انزاح كثير من أثقالها، وعاد له شيء من توازنه..

وهذا ما كان يحتاجه بالضبط!

رجع إلى الرياض بروح وجسد جديدين، قرر أن يفعل ذلك كلما حاصرته المتاعب، عاد للتغريد من جديد، كانت بحوزته عدة ملفات، تناول عدداً من الموضوعات الساخنة، لم يستطع نسيان

لقائه الأخير بجاسر السليمان، لم تغادره كلماته المهينة، استعلاؤه البغيض، كم صار يشمئز من مجرد تذكر اسمه، قرر أن يركز على كشف مزيد من حقيقته، حقيقة شركته الضخمة، لا يعلم هل انتقلت خصومته لتتخذ جانباً شخصياً معه أم لا؟!

اتصلت به غادة الإبراهيم، فرح حينما شاهد اسمها المستعار على شاشة هاتفه، منذ مدة لم يُنصت لحديثها، تمتلك نبرة فاتنة، يهتز قلبه لها كل مرة، كم حنّ لذكراها، تمنى لو يضرب معها موعداً هذه الليلة، سيخبرها عن المفارقات التي تعرّض لها مؤخراً، عن حياة التخفي في المنطقة الشرقية، عن مشاعر الخوف التي عايشها، سيحادثها طويلاً، سيحادثها حتى يطلع الصبح، سيخبرها عن كل شيء.

كثيراً ما كان يتلمّس ضحكاتها، نيّاتها، هل كانت تتودد له؟ أم هي كذلك مع الجميع؟

أحياناً يظن أنها تحاول التسلل لقلبه، تمتلك ابتسامة قاتلة، لا يظن أنه رأى مثلها من قبل، هل كان يبالغ؟

كان يقود سيارته، متجهاً إلى منزله، أفزعه صوتها، كانت تصرخ فيه:

«فهد.. فهد.. اتصال.. انتبه.. في خطر!»، كانت أنفاسها متسارعة، لم يفهم من كلامها شيئاً، خمّن أنها كانت تركض.

«غادة.. غادة.. ماذا تقولين؟»

«هل كتبت عنه.. آسفة.. لا أدري ماذا..جاسر السليمان.. هل عُدتَ للكتابة عنه من جديد؟»

«اهدئي.. اهدئي يا غادة.. وأخبريني بكل شيء..!»

«حبيبي.. لا أعلم شيئاً.. لا أعلم.. لكن انتبه لنفسك، قرار خطير.. تم اتخاذه اليوم!»

«خطير؟! ماذا.. ماذا تقصدين؟»

«لا أستطيع التحدث أكثر من هذا.. انتبه.. انتبه لنفسك جيداً.»

«غادة.. غادة..!»

وسمع نصفَ صرخةٍ أطلقتها، قبل أن يتم إغلاق خط الهاتف!

دخل شقته الصغيرة، دخلها بحذر شديد، كان يحبس أنفاسه، يتوقع أن يسقط عليه شيء من السماء، أن يقفز عليه أحد، أن يفاجئه..

ثم أطلق صرخة من قلبه.. من أعماقه.. حينما سمع جرس المنزل يرن..

كان يرن دونما توقف!

٤٠

أصبح يشك في كل شيء، كلمات غادة أرعبته، ماذا حل بها؟ تذكر كلماتها المخنوقة: «**قرار خطير.. تم اتخاذه اليوم!**»

استمر طرقُ الجرس، أجاب عبر السماعة الداخلية، استغرب؛ مطعم كنتاكي! لا يتذكر أنه طلب منه شيئاً، هل فقد الذاكرة؟ وقف للحظات، شك في نفسه، ثم قرر أخيراً.. أن يفتح الباب!

فتح الباب بمقدار عينٍ واحدة، أطل بها، سأله: «**نعم.. ماذا تريد؟!**»

رجل ضخم الجثة، كان يدير له ظهره، قميصه ملتصق بجسده من آثار التعرق، كان يتحدث عبر هاتفه المحمول، أشار لفهد بالانتظار قليلاً، لم يكن يرتدي زي المطعم، ولم يره يحمل أية أكياس، نادى فيه فهد مرة أخرى: «**ماذا تريد؟!**»

أدار له وجه..

ملثماً كان!

على وقع المفاجأة.. تصلّب فهد في مكانه!

بعنف شديد؛ دفع الرجلُ الباب بقدمه، صارخاً فيه مراراً ألا يتحرك، ألا يبدي أية مقاومة، وفي حركة سريعة، أخرج من جيبه شيئاً، لا يتذكر فهد ما هو، أصابته لحظات شلل، أصبح مرتهناً

لجحيم عينيه، رآهما، كانتا تحملان أحقاداً. . أحقاد الدنيا كلها!

مرر سكيناً على رقبته، كان يصرخ فيه، يتحدث بانفعال، بشراسةٍ حيوانية، بعض كلماته كانت غير مفهومة، لم يتحرك فهد، بقي جامداً، مسلوب الإرادة، ترتجف كل أوصاله: «**أنت لا تفهم سوى لغة التهديد.. غبي.. أيها الغبي.. أنت لا تفهم شيئاً على الإطلاق..!**»

أمسكه بكلتا يديه، سحبه إلى غرفة داخلية، أَقسم أن يقتله لو أبدى أية مقاومة: «**هذه نهايتك أيها الحقير.. أُقسم إنها نهايتك!**»

ركله في بطنه عدة مرات، ركله في أجزاء متفرقة من جسده، كان يتعمد إخراج بعض لعابه، نثره على وجه فهد، صاح فيه: «**تتحدانا؟!.. تتحدانا أيها الوضيع؟!**»

«**من أنت حتى تتجرأ على كل ذلك؟**»

«**هل تعرفنا؟ هل تعرف من نكون؟**»

«**تكلم أيها الغبي..**»

«**لماذا لا تتكلم؟**»

«**أجبني بسرعة.. أين هو.. بسرعة.. تحدث**»، ثم ركله في ظهره، تكور فهد، حاول الاحتماء بزاوية الغرفة، بأي شيء، لم يتحدث بأي كلمة، لم يستطع، تماماً. . فقد القدرة على الكلام.

«**أخرجه بسرعة.. أين خبأته أيها الحقير؟!**»

«. . .»

هجم عليه مسعوراً، قام بتكتيفه، ثم ربطه في دولاب الغرفة، أشعل سيجارتين، وضع الأولى على الأريكة، وشرع يستنشق الأخرى، بدأت رائحة احتراق القماش تفوح: «**لست في عجلة من أمري.. إذا قررت الكلام.. فأخبرني!**»

أخبره فهد، بالكاد استطاع أن يتذكر مكانه، أن يتحدث، هل فقد الذاكرة بالفعل؟

سمع الرجلُ التسجيل الصوتي، تأكد أنه هو، كان محفوظاً في هاتف فهد، المفاوضات التي جرت بين مالك المطعم ومدير مكتب «**العالي**»، التسجيل الذي هدد فهد بنشره!

«**أحسنت يا صغيري..**»

«**لابد أن تتذكر يا صديقي.. أن العناد لا يأتي إلا بشر!**»

«**كنت سأقتلك.. لدي كل الصلاحيات لفعل ذلك.. لكن..**»، فكر ملياً ثم قال: «**قررتُ أن أكافئك..!**»

أخبره أنه محتار في المكافأة التي سينزلها عليه: « **أعطاني سيدي العالي كل الصلاحيات.. كل الصلاحيات التي تتخيل!**»

«**هل تعرف صدام حسين؟ الصراحة.. أنا مغرم به.. رأيتُ في فيلم قديم.. كيف كان يقتلع ألسنة معارضيه، كان يأمر بقصها من جذورها.. قصها بالمشرط.. رأيت المقطع ألف مرة.. بل أكثر..**»

ضحك بجنون: « **كنت أُحس بنشوة سادِيّة في كل مرة.. لم أكن أتخيل أنه ستتاح لي فرصة ممارسة هذه التجربة الرائعة..!**»

أخرج المشرط من جيبه، اقترب منه ببطء، صرخ فهد، أغلق فمه،

صرخ بطريقة مكتومة، كان يتوسل إليه، يهذي بكلمات غير مفهومة:
«لا تخف يا صغيري.. لن أؤذيك.. لن تتألم.. صدقني لن تتألم!»

تلقّى الرجل اتصالاً، كان موجهاً من أحد أعوانه في الخارج، طالَبه بسرعة الخروج: «**حسناً.. حظك جميل.. سأذهب الآن.. لكن.. ما رأيك في هدية صغيرة.. هدية تذكارية؟!**»

«**أُحب أن تتذكرني كلما قررت الكتابة عنا.. كلما قررت إزعاج الآخرين.. خصوصاً: سيدي العالي!**»

«**ما رأيك يا صغيري.. أن أقوم بتنظيف أحد أظافرك؟ لا تقلق، سأقتلع أصغر ظفر، سيلتئم الجرح في غضون أسابيع، وسينمو واحد جديد، سيكون أجمل بكثير، فقط ستتألم قليلاً أيها المناضل العظيم، كن شجاعاً**»

صرخ فهد صرخة عميقة، لا يتذكر أنه صرخ مثلها في حياته..

فك الرجل رباطه، وتركه ينزف!

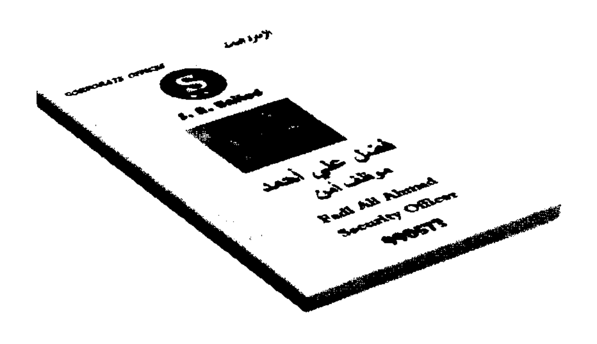
عند الباب.. التفت إليه، وقال عدة كلمات، لم يسمع فهد منها شيئاً: «**تيقّن أيها القذر..لو رأيتني مرة ثانية فلن أكتفي بظفر واحد!**»

بعد عدة ساعات، قام فهد بترتيب الغرفة، بإزالة آثار الدمار، كل شيء كان ملقى على الأرض، فقد توازنه لساعات، لم يكن يتوقع أنه بمثل هذا الضعف، خذله قلبه، وخارت معه جميع قواه!

أحس بإثارة، وومضة أمل صغيرة.. حين رآها..!

كانت ملقاةً في الغرفة: «**لا بد أنها تخصه.. الحمد لله.. بالتأكيد**

سقطت منه حينما حاول إخراج المشرط!»، هكذا خمن، تناولها بيدٍ ترتجف، بطاقةُ عمل، تأمل في صورته، ارتجف، مرعبةً كانت، حتى في الصورة كان مقطّباً حاجبيه، يعمل موظفَ أمن في **(شركة إس أي يونايتد)!**



خلال اليومين التاليين؛ كان فهد يراود نفسه، يشجعها، يقنعها أن قراره هو الأسلم، هو الطريقة الوحيدة لحمايته، ولإرغامهم على التوقف عن إيذائه، قرر أن يفعلها، ليس لديه ما يخسره بعد الآن، على الأقل يمكن أن يجعلهم يفكرون مئة مرة قبل الإقدام على فعل ما يؤذيه، فأصابع الاتهام ستتجه إليهم بالتأكيد!

قام بنشر وقائع إيذائه جسدياً، ذكر جميع التفاصيل، أدرج صورة لإصبعه المصابة، وبعد تردد. . قام بنشر بطاقة الرجل الذي هدده، وأعلن أن سلامته تقع على عاتق الجهات الأمنية!

٤١

السيد الكبير؛ كان مسترخياً في إحدى مزارعه، أمامه فرقة كوميدية متكاملة، جُلبت من إحدى الدول العربية خصيصاً لأجله، لأجل تخفيف حدة ملله، لم يُعِرها أدنى اهتمام، كان مشغولاً بحديث جانبي، استأذنه مدير مكتبه، كان يحمل بين يديه خريطة كبيرة، تعود لمخططٍ ضخم شمال الرياض، قُسِّم إلى ثلاثة أجزاء: أ، ب، ج، تم منحه إياه بمناسبة بلوغه سن السبعين.

لم يكن لديه رغبة كبيرة في ضم هذا المخطط لأملاكه الخاصة، فقرر توزيعه بالتساوي بين أبنائه، ثم أبقى قطعتَي أرض من فئة ج، سأل مديرَ مكتبه: «**من بقي ممن وعدنا؟!**»

«**أبو فراج.. سيدي.**»

«**صدقت، أعطه الأرض الأولى.. اجعله يتلقّفها كالجرو**»، قال ساخراً، ثم أضاف: «**ومن بقي أيضاً؟!**»

لم يرد عليه، حاول أن يتظاهر بالحرج، والتردد: «**لم يبق أحدٌ سيدي.**»

ابتسم السيد الكبير، وقال ضاحكاً: «**أخبرني.. ماذا تريد؟!**»

«**سيدي.. أنت تعرف.. الحياة صعبة، والمستقبل غامض.**»

«**تكلم.. لمن تريدها؟!**»

تظاهر بالارتباك: «**ابني.. ابني.. يا طويل العمر.**»

ابتسم: «**وكم عمره؟**»

«**خمس سنوات.. أصبح رجلاً سيدي.**»

ضحك السيد الكبير طويلاً، ثم قال: «**أنت شيطان صغير.**»

٤٢

خلال اليومين الماضيين، لم يخرج فهد التركي من منزله، كان يبحث عن أمان ضائع، عن سكينة مفقودة، طلب من زوجته أن تؤجل قدومها، قدّم لها ألف عذر، لا يريد أن تراه مهزوزاً، ضعيفاً. .

«**لو اعتقلوني؟! لو حاربوني؟!**»، كان يقص على نفسه بطولات لم تأتِ، كان يتخيل أنه سيسجل صموداً تاريخياً، تدوّنه محابر المؤرخين، كان يفكر في كل هذه الأمواج التي حاصرته، بكل الظلام الذي أحاط به، تأمل شدة وقعها عليه، آثارها التي خلّفتها، ثم نظر إلى روحه في تساؤل: «**هل كانت هذه الأمواج عاتيةً بالفعل؟ أم هل أنا الطرف الضعيف في المشهد؟**»

فكر طويلاً. . باحثاً عن سر هذا الضعف الذي هبط عليه فجأة!

«**تباً.. لهذه المشاعر السلبية!**»، حاول أن يتناساها، أن يتظاهر بالتجلد، إذا استمر في استحضار هذه المشاعر المحبطة. . فسينهار في أي لحظة: «**مازلتُ صامداً.. في وسط المعركة.. لم أتنازل عن أي شيء!**»

دخل مكتبته، تصفح عدة أوراق، رآها شاحبة، منذ أسبوع لم يلمسها، دهمته صوارف لا تُحتمل، لا يتذكر أي مشروع توقف عنده، تناول عدة أوراق، إتجه صوب غرفة نومه، سيقرؤها مسترخياً: «**أَحتاج إلى نقاهة طويلة.. طويلة جداً.**»

طوى الورقة الأولى، ثم نظر إلى السقف. كلما حاول إتمام هذه المقالة.. أحس بآلامه تشتعل، فقد كان يقرأ عذابات عشرات السنين، يقرؤها ولا يستطيع فعل أي شيء!

اختار لمقاله عنواناً حزيناً، يعبّر عما يعتمل في صدره: «**مظلّة الوطن.. تتهاوى في صمت وألم**.»

اعتمد في كتابة المقال على دراسة ميدانية، وأخرى تاريخية، استعرض سلسلة من الدراسات، تدرس حقيقة التدهور الاقتصادي الذي حل بالمواطن السعودي، حصر أهم السلع الضرورية، وتتبع ارتفاع أسعارها خلال السنوات الثلاثين الماضية، ثم قارنها بنسبة الارتفاع في رواتب المواطن السعودي خلال الفترة نفسها.

«**نتيجة مخيفة بالفعل!**»، تمتم فهد وهو يستعرض نتيجة بحثه!

وجد أن أسعار أهم السلع بالسعودية ارتفعت قرابة ٧٦٥ بالمئة خلال السنوات الثلاثين الماضية، فكر ملياً: «**ليس هذا هو المهم!**»، كان الأمر المخيف أن دخل المواطن السعودي ارتفع خلال الفترة نفسها ٦٦ بالمئة فقط!

«**الفرق بينهما قرابة ٧٠٠ بالمئة.. فجوة خطيرة جداً!**»

فكر فهد في حال ملايين السعوديين، فيما آلت إليه حالتهم، في الآثار التي خلفتها السنين على وجوههم، يُقاسون كل ذلك وهم راضون، وهم صامتون، لا يعبأ بهم السراق حين يسرقون، لا ينظرون إلى آلامهم، إلى حاجاتهم، إلى طلبات صغارهم التي لا تنتهي!

أصعب إحساس؛ ذلك الذي يجْتاح كيان الرجل، الأب، حينما يقف عاجزاً عن تلبية طلبات أسرته الصغيرة، أن تمُدَّ طفلته يديها، أن

تطلب أدواتٍ مدرسية أعجبتها، أو فستاناً تعلقت به، أو حتى لعبة تفرح بها، لا يتجاوز ثمنها ٢٠٠ ريال.. فيضطر كارهاً أن يرد يديها، أن يردهما صفراً، أن يزهِّد تلك اللعبة في عينها، أن يَعِدها بلعبة أفضل، في يوم قريب، في يومٍ لن يأتي..

هنا لا يبكي الرجل، لا يجرؤ على البكاء أمام زوجته، أمام أطفاله، الرجل.. يحب أن يظهر أمام صغاره صامداً، جلداً، عنترياً، لكنه أَدرَى.. أن دواخلَه، وجدانَه، ستغُسل ألفَ مرة ببكاء مرير، ودمع لا ينضب!

سيظل يشير إليهم بيدٍ لا تتعب، ولا تملّ، إلى من كان السبب خلف كل هذه العذابات، وقلبه سيستمر في الاشتعال، والصراخ حتى يأتي يوم الخلاص!

شعر فهد برغبة في تدمير كل شيء، في الانتقام ممن كان يقف خلف ذلك كله، نحّى كل الأوراق جانباً، واستلقى على سرير نومه: «**سوادٌ مُطبق..!**»، كان يحب التفاؤل، الإيجابية، التغني بالأحلام، لكنه لم يعد يجد لذلك مكاناً، أحس أنه يكذب على نفسه، أنه يخدِّرها، يسكِّن آلامها، ستصحو الآلام ذات مساء، وسيحس بالوجع، ليس وحده، الملايين من خلفه، سيذوقون حرارة هذا الوجع الحارق، لن يطول احتمالهم، وتصبُّرهم!

«**أُقسم أنه لن يطول..!**».

«**من يكون.. ياربّاه؟!**»

سمع طرقاً عنيفاً على باب منزله، كان يتتابع من دون توقف: «**لماذا لا يستخدم الجرس؟.. حقير!**»، نسي أنه أوقفه، فصل الكهرباء عنه،

حينما قرر قبل يومين ألا يفتح لأي أحد، ألا يجيب على أي اتصال.

تلصص من الباب..

ثم وقف جامداً!

ملابسهم.. يعرفها جيداً!

جسده كله.. بدأ يرتعش، لم يعد يحمله، تعرّق، عيناه، لا يبصر بهما، مسلوباً. صار مسلوباً، لا يقدر على فعل شيء، مدّ يده، سيفتح الباب، فتحه، وسقط على الأرض.. مستسلماً لأقدار السماء!

٤٣

كانوا ثلاثة رجال، أحدهم كان شاهراً سلاحه، ومن خلفهم امرأتان، أخرج الأول بطاقته، لا بد أنه قائدهم، عرّف عن نفسه، لم يفهم فهد شيئاً من كلامه، أحس بدوار، بثقل شديد في يديه، في صدره، يريد أن يستلقي، سمعه يقول؛ إنه أحد **ضباط المباحث**، طلب منه التعاون، وعدم التحرك، سمعه يردد: «**قوات الطوارئ**»، ويشير بيديه، كان غائباً عن الوعي، شبه غائب، دمية يحركونها بأيديهم، دخلوا منزله، دفعوه بقسوة، لم يكن يتحرك، صرخ أحدهم في وجهه، شتمه، ثم أغلق باب المنزل.. وطلبوا منه تسليم كل أجهزته الإلكترونية!

فتشوا منزله بدقه، لم يدعوا شيئاً إلا أزاحوه من مكانه، بحثوا في مكتبته، في أدراجه، بين ملابسه، في المطبخ، في دورات المياه، بحثوا في كل مكان!

حملوا عدداً من أشيائه، اصطحبوه إلى السيارة، كان يمسك به شخصان، أحكَما وثاقه، صاح فيه الأول: «**اركب السيارة.. بسرعة**»، أغلقوا عليه الباب، وتركوه وحيداً، كان مسلوب الإرادة، لا يستطيع اتخاذ أي قرار، بعد خمس دقائق، استدعاه الضابط: «**أنت محظوظ.. جاءتنا الأوامر بإطلاق سراحك.. بشرط أن توقِّع لنا تعهداً خطياً.. بعدم الكتابة في أي موضوع يتناول الشأن العام.**»

أمطره بوابل من الأوامر: «**ليس الآن؛ غداً صباحاً.. سنأتي لاصطحابك لتوقيع التعهد.**»

«**ستبقى طوال اليوم تحت المراقبة.**»

«**لا يسمح لك بالخروج من المنزل.. ولا استخدام السيارة.. ولا إجراء أية مكالمات هاتفية.. مفهوم؟**»

«**لماذا كل هذا.. لو اتصلوا بي لأتيتهم طواعية.. لست هارباً ليفعلوا بي كل ذلك!**»، استعرض فهد القصة منذ بدايتها.. اقتحامهم للمنزل، الدمار الذي خلّفوه، الرعب الذي سكن قلبه، جاءته خطرات متتابعه: «**هل يمكن أن تكون رسالة تحذيرية.. إذا لم يجدوا مني تعاوناً فسوف يتم اعتقالي في المرة القادمة؟!**»

صباح اليوم التالي؛ حضر الضابط بمفرده، حضر إلى منزل فهد، كان يرتدي زياً مدنياً، أخبره أن موضوعه بسيط، خصوصاً بعد تدخل أحد كبار الضباط، كان يعرف فهد شخصياً، ويتابع كتاباته باستمرار، حيث توسّط لعدم تصعيد الموضوع، والاكتفاء بأخذ تعهد خطي: «**إذا تعاونتَ معنا.. بذكر أسماء الفريق الذي يساعدك في إدارة حساب مجهد.. فنتعهد لك بعدم اعتقالك، أو محاسبتك مطلقاً.**»

كان ضوء في قمة انتشائه، كان أول من أذاع خبر الاعتقال، أخبر أنه تم الإفراج عن فهد التركي بكفالة، وتعهد خطي، وفي انتظار الخطوة القادمة بحقه، والتي وصفها بأنها «**حاسمة، ومدمرة لكل العابثين.**»

٤٤

لمّا أحس بنشاط، بأن جسده صار يقوى على حمله، بعد اعتزال أربعة أيام، بعد سعير الوحدة ولهيبها.. قرر فهد التركي أن يزورها، أن يزور والدته، أراد أن يتخفف من بعض أثقاله، أيقن بأنه سيرتاح، سيصله بعض عبيرها، استقلّ سيارته، أنكر شحوب مقاعدها، كانت تتوشح بشيء باهت، لم يألفه، هل كانت تشاركه آلامه؟

سار ببطء، حتى وصل إلى حيث والدته، الْتمس من الحارس أن يفتح له، حارس المقبرة، يعمل نباش قبور؟

في إطراق.. دخل المقبرة، حيث يسكن قلبه الأول، حبه الأول، كيف لهذا المكان الموحش أن يضم بقاياها الطاهرة؟ أحس برهبة من منظر هذه القبور الممتدة، خلع نعليه، انحنى حيث تستقر، أخذ بعض ترابها، فتّه بين يديه: «**أمي.. المكَارِه.. أصابتني من بعدِك.**»

هذا المكان، ضريح والدته، ترابها.. إنما هو قطعةٌ من الجنة، من أعالي الجنة، يحس فيه بالأمان، بالنعيم، أَقسم أن يشمّ كل جزء منه، كان على يقين بأنها تسمع نداءاته، بأنها تتألم لآلامه، بأنها تبكي، أغمض عينيه، أطرق برأسه، انحنى أكثر، كان يسمع شيئاً،

رآها تتحدث، لم يكن يتخيل، رأى معطفها، بريق عينيها، وجهها الملائكي، جسدها المتعَب، كانت تتحدث، ما أجملها، ما أجمل صوتها، صوتٌ يأتي من الجنة، لم تكن تبكي، لم تكن تتألم، كانت تناديه باسْمه: فهد.. حبيبي، فقَدَ تلك النغمة الساحرة، كانت تُصبِّره، دعت له طويلاً، مد يده، كم يتمنى أن يصافحها ثانية، أن يقبِّل رأسها الطاهر!

في عينيه شيء، يريد أن يتدفق، أن ينعَتِق، لن يبكي بحضرتها، لا يليقُ البكاء بحضرة الأمهات، خُيل إليه.. أنها ستسعد أكثر لو فارقها وهو يبتسم، فقرر أن يتحامل على نفسه، من قبل.. كانت تُهاتفه كل ليلة، تتفقده، تتأكد من سلامته، كم كانت تترجاه أن يخفف من حدة كتاباته، ألا يفجعها فيه، كانت لا تنام حتى تطمئن عليه، أنه أغلق عليه بابه في سلام، استحضر ذلك كله، ثم نظر إلى وجهها: «**أمي.. هل أنتِ راضيةٌ عني؟**»، رحلتْ فجأة، لم يطلب منها المغفرة، كم أساء بحقها، كم أَتعب قلبها، تدفقت دمعةٌ إلى عينيه، أراد أن يوقفها، أن يُخفِيها، لم يستطع، تسللت رغماً عنه، اجتازت كل خنادقه، انهمرت ببطء، لم يتجرأ أن ينظر إلى وجه أمه، وضع يديه على وجهه، بكى.. بكى بمرارة، بكى كما لم يفعل من قبل..

سمع صوتها، كانت تناديه، وضعتْ يدها على كتفه، نادت باسمه، أَقسم أنه سمع صوتها، نظر إلى يدها، تحسسها، ثم..!

ثم.. صرخ من أعماقه صرخةً تردد صداها في أطراف المقبرة!

ثم سَكنت نفسه؛ حينما أدرك أن اليد التي تحسسته.. كانت يد حارس المقبرة، كان يهز رأسه في مواساة، جاء ليطمئن عليه،

ويطلب منه المغادرة، فقد مكث على قبرها أكثر من ساعتين!

عاد إلى منزله، أوقف سيارته، انتبه لوجود سيارة تقف أمام المنزل، نزل منها شخص، اتجه إليه، أسرع فهد، فتح باب شقته: «**فهد.. توقف.. أريدك لحظة.**»

اطمأن حين تعرف عليه: «**مرحباً.. المعذرة لم أعرفك.**»، كان سلمان الحكومي، صديقه، منذ مدة لم يره.

«**اتصلتُ عليك مئة مرة.. أردت أن أطمئن فقط..**»، أضاف بعد تردد: «**خصوصاً بعد الشائعات الأخيرة!**»

أدخله شقته، تحادثا طويلاً، أخبره بكل شيء، مع كل كلمة.. كان يحس فهد أنه يتخفف أكثر، يستعيد شيئاً من تماسكه، منذ زمن.. لم يتحدث مع أحد أصدقائه، لم يخرج شكواه، لم يكن سلمان ذلك الصديق الذي يصارحه بكل ما في قلبه، لكنه فعل الآن، اقترح عليه سلمان أن يخفف من حدة خطابه، مؤقتاً على الأقل، يمكنه أن ينصرف لموضوعات أخرى، فليس مكلفاً بإصلاح العالم لوحده..

رد فهد بعد تردد: «**أعلمُ يا صديقي أن هذا الطريق مليء بالتضحيات، والمصاعب، كنت أظن أنني سأصمد، سأتغلب عليها، لكنّ الأحداث.. هزتني بالفعل، وجعلتني أراجع كثيراً من قناعاتي، لا لشيء، ولكني على يقين أن أصغر جندي يمكن أن يُلفِّق لي أعظم تهمة، أن يسحق مستقبلي، ومستقبل عائلتي، وسأعيش بعدها منسياً في أعماق السجون، ولن يسأل عني أحد.**»

في نهاية اللقاء، قام سلمان الحكومي مودعاً، كاد فهد أن يسأله، أن

يطلب منه البقاء أكثر، أن ينام معه، لكنه خجل من نفسه: «**بالمناسبة.. هل رأيت عماد اليوبي؟**»، سأل فهد.

«**للأسف.. منذ عدة أيام لم نلتقِ..**»

لاحظ سلمان الحكومي تغيراً في وجه فهد: «**ولكن.. لماذا تسأل عنه؟!**»

«**لا.. لا شيء.. اِنْس الأمر تماماً.**»

وقفز إلى ذهن فهد سؤال منطقي: «**سلمان الحكومي.. ماذا يريد؟ وما الذي جاء به إلى منزلي في مثل هذا التوقيت الحساس؟**»

«**هل...؟!**»

٤٥

حينما عادت إليه ملاكه، كان منتهى أمله.. ألا تلاحظ أي تغيير في المنزل، ألا تنتبه لآثار المداهمة، لآثار التخريب الذي خلفوه، جاهد ليرجع كل شيء إلى مكانه، رتب ملابسها بعناية، أعاد تنظيم مكتبته، الأريكة.. سيدّعي أنه أسقط جمرةً عليها، سيقول أي شيء، سألته فجأة: «**فهد.. صارحني.. ماذا الذي تخفيه عني؟!**»

«**لا شيء.. ملاكي.. لا شيء.. المنزل في أفضل حال.**»

استفسرت منه؛ منذ البارحة لاحظتْ فيه تغييراً، كان شارد الذهن، كثير التفكير، أخبرها قلبها، ليس هذا زوجها الذي تعرف، نظرت إليه متشككة: «**فهد.. أنت تخفي عني شيئاً.**»

لم يجبها، لن يحشرها معه في مشكلاته، يكفي أن يكون في المنزل جسدٌ متعب: «**جسدٌ واحدٌ يكفي!**»

«**هل الموضوع له علاقة بالأوراق التي وصلتني اليوم؟!**»

قفز فهد من مكانه، سألها في توتر: «**أية أوراق؟!**»

«**صباح اليوم.. طرق الباب سائق أجنبي، كان يبحث عنك.**»

سأل بعصبية: «**لماذا فتحتِ له الباب؟ أقصد.. ماذا.. ماذا كان يريد؟!**»

«**أعطاني مظروفاً.. لم أفهم منه شيئاً!**»

«**لماذا فتحتِ المظروف؟ أين هو؟! بسرعة.. أخبريني؟!**»

غمرته رعشة، ارتباك كبير. . حينما رآى الأوراق، طلب من زوجته المغادرة، أغلق على نفسه الباب، سيفقد عقله لا محالة:

صُدم برؤية الشعار المريب، وصدم أكثر من الأخبار التي حملها:
«هل يعقل.. مستحيل؟!»

قرأ عبارةً أذهلته، جعلته يشك في نفسه، يستعرض كل ما حدث، كأنه في حلم، (**صاحبُ استمر**) سرّب إليه معلومات صادمة، لم يستوعبها، قرأها أكثر من مرة، كان يدّعي أن من قام بمداهمته؛ لم يكن جهاز المباحث، ولا أي جهة أمنية أخرى، بل من جهة يعرفها جيداً، من قبل شركة إس أي يونايتد!

اتسعت عيناه: «**لا أصدق!**»

تفاجأ حينما أخبره بحقيقة رسالة الملك. . ومن يقف خلفها!

«الرجل الذي زارك.. الذي ادّعى أنه تلقى رسالة مشابهة لرسالة الملك، على الأرجح.. هو الشخص نفسه الذي هددك، واقتلع ظفرك!»

أتعبه الوقوف، انتبه أنه ظل واقفاً لساعة، لم يتحرك من مكانه، فكر طويلاً: «**هل يجب علي أن أثق به؟! ماذا لو كان يخدعني؟!**»، ساعده مراراً، دعمه مالياً، لكنه احتار. . هل يمكن أن يثق فيه بشكل مطلق؟

تساءل عن علاقة عماد اليوبي بذلك كله!

«عماد.. تباً لك..!»

تناول هاتفه المحمول، اتصل بسلمان الحكومي، أخبَره ذات مرة، أن أحد أقاربه يعمل في جهاز المباحث، في وظيفة مهمة، لم يعلم هل عليه أن يثق به؟ خصوصاً بعد مجيئه الأخير، وأسئلته الكثيرة!

لكن ليس لديه خيار آخر!

«**سلمان.. أريد أن أقابلك سريعاً.. الآن.**»

التقى به جوار منزله، طلب منه أن يتأكد من بعض التفاصيل..

بعد عدة ساعات، كان سلمان الحكومي على الموعد: «**نعم.. هو متأكد يا فهد.. ملفك فيه بعض الملاحظات.. لكنه أكّد لي: أنهم لم يقوموا بمداهمة منزلك.. وليس لديهم أوامر بالقبض عليك.. على الإطلاق!**»

تذكّر فهد تفاصيل المشهد، استقامت أمامه الحقائق، لم يدقق في بطاقة الضابط، الرجل الذي انتحل شخصية الضابط، حتى سيارتهم، لم يكن عليها أي شعار رسمي، حتى الأوراق..!

أمطره سلمان بعدد من الأسئلة، سأله هل يتذكر شيئاً من أوصافهم، أجاب فهد: «**لا.. لا أستطيع تذكر أي شيء.. كنت في حالة هستيرية.. فقدت فيها عقلي كله!**»

نظر إلى الشعار، إلى الأوراق المريبة، قرأها مئة مرة..!

«**غبي..!**»

«**إنني.. غبيٌ كبير..!**»

٤٦

على وقع **الرسالة النصية** التي وصلته، فزع جاسر السليمان من استرخائه، أحس ببوادر خطر جديد، تمام الساعة الحادية عشر ظهراً، لم يكن في حالة مزاجية تسمح له بالذهاب إلى الشركة للتأكد من التفاصيل، اتصل بمساعده، وطلب منه التأكد من الأمر بشكل شخصي، كما أمر محامي الشركة أن يأتي لمنزله على الفور!

«بناء على طلبك.. تم إرسال المظروف إلى الديوان الملكي.. إلى الملك شخصياً..!

المخلص: فهد التركي»

بداية الأمر؛ ظن جاسر السليمان أنها مجرد كذبة سخيفة من فهد التركي، ومحاولة يائسة لإرباكه، إلا أن الشك غامره حينما رأى رسالةً أخرى من فهد، تحتوي على رقم المعاملة الصادرة للديوان الملكي، وتاريخها، وطلب منه أن يتأكد بنفسه من صدقية حديثه!

«مجنون إن أرسلها..!»

فكر جاسر كثيراً؛ إلا أنه لم يتوصل إلى نتيجة مقنعة عن مصلحة فهد في إرسال المظروف إلى الديوان الملكي، تساءل ماذا يريد بالضبط من هذا التصرف؟ هل كان يرمي إلى شيء أبعد؟

«ولكن.. ليس هناك أي دليل إدانة على أننا مصدر هذا المظروف!»

«سيورط نفسه هذا الغبي!»

وقف جاسر السليمان لحظة، واستعاد أحداث رسالة الملك، وطريقة إرسالها إلى فهد التركي: «**هناك خطأ.. خطأ كبير!**»، أحس بتشويش ذهني، كان من المفترض أن يتم الأمر بشكل سري: «**كيف عرف فهد أننا من أرسل المظروف؟ هل استنتج ذلك فقط؟ أم هل لديه عميل داخل الشركة؟**»

تناول هاتفه المحمول، وطلب رقماً..

«نعم سيدي..»

«**عليك اللعنة.. كيف عرف فهد أننا مَن أرسَلها؟!**»، قال جاسر السليمان في غضب.

«أرسَل ماذا سيدي؟!»

«أيها الغبي.. لماذا لا تفهم؟! وصلتني رسالة من فهد.. يهدد بإيصال المظروف للديوان الملكي!»

«....»

«مجموعة من المغفلين! لا تصلحون لأي شيء! أريد معرفة ماذا يدور داخل رأسه؟ وما هي مصادره؟ وقائمة بأسماء من يتعاون معه؟!»

«حاضر سيدي»

«وكذلك أريد معرفة من سرّب له هذه المعلومة.. فتش في رؤوس الخونة الذين من حولك!»

«حاضر سيدي.»

«اسمعني جيداً؛ إذا لم تعرف كامل القصة خلال ساعتين.. ستعود

الليلة إلى بلدك بالطائرة، ولكن.. عبر تابوت خشبي!»

«**حاضر سيـ..**»

كان مساعده على الخط الآخر، يتصل به في إلحاح:

«**سيدي.. فهد.. فهد التركي!**»

«**ماذا به.. تكلم؟!**»، سأل جاسر.

«**فعلها فهد.. فعل شيئاً غريباً جداً.**»

«...»

«**لا أعرف كيف أشرح لك سيدي.. ولكننا في ورطة كبيرة؟!**»

٤٧

توقف جاسر كثيراً قبل أن يستطيع مواصلة الحديث، لم يصدق أن فهد استطاع أن يوقع به.. أن يفعلها!

طلب من مساعده إحضار كل الأوراق على الفور..!

جعل يتأمل كل ما حدث، وآثاره المتوقعه، لم يكن يخشى سوى من غضب العالي، سبق وأن هدده مراراً، لكن هذه المرة ستكون آثارها كارثية!

قرأ جاسر السليمان الرسالة الجوابية من الديوان الملكي، بعد أن تأكد من صحتها، كانت موجهة إلى جاسر السليمان، وإلى شركة إس أي يونايتد، قرأ العبارة الأكثر خطورة على مستقبله:

«...، نثمِّن لكم ذلك.. ونشكركم على خدمة الوطن..»

تأمل في معاني هذه العبارة..

قرأها مراراً..

كل شيء..!

كل شيء.. من حوله.. يراه يتهاوى!

٤٨

«**أهملتُ منزلي كثيراً!**»

حدّث فهد نفسه، كان يحمل عدداً من المشتريات الغذائية، متوجهاً نحو سيارته، منذ مدة لم ينزل إلى السوق، كادت أن تنفد مؤونة الثلاجة، وضع الأكياس بعناية في صندوق سيارته الخلفي، ثم ركب السيارة متهيئاً للانطلاق، إلا أنه تفاجأ برجل بادر بفتح باب الراكب الأمامي، ثم جلس على المقعد المجاور له، كان يلبس زياً سعودياً كاملاً، إلا أنه مع ذلك كان يرتدي قناعاً أسود يغطي وجهه كله، لا تظهر فيه سوى عينيه!

الصرخة ذاتُها، صرخةُ الرعب.. أطلقها فهد!

بطريقة لا إرادية، فتح الباب، حاول الهرب، إلا أن قبضةً حديدية قامت بتثبيته في مكانه: «**فهد.. اهدأ.. لن أؤذيك!**»

«**قلت لك.. اهدأ.. ألا تفهم؟!**»، صرخ الرجل في وجهه، ثم أعطاه كيساً ورقياً يحتوي على صندوق صغير، وقال: «**اسمعني جيداً.. اسمع كل كلمة أقولها لك.. أنا لا أحب تكرار الحديث**»

«**في داخل هذا الصندوق هاتف محمول.. إياك أن تفتح الصندوق إلا إذا سمعت الهاتف يرن.. مفهوم؟!**»

«**هذا الهاتف لم يستخدمه أحد قبلك..ستصلك مكالمة مهمة**

جداً..تعرِضُ عليك تعاوناً من نوع خاص..»

«وإذا رفضتَ العرض.. فلن يحدث شيء.. لا يهمنا على الإطلاق.. فقط قم بإتلاف هذا الهاتف بعد تبليغنا برفضك مباشرة.»

«اسمعني جيداً.. لا تحاول المراوغة معنا، فقد سمعنا عنك الكثير، إذا نشرتَ شيئاً عن هذا اللقاء، أو عن الهاتف، أو عن أي شيء يخصنا.. فيعني أنني سأزورك مرة ثانية!»

«وإذا زرتُ أحداً مرتين: فهذا يعني أن أحداً سيموت ميتة شنيعة.»

نصف ساعة؛ مكثها فهد في سيارته، قبل أن يقرر المغادرة، نظر إلى الصندوق طويلاً، جاءته وساوس الدنيا كلها، تساءل؛ ماذا لو كانت لعبة جديدة من جاسر السليمان؟

«ربما محاولة لتوريطي؟!»

لا أحد يضمن أنه هاتف محمول، وحتى لو كان، ألا يحتمل أنه وضع للتجسس، أو لتتبع التحركات، ولكن ماذا لو كان يحوي على ممنوعات، مواد مخدرة مثلاً، للإيقاع به متلبساً؟

ازدحمت التساؤلات في رأسه..

ثم قرر أن يفتحه، وليكن ما يكن..

تناول الصندوق بين يديه، بدأ قلبه يخفق، مسح بعينيه كل الجهات من حوله، لا أحد، ترددتْ كلمات الرجل في رأسه: **«لا تفتحه إلا إذا سمعته يرنّ.. مفهوم؟!»**

٤٩

ركن سيارته في موقفه المعتاد، حمل أكياسه معه، وضع الدفعة الأولى عند باب منزله، ثم عاد ليحمل البقية، لم ينتبه للرجل الواقف عند سيارته إلا بعد أن ناداه: «**هل تحتاج أي مساعدة؟**»

«**آسف.. والله إني آسف.. لقد نسيتك**»، قال فهد التركي محرجاً، كان على موعد مع صديقه غريب الأطوار.. عماد اليوبي، طلب منه فهد أن يزور منزله، أخبره أنه لأمر خاص وضروري، إلا أنه نسي الموعد بعد حادثة الرجل الملثم!

قدّم له القهوة والشاي، بالغ في إكرامه، كان ينتظر لحظةً خطط لها طويلاً، قرر أن يكاشفه، أن يحقق معه، أن يهدده إن لزم الأمر، حياته دخلت في متاهات لا حد لها، صار يسبح في بحر من الألغاز، لا بد أن يضع حداً لذلك كله!

يريد أن يعرف حقيقة عماد، وجهه الحقيقي، وعلاقته بـ (استمر)!

«**لقد عانيتُ كثيراً.. لا بد أن يخبرني!**»

شيء واحد، هو الذي جعله طيلة الفترة الماضية.. يُحجم عن مواجهة عماد، كان يخشى منه، يخشى من سلطته الكبيرة، تذكرها، كل مواقفه.. إخراجه من السجن، الدعم المالي، طائرة الإخلاء، مُلكية العمارة، معرفته بحقيقة الأشخاص الذين داهموا منزله: «**الذي يستطيع فعل كل ذلك.. لن يعجز عن تدميري!**»

جلس فهد قريباً منه، حاول أن يُخرج كل مخزونه المدفون من الصرامة، والقسوة: «**عماد.. أنا لا أحب المراوغة.. لقد تعبت.. صارحني.. أخبرني عن سر علاقتك بـ.. استمر!**»

شعر عماد اليوبي أنه وقع في مصيدة، ارتبك، نظر في كل مكان، إلى موضع باب الخروج، صرخ فيه فهد بكل قواه، كانت ردة فعله مبالغاً فيها، دُهش عماد من ذلك: «**اجلس.. قلت لك اجلس.. لن تخرج من هنا حتى تخبرني بها.. حتى تخبرني بالقصة كاملة..**»

«**اجلس قلت لك.. ألا تفهم؟**»

خرج فهد عن طوره، صار يرتجف، لم يكفّ عن الصراخ. . حتى جلس عماد، كان يكبت آلاماً في قلبه، آلاماً أثقلته، يعيش في دوامة، في غابة موحشة، الكل صار ينهش منه، يستغله، وهو جامد لا يتحرك، قرر أن يجرب التوحش قليلاً، لا يرد الحقوق سواه؛ هكذا فكر.

راوغ عماد اليوبي قليلاً..

إلا أنه أخيراً. . أخبره بكل شيء. . بكل شيء!

طرقت ملاك الباب، فزع فهد، نسي أمرها، تمنى أنها لم تسمع شيئاً، لم تتنصت على حديثهما، كان وجهها مشرقاً، جميلة كعادتها، ابتسمت له، سألته إن كانا يريدان أي شيء، أن تُحضِّر لهما وجبة خفيفة، فقد تأخر الوقت: «**شكراً حبيبتي.. سيغادر الآن.**»

«**لماذا لم تخبرني أنك اشتريت هاتفاً جديداً؟! اتصل بك أحدهم قبل قليل.**»، قالت ملاك.

«هاتف.. لا.. ليس لي.. هل قمتِ بفتحه؟!»

فزعاً، فتح الصندوق، وجد مكالمة فائتة، جوال صغير، من النوع الرخيص، لم يتجرأ على فتحه، حاول الاتصال ثانية بالرقم، لم يستطع، مكالمة متعثرة، ربما تمت المكالمة عبر رقم إلكتروني، بواسطة الإنترنت، أو ربما باستخدام أسلوب لمنع التعقب؛ خمّن!

فتش في الصندوق، في الأوراق التعريفية بالهاتف الجديد.. بينها.. كانت محشورة.. ورقة تائهة.. وجدها ماثلة أمامه.. مرة أخرى..!

وقف جامداً للحظات..

كاد أن يسقط.. صداع رهيب.. دوامةٌ لا تمل الدوران!

الشعار.. بات يخاف منه.. أكثر مما ينتظره.. مرة أخرى.. كان حاضراً بغموضه الكبير!

«الرجل الملثّم.. هل هو صاحب استمر؟!»

تراءى أمامه صورة واحدة.. صورة عماد اليوبي..

قفز سريعاً..

إلى المجلس..

يجب ألّا يذهب..

فتح الباب.. تفاجأ..

لم يكن عماد اليوبي هناك.. لم يجد له أي أثر على الإطلاق!

فكرةٌ واحدة.. استقرت في عقله: «**معقول؟ هل كان عماد هو الرجل الملثم.. مستحيل.. ليس هو.. لا يمكن!**»

سمع طرقاً على الباب، فتحه، رعشة صغيرة.. سرت في جسده كله، كان عماد اليوبي!

كان يقف مبتسماً!

الرجل الملثم؟

رأى عماد نظرة غريبة في عيني فهد، فبادر قائلاً: «**آسف.. لم أستأذن أثناء خروجي.. فقط جَلبتُ هذا**»، كان يشير إلى جهازه الآيباد، خشي عليه من السطو، فبادر بإحضاره، هكذا أخبره.

«**ما علاقتك.. بالرجل الملثم.. بهذا الهاتف.. ماذا يحدث من حولي.. لم أعد أحتمل.. تكلم؟!**»، قال فهد بجفاء.

ابتلع عماد ريقه، وقال: «**دعنا ندخل.. وسأخبرك بكل شيء.**»

٥٠

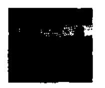


مجهد
@Mujhedd

بدأ تصدير النفط السعودي بكميات تجارية عام 1945م

ودخل السعودية من النفط الآن قرابة 4.000.000.000 ريال يومياً (أربعة مليارات ريال)

#وطن



مجهد
@Mujhedd

أليس مخيفاً أنه بعد كل هذه العقود لا يزال النفط يمثل قرابة 90 بالمئة

من دخلنا القومي؟ ألا يُعتبر ذلك مؤشراً لفشل اقتصادي كبير؟!

#وطن



مجهد
@Mujhedd

بعد عقود النفط الطويلة؛ وصلنا لمفارقة غريبة:

فمع ارتفاع دخل الدولة واحتياطياتها المالية تزداد نسبة الغلاء والفقر

والبطالة! كيف نفهم ذلك؟

#وطن



من بين ركام التعليقات المتفاعلة مع موضوعه، لفت نظره التعليقان التاليان:

ـ الله يسامحك يا مجهد.. قلّبت المواجع!

فنحن البسطاء لا تعني لنا تلك الأرقام الفلكية شيئاً!

ـ ينخفض البترول فنشد الحزام، ثم يرتفع بعدها.. وما زلنا نشد الحزام!

نحن سعوديون يا مجهد.. صح؛ لكن لايحق لنا التمتع بخيرات الوطن!

٥١

ضجراً، محبطاً، وسط مكتبته، كان فهد التركي يتصفح **تقرير ميرسر**، كل الأشياء من حوله تحمل على اليأس، والإحباط، أسند خده على راحته، وجعل يتصور حقيقة الواقع المعيشي المؤلم من حوله، كل المؤشرات تصرخ بأننا نسير عكس الاتجاه، في الطريق الخطأ، منحدَر، نهايته مظلمة.. لكن لا أحد يعبأ، وكأن شيئاً لم يكن!

«**قلبي يحترق.. وهم نائمون!**»

رن هاتفه المحمول، فأزهر قلبه، يفعل ذلك كلما رأى اسمها، أصبح ينتظر مكالماتها بشيء من القلق، لا يدري هل وقع في شِراكها؟!

سألته أن يلتقيا، أن يكون اللقاء في منزله، فرد مازحاً: «**إعدام.. سيُحكم عليّ بالإعدام شنقاً**»، سحرته ضحكتها العميقة، جَزم أنه لم يسمع أرق من ضحكتها.

«**لا بأس.. سنلتقي في مطعم تشيليز.. سأشتاق إلى لقياك**»، قالت غادة الإبراهيم.

فكر فيها طويلاً، صار يشتاق لها، يفكر فيها أكثر، المساء.. يزداد حسناً حين يمازج صوتها!

«**ساحرة..!**»

كان لديه إحساس أنها تقف خلف قصة استمر، أو أن لها يداً خفية

فيه، بعد أن تعرّف عليها تبدلت حياته، ودخل في دوامة (استمر) الغامضة، لكنه الآن مشوش التفكير، استبعد هذا الخيار تماماً، بعد استجواب عماد اليوبي، حينما انتزع المعلومات من رأسه، أدرك أن موضوع (استمر) أكبر منها، ومنه.. وربما من الجميع!

«**والله إني لا أعرفه.. ولم أرَ وجهه في حياتي!**»

كان فهد يتذكر كلمات عماد اليوبي عن الرجل الملثم، لم يكن يعرف عنه شيئاً: «**أقنَعني أنه لن يؤذيك يا فهد، إلا أنه هددني بشيء ما.. إذا لم أنفذ طلباته.**»

أخبره عماد أن الرجل الملثم أغدق عليه كثيراً المال، كان لطيفاً معه، إلا أنه أكد لفهد أن دوره لم يتعدَّ إيصال شِعار (استمر)، وتزويدهم ببعض تحركات فهد، وقليلاً من أفكاره، كما إنه لم يوصل كل رسائل (استمر)، بعضها لم يعلم عنها عماد إلا حينما أخبره فهد أخيراً.

«**ربما كان يستخدم أشخاصاً آخرين غيري!**»، قال عماد.

«أَقنَعني أنه سيساعدك، وبالفعل لاحظتُ ذلك حينما دعمك مادياً.. أنا من وضع المظروف على سيارتك، أقصد ذلك المظروف الذي يخبرك بقصة الدعم المالي بعد فصلك من وظيفتك، أخبَرني أنه يريد مساعدتك من دون أن تعلم..!»

«**كما هددني أنني إذا أخبرتك بالأمر.. فسوف يتوقف عن دعمك، وربما يضرني..**»

«**بماذا كان يهددك؟!**»، سأل فهد.

«**أرجوك.. لا تفتح هذا الملف..**»، قال عماد بارتباك.

«حسناً.. لماذا صورتني بصحبة زوجتي؟!»، كان يشير إلى الصورة التي وجدها في جهازه الآيباد، لم يجد لها تفسيراً منطقياً.

«الرجل الملثم.. كان يطلب مني تصويرك وتحديد موقعك قبل إيصال رسائل استمر»

«ولكن لماذا؟!»

«لا أعلم.. لكن ربما كان لا يثق في كثيراً.»

استعرض فهد حواره كاملاً مع عماد، كل التحقيقات، كل الأسئلة التي أمطره بها. . ازداد تيهاً بعد كل ذلك!

«إذاً.. عماد لم يكن سوى أداة صغيرة.. صغيرة جداً!»

«ولكن من هي الجهة التي تقف خلف ذلك كله؟!»

رغم إحساسه بشيء من الخيانة تجاه عماد اليوبي، أنه باعه بثمن بخس، إلا أنه لم يظهر ذلك له، فضّل أن يُبقي بينهما خيطاً رفيعاً، ربما سيحتاج إليه يوماً، سيبقيه في القرب، وسيكون على حذر كبير!

أزاح كل هذه الوسوسات من رأسه، يجب ألّا ينشغل بها، ستدمره لا محالة، حاول توطين نفسه على النسيان، على تجاهل سيل الأفكار التي تعصف به، قرر أن يركز على لحظته الراهنة، تجول في مكتبته، بحث عن كتاب ليقرأه، لم يستطع، أحس بضمور، بضياع كبير، تذكر أنه لم يتم موضوع «**مؤشر ميرسر**»، يحس بتشتت لا مثيل له، عاد إلى أوراقه، وقرر أن يُنهي هذا الموضوع أولا. . !

قصاصات صحفية، دراسات، مجموعة كتب. . كلها تتراكم على طاولته، كان يُحضِّر لسلسلة من التغريدات عن **واقع المعيشة، والخدمات التي يتمتع بها المواطن السعودي**، أيقن أنها ستأخذ زخمها

الشعبي، ستكشف واقعاً مراً، طالما تغنى البعض بكماله، وروعته!

كان فهد التركي يعرف واقع البلد جيداً، يعرف أنها متدنِّية في كثير الخدمات، لكنه لم يكن يتصور أنها على هذه الدرجة من السوء، تصفح نتائج مؤشر ميرسر على الشبكة العنكبوتية، على موقعهم الرسمي، كان هذا المؤشر يُعنى بتحديد مستوى **«جودة المعيشة»** في ٢٢١ مدينة حول العالم، حيث يتم بتصنيفها مقارنة بمدينة نيويورك، كمدينةٍ معياريةٍ لاحتساب النقاط.

اهتم فهد بتتبع أهم المعايير التي يعتمد عليها هذا المؤشر في تصنيفه للمدن، فهي نقطة الانطلاقة الأولى، وجد أنهم يعتمدون على عدد من المعايير الرئيسة، من أهمها ما يتعلق بالصحة والصرف الصحي، ومدى توفر الخدمات ووسائل النقل العام، بالإضافة إلى الاستقرار السياسي والاقتصادي، ومدى تمتع المواطنين بحرية التعبير.

تمعّن في القائمة، كانت مؤسفة بكل المقاييس، أصابه إحباط كبير حينما وجد أن الرياض وجدة تحتلان المركزين ١٥٧ ـ ١٥٩ عالمياً في مستوى المعيشة.. من بين ٢٢١ مدينة!

«نحن الأسوأ خليجياً.. في ذيل القائمة كالعادة.. تباً!»

قرأ القائمة مرة أخرى، كان يبحث عن تصنيف **مدينة دبي** في مستوى جودة المعيشة، قرر أن يتجرع شيئاً من الإحباط من جديد: **«للأسف.. تتقدم على الرياض بـ ٨٣ مرتبة..!»**

بات الموضوع جاهزاً للنشر، سيكون صادماً بلا شك، ستتضجر منه قلوب، وتتألم له قلوب أخرى!

هل ينشره الآن؟

أم ينتظر حتى تهدأ الأحداث قليلاً؟!

«**أنت تبالغ.. سوداوي النظرة.. لا يعجبك أي شيء!**»، تخيل فهد هذه العبارات، ردات الفعل المعلّبة، التي دوماً ما تصله عند فتح مثل هذه الموضوعات، حتى حينما يتحدث بلغة الأرقام، بالإحصاءات، بالواقع المر الذي يشاهده: «**هناك فئة تأبى إلا أن تروِّج.. أننا لا نزال أفضل من غيرنا!**»

على طاولته الكثير من الأرقام، التي تثبت أننا الأفضل على الإطلاق!

تناول ورقة عشوائية، كانت تصور وضع البنية التحتية للسعودية، وجد أن إجمالي عدد المساكن في السعودية يبلغ قرابة ٢,٩ مليون مسكن، أكثر من **مليون ونصف** من هذه المنازل لم تصلها شبكة الصرف الصحي العامة حتى الآن، وقرابة **٢,٢ مليون** منزل لا تصلها شبكة المياه الصالحة للشرب[١]، ألقى الورقة جانباً، سيختنق إذا استمر في القراءة، فهذه الخدمات تمثل الحد الأدنى لأي دولة تحترم رعاياها!

«**هل نملك بالفعل ربع احتياطي الكرة الأرضية من الذهب الأسود؟!**»

«**غير معقول.. نحن نعيش في كذبة كبيرة..!**»

وصل إلى مطعم تشيليز، إلى حيث موعده معها، فإذا رائحةُ عطرٍ أنثوي تستشرفه، وفتاةٌ تمسك نقابها بيدها، وتُعدِّل خصلاتٍ ثائرة من شعرها، كانت غادة الإبراهيم في انتظاره، وصلت قبله إلى المطعم، لم يفهم سر ارتباكها، ليست هذه عادتها، تبدد ذلك كله حين أخبرته عن سبب هذا اللقاء، حصلت على **وثائق جديدة**،

---

(١) وفقاً لأرقام مصلحة الإحصاءات العامة والمعلومات، التابعة لوزارة الاقتصاد والتخطيط السعودية، موقعهم الرسمي.

وصفَتها بأنها ستدمر مستقبل جاسر السليمان، ستجعله يتوارى خلف الحجب لسنوات..

«**إلا أن هناك مشكلة.. يا فهد**»، بعد تردد أردفت: «**جاسر السليمان في حالة استنفار للبحث عن هذه الوثائق..**»

«**ماذا تقصدين؟**»

«**سأعطيك نسخة من هذه الوثائق غداً.. لكن انتبه لنفسك.. هذا الرجل مجنون.. ويمكنه فعل أي شيء لاستعادتها.**»

نظرت إليه نظرة فاحصة، تأملت عينيه، ثم سألته: «**بصراحة يا فهد.. أخبرني.. هل تتبع للماسونية العالمية؟!**»

قطّب من حاجبيه، لم يفهم شيئاً، قبل أن تفاجئه بضحكة أنيقة: «**أيها الماسوني.. لا تخجل منها.. أقصد من ماسونيتك**»، اقتربت منه، سبقها عطرها، رائحة عطرها.. كانت تحتل جميع حواسه، تصيبه بخدر، يألف هذا العطر، يتذكر أنه شمه من قبل، لا يدري أين، لكن.. حينما ينبعث منها بالذات، فإنه يحمل جاذبية مُخيفة..

رائحة عطرها.. تقتله!

أرته تغريدة جديدة، كتبها **ضوء**، كان يكرر اتهامه لفهد التركي أنه هو الذي يقف خلف حساب مجهد، وأنه يتلقى دعماً خارجياً، إلا أنه أضاف هذه المرة نعتاً جديداً، اتهمه بالارتباط بجهات مشبوهة، وأنه يمتلك عضوية دائمة في نادي الماسونية العالمي!

«**هؤلاء أغبياء..حتى في دفاعهم عن أسيادهم!**»، قال ضاحكاً.

٥٢

كان رأسه مزدحماً بالأسئلة، بتفكيك عدد من الألغاز التي اعترضت طريقه، كان السؤال الأكثر إلحاحاً عليه هو: «**ماذا لو كان عماد يخدعه بحقيقة علاقته بـ استمر؟! وأنه أكثر من مجرد ناقلٍ للرسائل!**»

«**كم أنا غبي! لماذا صدقته بهذه السرعة؟!**»

كلما يتذكر أنه قام بتسريب معلومات عنه لمصلحة استمر.. تصيبه غصة الخيانة: «**إذاً، فقد كان صديقي المقرب يتجسس علي طيلة الوقت!**»

جعل يستعرض حديثه الأخير معه: «**صحيح أنه اعترف لي بأشياء كثيرة.. لكن كيف أتأكد أنه لم يكن يكذب؟ ماذا لو لم يكن مُكرهاً في تعامله معهم؟ أليس هناك احتمال أنه لم يكن ضحية.. بل من صميم مجموعة استمر؟**»

تذكر اللحظات الأولى التي تعرف فيها عليه، كانت شبكات التواصل الاجتماعي هي الرابط الوحيد، ولم يكن يعرف عن ماضيه أي شيء، قفزت إلى ذهنة مفردة واحدة: «**اختراق.. اختراق؟**»

«**هل يمكن أن يكون جاسوساً منذ البداية؟**»

«**سلمان الحكومي؟ هل يعملان سوياً؟**»

أصيب بدوار، لم يعد يقوى على التركيز، أنْ يتسرب الشك إلى الدائرة الضيقة من الأصدقاء، فهذا يعني أن يفقد الإنسان الثقة حتى في نفسه!

فكر في الاستعانة بسلمان الحكومي، للحصول على معلومات دقيقة عن حقيقة عماد، لكن الشك بدأ يغمره من جديد: «**ما الذي يمنع أن يكون سلمان متورطاً أيضاً معه؟! فالذي أكرهَ شخصاً يمكن أن يُكره شخصين!**»

خطرت في ذهنه فكرة مختلفة!

ورغم صعوبتها.. وتعقيدها.. إلا أنه عزم على تنفيذها!

٥٣

«كيف تتجرأ على فعل ذلك أيها الصغير من دون موافقتي؟!»، قال العالي منفعلاً، كان وجهه محمراً، ويضرب على الطاولة بيده باستمرار!

«دعني أشرح لك سيدي»، قال جاسر السليمان بكل خضوع!

«سأنهي مستقبلك.. سترى ماذا سأفعل!»

بعد أن هدأت سَورة غضبه، أخبره جاسر السليمان بالقصة، بقصة رسالة الملك منذ بدايتها، حينما تم إرسال المظروف إلى فهد التركي، وطُلب منه إيصاله إلى الديوان الملكي، ومن ثم تسليمه إلى الملك بشكل شخصي.

قاطعه العالي: **«ولماذا كل هذا الهراء؟!»**

«كنا نحاول إدخال الخوف في قلبه، ووضعه في دوامة غامضة لا تنتهي، من أجل أن يتراجع عن مشاغباته، وقد نجحنا في أهدافنا كثيراً.»

«من هو صاحب هذه الفكرة العبقرية؟!»، سأل العالي ساخراً.

«أنا سيدي»، أجاب جاسر في حرج.

«غباءٌ أسود.. لم يسبقك إليه أحد!»

بانحناءة؛ أكمل جاسر سرْد قصة المظروف، وأخبره أن كل شيء كان يسير وفق ما خطط له، وبالفعل تراجع فهد عن تسريب معلومات

عن الشركة، بل اعتزل الكتابة الإلكترونية، وأصبح في حالة نفسية حرجة، حتى جاء اليوم الذي استلم فيه رسالةً نصية من فهد التركي، تدّعي أنه استجاب لأوامره، وقام بإرسال المظروف للملك: «**توقعنا أنه يكذب، لكن حينما تتبعنا رقم المعاملة، وجدنا أنه بالفعل قام بإرسال خطاب للديوان، ولكن بشكل مختلف!**»

«**وجدنا أنه أصدر خطاباً إلى الديون الملكي، يحمل اسمي، وتوقيعي الشخصي، يُعلن فيه دفع شركتنا مبلغ ٢٠ مليون ريال كمساهمة في احتفالات اليوم الوطني.**»

«**ثم تفاجأنا بورود خطاب جوابي من الديوان الملكي.. يشكرنا فيه على هذه المبادرة!**»

«**القصة واضحة سيدي.. لقد قام هذا الحقير بتزوير خطاب باسمي، وإرساله إلى الديوان الملكي، لا أعلم كيف استطاع ذلك.. لكن ربما استعان بأحد الخونة من داخل الشركة.**»

أضاف جاسر السليمان أخيراً: «**ما رأيك سيدي؟ !**»

«**رأيي في ماذا؟ !**»، أجابه العالي بابتسامة هادئة، خففت من روعه.

«**أقصد سيدي.. بماذا نجيب الديوان؟**»

«**لا شيء.**»، وأشرق وجه العالي بابتسامة أخرى.

«**هل نماطل في الدفع حتى يتم نسيان الموضوع؟ !**»، قال جاسر مستفهماً.

«**بل سندفعها فوراً.**»

تهلل وجه جاسر السليمان، وانزاح حملٌ ثقيل كان يعصف به، تذكر وجه فهد التركي، سحقاً له، لم يستطع النيل منه كما كان

يتمنى، فهاهي ورطته ومكائده انتهت إلى خير، كما إن الـ ٢٠ مليون ريال ستحسب من صالحه، حيث صدرت إلى الديوان الملكي باسمه الشخصي، وجاء الجواب باسمه أيضاً.

«**لو يعلم هذا الغبي أنه أسدى إليّ معروفاً تاريخياً.**»، حدث نفسه.

أضاف العالي في حزم: «**حساب الشركة.. لن ينقص منه ريال واحد!**»

«**لم أفهم سيدي؟!**»

أجاب في هدوء: «**ستدفعها من حسابك الشخصي..**»

«**أنا؟ حسابي الشخصي؟**»، قال جاسر مذعوراً، كل ذرات جسمه فزعت معه!

«**نعم.. ستفعلها وأنت صاغرٌ ذليل!**»

اهتز جاسر السليمان على وقع هذه الكلمات، لا يستطيع أن يجادله، أوامره نهائية، عليه أن ينسحب، كاد أن يتهاوى على الأرض، أصابته غشاوة على عينيه، لم يعد يبصر سوى صورته.. صورة فهد التركي البغيضة..!

وشتمه في قلبه ألف مرة..!

«**٢٠ مليون ريال؟! من حسابي الشخصي؟!**»

خرج من مكتب العالي يجر أذيال الخيبة، والهزيمة!

ثم اتخذ قراره الأخير..

«**فهد التركي.. لن يبقى على قيد الحياة!**»

٥٤

هي المرة الأولى التي يفعلها فهد التركي في حياته، أن يتحول إلى شخصية استخباراتية، لمراقبة وتتبع الآخرين، إلا أنه حاول التبرير لنفسه بأن ذلك هو الطريق الوحيد للتأكد من حقيقة عماد اليوبي!

لم يكن يعلم كم سيحتاج من الوقت للوصول إلى نتيجة مقنعة، خصوصاً أنه سيراقبه بأدوات بدائية، فليس لديه أي أجهزة للتجسس، ولا أعوان، ولا أية معلومات ذات جدوى!

وصل إلى المنزل الذي يسكنه عماد، قام بمسح المنطقة بسيارته، كان كل شيء هادئاً، اختار مكاناً يستطيع فيه المراقبة بوضوح، لن يتعرف عليه عماد بسهولة، فقد قام باستئجار سيارة صغيرة، وتظليل النوافذ الجانبية بلاصق من النوع الرخيص.

استمر في المراقبة عدة ساعات.. بدأ يحس بالملل، كان ينتظر اللحظة التي يخرج فيها عماد، ليقوم بتتبعه، ومعرفة الأشخاص الذين يتواصل معهم: «**مهمةٌ مملة!**»

إلا أنه قرر أن يصبر، فالثمن يستحق التضحية!

«**ماذا لو استمر الأمر وقتاً أطول؟**»، أدرك أنه أمام مهمة مفتوحة، ليس لها نهاية!

«**سوف أراقبه لثلاثة أيام كحد أقصى!**»

«ولكن ماذا لو كانوا يراقبونني الآن؟!»، أحس بسذاجته: **«بالتأكيد سيخبرون عماد بكل تحركاتي!»**

حاول إشغال نفسه بأي شيء، بقراءة قائمة طويلة من رسائله، بالتنقل بين مواقع التواصل الاجتماعي، وحتى بتتبع أوجه المارين من حوله!

الانتظار؛ من أكثر لحظات العمر مرارة، يتباطأ فيها الزمن، وتستثار فيها المخاوف والذكريات!

إلا أنه أحس برهبةٍ مفاجئة حينما رأى سيارةً تقف أمام المنزل الذي يسكنه عماد، نزل منها رجلان، وتوجّهَا بشكل مباشر إلى المنزل..

ركز النظر فيهما.. الثاني.. الرجل الثاني..!

تجمد فيه كل شيء!

عينيه.. بالكاد يستطيع تصديقهما!

«مستحيل.. ما هو الرابط بينهما؟!»

الرجل الثاني.. يعرفه تماماً!

لقد كان..!

لقد كان أحد رجال **جاسر السليمان!**

٥٥

استعرض مشهد دخولهما منزلَ عماد مئة مرة، لم يكن يتوهم ذلك على الإطلاق، أيقن أن علاقتهما بعماد ليست وليدة الموقف، بل كانت وثيقة للغاية، تأكد من ذلك حينما رأى أحدهما يقرع الجرس مرة واحدة، ثم يبادر بالدخول إلى منزله، لا يفعل ذلك إلا الأصدقاء!

كان فهد في حالة ذهول كبير، حاول أن يستجمع أفكاره، أن يركز قليلاً، أحس بأن ما يحدث هو فوق مقدرته على الفهم، والتركيز!

«غير معقول.. كيف استطاع عماد أن يخدعني مرتين؟!»

«إذاً؛ فجاسر السليمان.. وقصة استمر.. مجرد وجهين لعملة واحدة!»

واختلطت جميع حساباته من جديد..!

فكر في عمق؛ منذ البداية.. بدايات قصة استمر، كانت تأتيه بشكل متَخَفٍّ، بعد تتابع استهدافه من قبل جاسر السليمان، حتى قام باكتشاف علاقة عماد بها، وأجبره على الاعتراف بحقيقة دوره، وقسره على الاعتراف: **«إلا أنه كذَب عليّ حين ادعى أنه لا يعرف مصدر رسائل استمر!»**

والآن؛ يتفاجأ أن دور عماد اليوبي.. كان أكبر مما تصور، لقد كان على علاقة وثيقة بخصمه جاسر السليمان!

كل شيء أصبح واضحاً في ذهن فهد:

جاسر السليمان هو من كان يدعم رسائل استمر في الخفاء، لسبب غير معلوم!

وعماد مجرّد خائن صغير!

«كنتُ متيقناً أن صاحب استمر.. يملك نفوذاً واسعاً.. وجاسر السليمان هو التفسير الوحيد لذلك.»

على الرغم من هذه المفاجأة وصدمته بالأمر، إلا أنه أحس بإثارة الانتصار، حينما اكتشف العلاقة بينهما قبل أن يتمكن أي طرف من الإيقاع به، أيقن بأن ذلك سيغير معادلات اللعبة، ويمكنه من التصرف بطريقة أفضل!

«ولكن كيف أفسر كل ما يحدث حولي؟!»

«ولماذا كان جاسر السليمان يحاربني ومن ثم يدعمني في الوقت نفسه؟!»

تذكر أن جاسر هو من قام بالتسبب في فصله من وظيفته، ومن ثم إدخاله السجن، ومداهمة منزله، لكنه في المقابل لم يفهم سبباً منطقياً يحمله على التخفي خلف شعار استمر، ومن ثم دعمه مادياً، وبشكل سخي، وكذلك إخراجه من السجن، ونقل ملكية العمارة بشكل كامل له!

«هل يريد أن يجعلني في دوامة متناقضة.. ليستهلك من جهدي وصحتي؟!»

«ولكن لماذا يختار هذا الأسلوب المعقد بالذات؟.. لديه خيارات أسهل من ذلك بكثير!»

فكّر طويلاً، ولم يجد إجابة مقنعة!

إلا أنه متيقّن بأن جاسر السليمان يخفي شيئاً خطيراً. .

ويتهيأ للإيقاع به!

لكنه لن يسمح له بالتلاعب به أكثر مما فعل. .

أَقسم أنه لن يسمح له!

٥٦

رأى الرجلين يخرجان من منزل عماد اليوبي، ويتجهان لسيارتهما، لاحظ أنهما كانا يمسحان المنطقة للتأكد من شيء ما، ثم بادرَا بركوب السيارة، ومغادرة المكان!

لم يكن يعلم ماذا يتوجب عليه أن يفعل، هل يستمر في المراقبة، أم يغادر المكان؟!

باغتته فكرة جريئة، كانت تلح عليه بمواجهة عماد، بالدخول عليه في منزله، خصوصا أنه يعيش وحيداً، ومن السهولة أن يسيطر عليه!

إلا أنه خشي من عواقب فعلته، من أية مفاجآت قد تكلفه الكثير، خصوصاً بعد كشفه لعلاقته مع رجال جاسر السليمان!

«**شخص خطير للغاية.. لم أتوقع أنه يستطيع خداعي طيلة هذه المدة!**»

بعد صراع لم يطل.. قرر أن يضع حداً لما يجري حوله؛ سينتظر بضع دقائقٍ، ثم يبادر باقتحام منزل عماد، سيهدده.. لا بد أن يُنهي مغامراته السخيفة، لن يسمح له بالاستمرار في خداعه، سيُكرهه لأجل اكتشاف حقيقة استمر، وسر علاقته بجاسر السليمان!

«**سيكون ضعيفاً إذا واجهته بالحقيقة**»، هكذا كان يعتقد.

«**ولكن ماذا لو كان مسلحاً؟**»

فتش فهد في سيارته بحثاً عن أي شيء يحتمي به، تمنى لو كان لديه

سلاح يدافع به عن نفسه لو لزم الأمر، لا بد أن يتهيأ لأسوأ الاحتمالات، وجد قطعة حديدية في صندوق السيارة، حملها معه، ربما تفيده، ثم توجه نحو منزل عماد، لن يطرق عليه الجرس، سيفاجئه هذه المرة، سيقتحم عليه منزله!

صعد الدرج.. كانت خطواته بطيئة، وحذرة..

«ماذا لو كان معه أحد بالداخل؟!»

حاصرته مشاعر الخيانة، خيانة صديقه المقرب، وقعها المرير عليه، لماذا تجرأ عماد على بيعه للغرباء بثمن بخس!

طرق الباب بهدوء..

طرقَ ثانية.. وثالثة..!

لا جواب!

كان يُخفي القطعة الحديدية خلفه، بادر بدفع الباب.. ثم اقتحم المنزل..

تقدم خطوتين للداخل..

لا أحد.. لا صوت!

نظر إلى الجهة اليسرى.. ركّز ناظريه!

صمتَ لثانية.. لثانيتين..

ثم أطلق صرخةً من أعماق قلبه!

رأى شيئاً.. جعله يهتز.. يهز كيانه كله!

رأى نفسه.. رأى صورته.. رأى فهد التركي تماماً..!

٥٧

« عماد.. عماد»

صرخ باسمه فزِعاً، وجده منهاراً.. مضرّجاً بدمائه..!

كان ممدداً على الأريكة.. يصارع آلامه، ويتأوه بصوت خفيض، فلما رأى فهد قادماً إليه.. أجهش بالبكاء كطفل..!

الغرفة.. كانت مدمرة بالكامل، بعض الأثاث تم تكسيره، حتى الستائر تم تمزيقها، ولكن لماذا؟!

أحضر إليه فهد كوباً من الماء، ساعده ليشرب، كان يسترق النظر؛ ليتمعّن في آثار الضربات التي تنتشر في أماكن متفرقة في وجهه وجسده.

أجلسه على الأريكة، وحاول تهدئته، ثم طلب منه أن يرافقه إلى المستشفى، لا بد أن يتم له فحص طبي، ربما تكون هناك إصابات خطيرة، خصوصاً خلف الكدمات التي بدأت تبرز في وجهه!

إلا أن عماد أطلق صرخةً رافضة: «**المستشفى.. لا.. لا يمكن أن أذهب!**»

«**هل هددوه إن فعل؟!**»، سأل نفسه

«**عماد.. أخبِرني.. لماذا فعلوا بك ذلك؟!**»

أشار عماد نحو مدخل شقته الصغيرة، فقام فهد من فوره لإغلاق الباب، هل يخشى من عودة أحدهم؟!

وبعد محاولات متعددة لاستنطاقه، تحدث عماد بكلمات وجيزة: «**لا أعرفهم.. طلبوا التحدث معي.. ثم ضربوني!**»

«**ولكن لماذا؟**»، تساءل فهد في دهشة.

«**حاولوا قتلي..**»

«**هل لذلك علاقة بـ(استمر)؟**»

«**لا أظن.. هم لا يعرفون شيئاً عنها.. لكنهم ذكروا اسمك مراراً!**»، توقف عماد قليلاً، ثم أضاف وهو يعاني من آلامه: «**لا أدري كيف علموا أنني دعمتك مادياً.. بعد فصلك من الوظيفة**»

قاطعه فهد: «**إذاً فقد اكتشفوا علاقتك بقصة استمر؟!**»

«**لا.. لم يكتشفوا ذلك.. بل اعتقدوا أنني أدعمك بشكل شخصي، يعلمون جيداً أنني أحد أصدقائك المقربين**»، أضاف عماد بعد أن عاودته موجة آلام جديدة: «**وقالوا بأن هذا جزاء من يتعاون مع فهد التركي!**»

«**كما هددوني بالقتل.. إذا التقيتُ بك مرة ثانية!**»

فَهِم فهد القصة كاملة، هي محاولة يائسة للضغط والتأثير عليه، من خلال إرهاب أصدقائه، خصوصاً بعد أن لاحظوا أنه لم يتأثر مادياً بعد فصله من الوظيفة!

ورغم انزعاجه لما حصل لعماد اليوبي، إلا أنه ارتاح قليلاً، فلم

يكن الموضوع كما تخيل، فلا يوجد أي علاقة بين (استمر) وجاسر السليمان، بل وقع ضحية لاستنتاجه الخاطئ فقط!

بعد اطمئنانه أن صحة عماد بدأت في التحسن، استأذن ليغادر، ومد يده مصافحاً..

إلا أنه استغرب من تردد عماد في قبول مصافحته، لماذا لم يرفع يده؟

ثم لاحظ أنه كان يرفعها ببطء، بحذر كبير..!

فلما رآها فهد.. رأى يده.. فزع فيه كل شيء، واستحضر الموقف المرعب بكافة تفاصيله الدامية..

رأى إصبعه.. تم تغطيتها بلفافة طبية بيضاء..!

الرعب؛ اجتاح قلب فهد، واستقر في أعماقه..

...؛ قلّاع الأظافر.. مرّ من هنا!

٥٨

لم يمر فهد التركي بمثل هذا النوع من المشاعر من قبل!

بعد كل الذي تعرّض له، أصبحت تتنازعه مشاعر عدائية غريبة، لديه رغبة ملحة في الانتقام، في الفتك، في رد شيء من عذاباته النفسية، صارت هذه المشاعر تسيطر على تفكيره، وتدفعه للتعجيل **بالإعلان الكبير!**

لم تسلِّمه غادة الوثائق بعد، إلا أنه يثق فيها، موعدهما بعد ساعات، حينها سينتهي كل شيء، كل تفاصيل لعبة جاسر السليمان السخيفة!

الساعة ٢٠ : ٤ عصراً

تناول فهد هاتفه، وكتب في لهفة كبيرة:



فهد التركي
@AlturkyFahad

الليلة.. في تمام الساعة 11 مساء، سنشهد سوياً.. ليلةَ سقوط جاسر السليمان وشركة إس أي يونايتد! (حزمة فضائح مالية).. انتظرونا فقط!



فهد التركي
@AlturkyFahad

صور شيكات وإيداعات لمئات الملايين في حسابات شخصية، وصفقات وهمية والمسؤول الأول فيها يحصل على ترقية لمنصب كبير! #وطن



بعد نشر هذا الإعلان، بدأ سيل التكهنات في تويتر، تلقى فهد عدة اتصالات مجهولة، كانت تسأله عن سر هذا الإعلان، كان يجيبهم ضاحكاً، يطلب منهم الانتظار لساعات، في تمام الساعة ١١ سيتم الإعلان كل شيء!

أحد المتصلين.. ألح على فهد ألا ينشرها، على الأقل أن يؤجل ذلك قليلاً، حتى يرى هذه الوثائق بنفسه، زعم أنه لا يستطيع التحدث معه هاتفياً، أراد معرفة مكانه، وسيأتيه فوراً، ليخبره بأمر مهم، شكره فهد بلباقة، كان يضحك في نفسه، يدرك أنه إما فضولي غريب الأطوار، أو أنه أحد رجال جاسر السليمان الأغبياء!

«يريد أن يقضي عليّ بغبائه..!»

قرر ألا يخرج من منزله حتى ينشر الوثائق، سترسلها غادة بطريقة ما، خمّن أنها ستكون عبر البريد الإلكتروني، أو ربما ستأتي بنفسها، الأهم.. أن ينشر الوثائق سريعاً، فهي الضمانة الوحيدة لسلامته الشخصية، حينها.. لن يستطيع رجال جاسر تهديده بشيء!

الساعة ٥:٠٩ مساءً

ابتسم.. حين رأى اسم غادة يزيِّن هاتفه المحمول..

كانت على الموعد..

٥٩

استعدّ **السيد الكبير** للسفر، بعد أيام. . سيقضي شهرين في منتجعه الخاص بإسبانيا، كل شيء صار جاهزاً، طائرته الخاصه، حاشيته، فريقه الأمني والصحي، وعدد من ندمائه الضاحكين. .

لم يكن يبالي؛ حينما أخبره مدير مكتبه بالتكلفة المتوقعة للرحلة، ستبلغ أكثر من ٩٠ مليون ريال في شهرين، تشمل وسائل الترفيه المختلفة، ومصروفات حاشيته، وتكاليف الاستضافات الخاصة، والهبات الشخصية، هزّ رأسه سريعاً علامة الموافقة، وانشغل بشيء أكثر أهمية. . بين يديه!

٦٠

الساعة ١٠ : ٥ مساءً

غادة؛ كانت على الهاتف، لم تخذله منذ أن تعرّف عليها، اتصلت في موعدها المحدد: «**الساعة الحادية عشرة.. ستكون محطةً فاصلة في حياتي.**»، حدّث نفسه.

أجابها: «**أهلاً غادة.. كنتُ أنتظرك بشوق.**»

«**فهد.. فهد..!**»، نادته بارتباك.

«**اخرج من منزلك.. اخرج الآن.. أغلق جميع هواتفك.. توجه نحو فندق آمن.. لا تخبر أحداً عن مكانك..!**»

«**غادة.. ماذا تقولين؟!**»

«**هناك أمر خطير يحدث الآن..!**»

دوامةٌ أخرى، مفاجآت جديدة قبيل الإعلان الكبير، هذا ما كان يخشاه، قام من مجلسه، غمرته موجة شديدة من التعرق، سألها خائفاً: «**ماذا يحدث.. لماذا أخرج من بيتي؟!**»

«**أُقسم لك أنني لا أعلم.. ربما كان له صلة بإعلانك الكبير.. ربما تعجلتَ في إخراجه.**»

البارحة؛ في المطعم.. أخبرته أن جاسر السليمان استنفر رجاله بالكامل، لأجل استعادة الوثائق التي سرقتها، لأجل معرفة مصيرها بالضبط.

رد فهد مرتبكاً: «**هل أنتِ متأكدة أنه يتوجب عليّ الهرب؟ لم أحصل على الوثائق بعد.. أقصد لو فتشوا منزلي فلن يجدوا شيئاً!**»

«**اسمع نصيحتي.. عليك الخروج الآن، لن يصدقك أحد بعد إعلانك في تويتر.. متأكدة.. الرجل نفسه الذي هددك تلك المرة.. سيأتي خلال دقائق.**»

ارتعد جسده كاملاً، تذكر عينيه الحاقدتين، اعترف؛ قلبه لم يذق طعم الأمان بعدها قط، حذرته في المرة السابقة، وفعلاً كان تحذيرها صادقاً.

وقف حائراً للحظات، لا يعلم ماذا يتوجب عليه أن يفعل، طلبت منه أن يخرج، لكن إلى أين؟ أين يمكن أين يختبئ؟ ربما تكون جميع تحركاته مراقبة!

فزع إلى مدخل شقته، حمد الله أن الباب كان موصداً، أحس بتيه شديد، بشرود، لا يدري ماذا يفعل، ماذا لو كان بانتظاره في الخارج؟ ربما خلف الباب؟

وصلته رسالة نصية من غادة الإبراهيم، حملت معها رعباً جديداً:

«**لن تصدق يا فهد.. مجانين.. قرروا إحراق شقتك بمن فيها.. يريدون أن تحترق أنت مع الوثائق.. لديهم يقين كامل أنها بحوزتك!**»

خلال دقيقتين، كان كل شيء جاهزاً، ارتدى ملابسه، وهمّ بالخروج من منزله.. إلا أنه تذكر شيئاً!

عاد إلى غرفة نومه، فتح درجه الخاص، يحس أن شيئا غريباً ينتظره، لو احترق منزله.. فلن يبقى معه أي إثبات، أخذ أوراقه الهامة، جواز سفره، عدد من مستنداته الشخصية، بطاقة المستشفى، حشرها سريعاً في جيبه، ثم..!

ثم رآها ماثلة أمامه..!

كانت تعرض نفسها في حزن، في انكسار مهيب، كلماتها الأخيرة، كلمات ملاك، حبه المهمَل، رأى **وصيتها**، كم جاهد نفسه كي لا يفتحها!

لماذا جاءت في هذه اللحظات الهاربة؟

هل هي رسالة غيبية أنه لن يعود ثانية لهذا المنزل؟

إذا أحرقوا منزله.. لا يريد أن تضيع، هي أغلى من كل شيء آخر، وضعها في جيبه العلوي، بالقرب من قلبه، هكذا ارتضى لها..

ثم اتجه مسرعاً إلى سيارته.

اتصل بغادة مراراً، لم تكن تجيب، نصف ساعة وهو يتنقل بسيارته في شوارع الرياض، لا يعلم إلى أين يسير، وصلته رسالة من غادة: «**ربما يكون جوّالي مراقباً.. اتجه إلى آخر مكان التقينا فيه.. أوقف سيارتك بعيداً، كن حذراً.**»

تمتم في ارتباك: «**تشيليز.. مطعم تشيليز..**»

ركن سيارته على بعد ٥٠٠ متر، اقترب من المطعم، مسح المنطقة بحذر، كل شيء هادئ، الحياة من حوله تمضي كالمعتاد، حركة الناس طبيعية، يبدو أنه هو الوحيد الذي يصارع اضطراباً داخلياً مريراً!

تحدثت غادة عبر الهاتف، كان حديثها أكثر هدوءاً: «**ستصلك الوثائق بعد قليل، تذكر أن نشرك للرسائل.. هو الضمانة الوحيدة لسلامتنا معاً.**»

«**لا تدخل إلى المطعم المقصود.. فقط انتظر إشارة خاصة.. سنرشدك للخطوة القادمة!**»

قال ضجراً: «**ولكن لماذا لا يتم تسليمها لي بشكل مباشر؟!**»

«**صدقني يا فهد لا أستطيع.. خرج الأمر من يدي.. هذه أضمن طريقة لسلامتك.**»

ترددتْ غادة قبل أن تسأل: «**فهد.. هل.. هل أخذت سلاحك معك؟!**»

«...»

«**إذا استطعت أن تحصل على مسدسٍ صغير.. فسيكون من صالحك**»

«**مسدس؟!**»

هنا فقط.. بدأ يتراءى وجه ملاكه، ملامحها البريئة، أيامه الجميلة

معها، استقر في قلبه رعبٌ لم يعرفه من قبل، تيقن.. أنه بات يعيش آخر أيامه!

وهناك.. من عمق مكتبه الفخم..

كان **جاسر السليمان** يتلقى معلومات مستمرة.. عن جميع تحركات فهد، وغادة!

«سيدي.. فهد بمفرده الآن.. وجميع الأمور تحت السيطرة.»

٦١

الساعة ٠٠: ٩ مساءً

نظر فهد إلى ساعته، قرابة ٣ ساعات وهو يتيه في دائرة مظلمة، أوقف سيارته في حي داخلي، أراد أن يختفي عن الأنظار، كانت عيناه لا تتوقفان عن المراقبة، عن تفحص كل المارين من حوله، لم يشاهد شيئاً مريباً، تمام **الساعة التاسعة مساءً**، ظلام موحش، إنارة الحي سيئة جداً، كان ذلك يوفر له تغطية مريحة، تناول وجبة عشاء خفيفة، هاتفه المحمول كان مغلقاً، يفتحه كل نصف ساعة، اتفق مع غادة على التواصل عبر الرسائل فقط.

وصلته رسالة جديدة من غادة، فَعل ما طلبته بالضبط، أوقف سيارته في المكان المحدد، ترجّل من سيارته، سألته أن يستمر في السير حتى تصله الرسالة التالية، وستكون الوثائق بانتظاره.

تجول في الحي مرتين، لا أحد..!

كان يمشي بسرعة، يتبعها بركض خفيف، يُكثر التلفت، أيقن أنه سيجلب الانتباه والشكوك بطريقته، حاول أن يبقى أكثر ثباتاً، ثم قرر أخيراً الرجوع إلى سيارته..

لكنه سمع صوتاً أرعبه. . **سيارةُ شرطة**، أوقف كل حركته، وجعل يحرك عينيه في كل اتجاه، بات يسمع دقات قلبه تقترب من حلقه، صفارات الإنذار تملأ المكان، كانت متجهة إليه، جمد في مكانه، فقد القدرة على المشي!

مرت سيارة الشرطة مسرعة، لم تكن تقصده، بقي مرعوباً للحظات، فيه رجفة لم تفارقه، أيقن بأنه سينهار في أي لحظة، وصل إلى سيارته، تفحّصها من كل جهة، حتى أسفلها. . !

الحي شبه فارغ، فتح الباب، وهمّ بالركوب. .

إلا أنه أحس بشيء خلفه، سمع شيئاً يتحرك. . وقْعُ خطوات، متتابعة، سريعة، توقفت أنفاسه، أقل من ثانية. . سمع صوتاً عميقاً. . جعله يرتجف من الرعب: «**فهد.. أخيراً التقينا..!**»

حينما سمعه يتلفظ باسمه، فهد؟

أحس أن وقع هذا الاسم غريب على مسمعه. .

شيء واحد أدركه، الرجل الذي خلفه، أمسك كتفه بقوة، سريعاً. . حدث شيء خاطف. . لم يكن يحلم. . في ظهره. . أحس بشيء عميق. .

شيء ينغرز فيه. . نصل حادّ؟ سكين؟

الذي يتذكره. . أنه أطلق شهقةً مكتومة، أنه صرخ من كل أعماقه. . خرجت على هيئة استجداء، توسل، ماتت الكلمات على شفتيه: «**أرجوكم.. أنا.. ليست معي..!**»

التفت فهد إلى الخلف، في وجل، نظر إلى الرجل، نصفُ الْتفاتة.. رأى نصف وجهه..

ثم رآها..

كانت تقف خلفه.. وتبتسم..

كانت.. كانت **غادة**..!

حينها.. أظلم كل شيء في عينيه!

٦٢

حاولت غادة أن تكتم ضحكتها، أن تواسيه، ألّا تظهر في هيئةٍ شامتة: «**فهد.. هذا أنا.. أنا غادة.. ماذا أصابك؟!**»

بقي جامداً للحظات، تحسس ظهره، اكتشف أنه كان واهماً، لم ينغرز فيه شيء، سائق غادة الشخصي.. نغزه بلطف، بالمفتاح، بهاتفه، بأصبعه، لم يعد يتذكر..!

«**أحتاجُ للراحة.. صدقيني سأسقط على وجهي!**»

«**آسفة يا فهد.. والله إن قلبي يكاد يتفطر.. كنا نريد التأكد أنك غير مراقب.**»، قالت بلطف.

«**إلى أين سنذهب؟**»

ناولته ذاكرة رقمية: «**هذه الوثائق.. نسخة منها.. مستقبلي مرهون بك يا فهد.. أنا أثق فيك أكثر من نفسي.**»، قالت متأثرة.

الساعة ١٥ : ١٠ مساءً

اختار فندقاً رخيصاً، يقع على أحد منافذ طريق الملك عبد العزيز، حط رحاله، واستلقى على السرير، ثم أرسل تغريدة جاهزة، سبق وأن صاغها خصيصاً لهذا الوقت بالتحديد:



خلال أقل من ساعة.. سيعلم الشعب السعودي عن خبايا شركة إس أي يونايتد!
جميع الوثائق بحوزتي الآن..!

#وطن

4985 RETWEETS 1258 FAVORITE 

لاحظ أن عدد متابعيه الجدد؛ زاد أكثر من خمسة آلاف متابع.. فقط.. خلال الساعات القليلة الماضية.

٦٣

الساعة ٣٣ : ١٠ مساءً

نظر فهد إلى ساعته مئة مرة، يحس بإثارة لم تمر به في حياته، بالكاد يتحرك الزمن، ثقيلاً صار، أخذ كل احتياطاته، دفع ثمن الغرفة مقدماً، اشترى مؤونةً تكفيه خمسة أيام، لن يفتح الباب لأي أحد كان، دقائق معدودة، وينتهي كل شيء..

كان يتجول في الغرفة من غير توقف، تأكد من كل النوافذ، كل الفتحات، ترقبٌ مشوبٌ بخوف مستتر، يخشى من المفاجآت، يتوقع أن يطرق أحدهم الباب، يضربه بشده، مداهمة، لن ينحني، جميع التغريدات جاهزة، ضغطةُ زر واحدة، ويتم نشرها بالكامل، وضع هذا الخيار في ذهنه، ربما يلجأ إليه!

لم يتوقف هاتفه عن الرنين، معظم الأرقام مجهولة، أحدها كان يتكرر باستمرار، أرسل له رسالة، مراسل صحفي، يريد أن يجري معه لقاءاً حصرياً: «**لن أفعل.. ربما تكون خدعة!**»

الساعة ٤٠ : ١٠ مساءً

فزع فهد، وفزع فيه كل شيء!

الهاتف الآخر؛ هاتف استمر.. الرجل الملثّم.. بدأ في الرنين..

«**يارب.. ماذا يريد في مثل هذا الوقت؟!**»

«مرحبا فهد.. سعدت بالاتصال بك.. بالتأكيد: أنت تعرفني جيداً»، كان صوته عميقاً، ربما كان يستخدم برنامجاً خاصاً بتغيير الأصوات!

بالتأكيد يعرفه فهد التركي جيداً، هو صاحب استمر، القصة الغامضة، التي تلاحقه منذ عدة أيام، حينما وجد شعار استمر تحت هذا الهاتف، أيقن أنه أصبح محاصراً، مخترقاً من كل صوب!

تراءى صورة الشعار مرة أخرى:

«أُخمِّن أننا أصبحنا شركاء منذ زمن.»، قال الرجل.

«بالتأكيد..»، رد فهد، لم يعرف ماذا يريد بالضبط.

«أَقترحُ عليك تأجيل نشر الوثائق التي أعلنتَ عنها.. سأتعاون معك لتكون الضربة موجعة، يمكنني نشرها بنفسي، ستحقق نتائج قياسية.»

«شكراً لك.. لكني قررت نشرها الليلة.. أقصد بعد دقائق، وتأخيرها سيضر كثيراً بصدقيّتي!»

«هل يمكنني الاطلاع عليها قبل النشر؟»

«أتأسف كثيراً، لم أعد أملك الكثير من الوقت..»

«حسناً.. هل يمكنني معرفة من سرب هذه الوثائق لك؟!»

تردد فهد قليلاً، تذكر غادة، لن يخذلها أبداً: **«أمر صعب.. لا أستطيع..»**

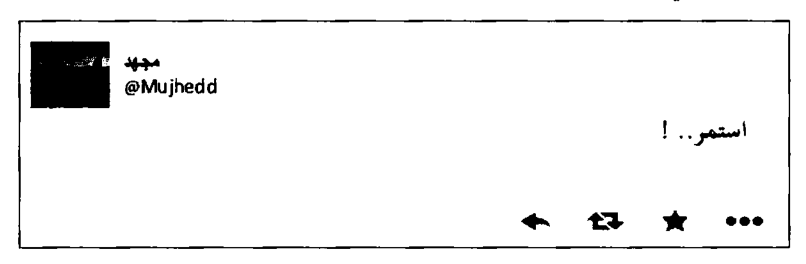
«إذاً فأنت ترفض التعاون معي؟!»

«ليس الأمر كذلك.. لكن في الحقيقية.. أنا.. أنا لا أعرفك بشكل شخصي، ولا أعلم إن كان هذا الاتصال حقيقياً أم مخترقاً؟»، ارتاح فهد أنه استلهم هذه الإجابة، تبدو منطقية، وفيها اعتذار مؤدب، يجعله على مسافة قريبة من الرجل، لا يريد أن يخسره، ربما احتاجه في يوم من الأيام.

«إذا أَثبتُّ لك أنني شخصية معروفة.. هل ستثق بي.. وتقبل التعاون معي؟!»

«. . .»

«سأكتب كلمة (استمر) في تغريدة منفصلة.. فقط هذه الكلمة.. افتح حسابك في تويتر.. افتحه الآن.»



أصيب فهد بغشاوة. . بارتباك. . حينما عرف من يكون. . عرف شخصيته الحقيقة، لم يخطر ذلك بباله مطلقاً، اختلطت أوراقه تماماً. .

ضحك مجهد على الهاتف: **«أظنني فاجأتك قليلاً يا فهد.. أليس كذلك؟!»**

صمت فهد، أُرتج عليه لسانه، لم يعد يملك القدرة على التفكير: **«لماذا أنا بالذات.. ماذا تريدون مني؟»**، حدّث نفسه، أصيب بحيرة، بتشويش كبير: **«صحيح.. فاجأتني قليلاً.. لكن.. أريد أن أفهم**

مصلحتك من الموضوع.. أقصد لماذا كنت تدعمني منذ البداية.. ماهي مصلحتك بالضبط؟!»

«مشروعنا واحدٌ يا صديقي.»، قال مجهد.

صمت فهد للحظات، ثم تجرأ على السؤال: «وفي حالة.. أنني رفضت التعاون معك؟!»

«لن تفعل..!»، قال مجهد واثقاً.

«حسناً.. دعني أفكر في الموضوع»

قال مجهد بنبرة حاسمة: «أمامك عشر دقائق فقط، سأتصل بك.»

«اتفقنا.»

«بالمناسبة.. إذا كنتَ قد سجلت المكالمة، فامسحها فوراً.»

ساد صمت قصير، قبل أن يضيف مجهد: «فهد.. اسمعني جيداً.. لا تخبر أي أحد عن مكالمتي.. لا تفكر بفتح فمك.. وإلا فأنت تعلم.. أن الرجل الملثم لا يزور مرتين.. إلا في حالة واحدة!»

بعد انقضاء المكالمة، صرَخ فهد: «أنت كاذب.. كاذب.. لا يوجد شيء اسمه (تعاون) ويُغلّف بالتهديد!»، دخل في دوامة من الأفكار، هل عليه أن يستجيب له، أن يطلعه على الوثائق، أن يخبره باسم غادة، أن يؤجل إعلانه الكبير؟ ولكن لماذا عليه أن يثق به؟ ألا يمكن أن يكون فخاً نصب له؟ ألا يمكن أن يكون حساب مجهد مخترقاً؟ لماذا لم يتصل إلا في هذا الوقت بالذات؟!

تذكره! تذكر عماد اليوبي، صديقه الغامض: «لماذا طلب منه مجهد أن يتجسس علي؟ ماذا كان يريد بالضبط؟ كيف يمكنني أن أثق بشخص يتجسس علي؟!»

الساعة ١٠:٥٦ مساءً

في قلق؛ كان فهد ينظر إلى الرقم الذي يتصل عليه، **مجهد** مرة أخرى..!

نازعته نفسه.. لم يكن يملك رأياً مستقراً.. ازدحم رأسه بأفكار مهزوزة..

كانت يده ترتجف، وهي تتجه نحو زر الإجابة، لن يرد عليه.. بل سيفعل، لكن ماذا سيقول؟!

مكالمة فائتة..!

اتصل مجهد مرة ثانية..

تشجّع فهد، نظر إلى ساعته، إلى السماء.. ثم قرر..!

وضع الهاتف على الطاولة.. نحّاه جانباً..

وقرر.. أن يتجاهل اتصالات مجهد، سيتجاهلها، وليفعل ما يحلو له!

٦٤

الساعة ١٠:٥٧ مساءً

كان فهد يتابع ردود الأفعال في تويتر.. أكثر مما توقع بمراحل، ترقُّب شعبي عريض، الجميع بات يحبس أنفاسه، وينتظر الموعد بشوق كبير!

ثلاث دقائق فقط؛ كان فهد ينظر إلى ساعته، كل شيء أصبح جاهزاً، راجع التغريدات مراراً، ستُحدث دوياً هائلاً، وآثاراً مدمرة، لا بد أن تفعل ذلك.. وأكثر!

إلا أن شيئاً واحداً فاجأه، خلط أوراقه، جعله يرتبك.. قليلاً..

ثم كثيراً..!

الساعة ١١:١٣ مساءً

توالت عليه الردود، الرسائل، الاتصالات، تستفسر عن صحة ما يقال، ما يتردد في أرجاء المواقع الإجتماعية..

ولا جواب..!

لم يكتب فهد.. أي شيء..!

الساعة ١١:٢٩ مساءً

تداخلت الكلمات.. امتزجت ببعض.. ضوضاء.. الحقيقة.. الكل يبحث عنها..

كلمة واحدة يتم تداولها على نطاق واسع.. اغتيال.. قتل.. دماء.. صورة المقتول.. فهد التركي.. إشاعات.. حقيقة..

انتشر في كل مكان.. الخبر.. عاجل.. لقد تم.. اغتياله!

اغتيال فهد التركي!

٦٥

الساعة ١١:٣٠ مساءً

لم يحس فهد التركي بالضياع كما هو الآن..!

شعور لا يوصف بالعجز..!

لا يعلم ماذا يحدث في تويتر، أخبار تروّج لاغتياله، على لسان زوجته، وباستخدام حسابه الشخصي! متأكد، لا تعرف **ملاك** كلمة السر، كلّا.. ليست هي!

باستمرار؛ كان يحذف التغريدات التي تُكتب في حسابه، فكر فيما يحدث: «**اختراق.. اختراق..!**»، لكنه اختراق غريب، لم يعد يستطيع السيطرة على ما يُكتب، قرر تأخير نشر **الإعلان الكبير** حتى يستقر الأمر، أحدهم يتعمد التشويش عليه، استغرب فهد؛ لماذا لم يبادر المخترق بتغيير كلمة السر، ما زال يستطيع استخدام حسابه!

لحظات صمت..!

لا يعلم كيف جاءته الإجابة، اكتشف السر.. كان أمام عينيه..!

عرف كيف استطاع المخترق فعل ذلك، لم يكن اختراقاً!

جهازه الآيباد، كان يستخدمه!

حينما خرج من منزله.. كان بحوزته، متأكد من ذلك تماماً، لا

يتذكر متى استخدمه للمرة الأخيرة، أين فقده؟ هل تمت سرقته من السيارة؟ أم هل نسيه في المطعم؟

على الفور، قام بتعطيل خاصية السماح للآيباد بالدخول إلى حسابه، انتظر بضع دقائق، بالفعل، كان توقعه صحيحاً، توقف المخترق عن الكتابة، والعبث!

إلا أنه اكتشف أن قصة اغتياله، والاختراق.. كانت من صالحه، حيث زادت من إثارة الموضوع كثيراً، ووسعت من دائرة المتابعين، بضعة آلاف من المتابعين الجدد..

الكل.. على جمر من الانتظار..!

لكن..

لم يخطر على بال فهد التركي مطلقاً؛ أن شائعة اغتياله كانت مقصودة، لم تكن في الخطة، لكنها جاءت عَرَضاً..

فعلوا ذلك من أجل أمر كبير.. كبير للغاية!

٦٦

الإعلان الكبير

الساعة ١١:٤٥ مساءً

رغم أن غرفة الفندق كانت صغيرة، وغير نظيفة تماماً. . إلا أن فهد التركي لم يكن يبالي بذلك أبداً. .

كان ينتظر هذه اللحظة، قاتَل ليصل إليها، كل شيء أصبح جاهزاً، لن يقف في طريقه أحد هذه المرة، تفحّص الوثائق للمرة الأخيرة، كان يستعرضها في نشوة، في فرح بالغ.

الوثيقة الأولى، كانت أقربها إلى قلبه، اختار أن ينشرها أولاً، لم يكن يتوقع أن جاسر السليمان بمثل هذا الغباء النادر، استعرض صورة الشيك قبل نشره، ثم ضغط زر الإرسال!

أخبرته غادة عن خبايا هذا الشيك، حرره جاسر السليمان باسمه الشخصي، كان يخطط لتسليمه لفهد أثناء لقائهما الوحيد في المقهى، كان يرغب في شراء صمته، في رشوته، ليتخلص من إزعاجه الذي لا ينتهي، لكن لم تسنح له الفرصة، بسبب الاحتقان الذي كان سائداً أثناء لقائهما!

.

احتار فهد، أمامه عدد من الوثائق، بأيها يبدأ: «**سرقة القرن**»، هكذا

كان شعار تغريداته، ثلاث حوالات مالية ضخمة، لحساب ثلاثة من الوزراء الكبار: «**أسماؤهم صادمة.. ستكون بلا شك صادمة للشعب السعودي!**»

تيقن فهد؛ أن ما يميز هذه الوثائق.. أنها كانت صريحة، وموثقة بالأسماء، ليعلم المواطن ما يحدث بالضبط خلف الأبواب الموصدة، عن الصفقات السرية، التي يتم بموجبها العبث بأموال الشعب، وممتلكاته!

تباعاً؛ نشرَ مجموعة جديدة من الوثائق، اشتملت على وقائع اختلاسات ضخمة داخل **شركة إس أي يونايتد**، تجاوزت قيمتها ٣٥٠ مليون ريال خلال الستة أشهر الماضية فقط، حيث تفيد الوثائق أنه تم التغطية على الموضوع، وتسويته داخل أسوار الشركة، والاكتفاء بإحالة المتورطين للتقاعد المبكر فقط!

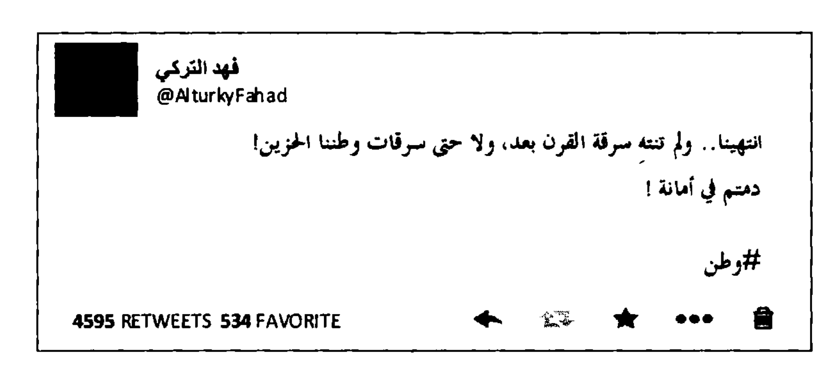
ثم قام فهد بنشر قائمة بأسماء المتورطين في تعاملات مشبوهة مع الشركة، شملت شخصيات نافذة جداً، ومسؤولين، ومدراء مشاريع، ومقاولين، وموظفين في شتى المستويات!

حتى **الساعة الواحدة فجراً**، كانت الساحة الإلكترونية تشتعل، وتزداد اشتعالاً مع كل وثيقة ينشرها فهد!

خلال الساعات القادمة؛ أيقن فهد أن وثائقه ستكون الخبر الأساسي في مئات المواقع الإخبارية، والمنتديات، ووسائل التواصل الاجتماعي، وستُسقط خلفها كثيراً من الضحايا!

ختم تغريداته؛ بنشر **التسجيل الصوتي** الذي دار بين صديقه؛ صاحب

المطعم، وبين **مدير مكتب العالي**، الذي كان يفاوض لأجل الدخول معه في شراكة إجبارية، مقابل السماح بفتح فرع جديد لمطعمه، كان محظوظاً أنه لم يفقد جميع نسخ التسجيل الصوتي، وجد نسخة تائهة بين قائمة الرسائل المحذوفة في بريده الإلكتروني، نشرها على الفور، ونشر معها صورة الرجل المرعب الذي هدده في منزله!



٦٧

حاول الاتصال بغادة، يريد أن يتأكد أن الوضع آمن، هل يمكنه أن يخرج؟ أن يتنقّل في أمان؟

لم تكن ترد عليه!

الساعة الواحدة والنصف فجراً، أصيب بخيبة أمل، الوقت متأخر، لابد أنها نامت، كما إنها أخبرته برغبتها في الاختباء عدة أيام، كانت تتوقع أن يتم كشف أمرها، وربما الانتقام منها.

بعد تردد طويل؛ قرر أن يخرج من هذا السجن، من هذه الغرفة التعيسة، مللٌ كبير يجتاحه، جمع حاجياته، وخرج من الغرفة، ظلام موحش، لا أحد في الجوار، كل الأبواب موصدة، نزل إلى بهو الفندق، عينٌ واحدٌ كانت تراقبه، موظف الاستقبال، أيقظه من نومه..!

كان يتحرك كلصّ، عيناه تتفحصان كل الكائنات من حوله، ركب سيارته، لن يذهب إلى منزله، بالتأكيد سيكون مراقباً، إلى منزل العائلة؟ ماذا لو كان مراقباً أيضاً؟ بعد تفكير طويل؛ قرر أن يلتجئ إلى الصحراء، سيبقى هناك حتى تشرق الشمس، ثم يذهب إلى منزله، سيكون ذلك أقل الخيارات خطورة.

افترش الأرض، على أحد الكثبان الرملية، وجعل يتأمل في السماء،

فتنه المنظر، الفجر، ولادته، القمر، رائحة النسيم. . علاقة حب لا تنتهي.

استلقى على الرمال، بدأت بعض أثقاله تنزاح، أحس بأمان دافئ، منذ زمن لم يدخل قلبه، فكّر في أخذ راحة طويلة، ربما سفر عائلي، أهمل ملاكه كثيراً، بالكاد صار يراها، كلما اتصلتْ به، كان يكذب عليها، يدّعي أنه في مهمة عمل خاصة، وسيعود خلال أيام، كم يحس بالندم على ذلك، حان الوقت ليتفرغ لها، ليهبها وقته كله!

ذات مرة، سأله أحد أصدقائه عنها، عن ملاكه، عن علاقته بها، خصوصاً بعد أن احتل المرض جسدها، لم يجبه، لم يكن من النوع الذي يفشي آلامه، إلا أن قلبه أجاب، كل جوارحه تحدثت: **«ملاكي؟ لا أدري بماذا أجيب، لكنني لا أظن أن في النساء أوفى منها، صبرتْ على تقلبات مزاجي، على طباعي الحادة، أعطتني كل شيء، حتى والمرض يفتك بها، ينخر جسدها الجميل، صرت أحاول تدليلها، ألّا أرد لها طلباً، لم أخاصمها منذ ذلك الحين، منذ خبر مرضها، صدقني بأنني ندمت، ندمتُ على كل كلمة قاسية قلتها، على كل دقيقة لم أقضها بجوارها.»**

الذاكرة؛ أحياناً لا نفهم كيف تتجول، لا نستطيع التنبؤ بما تستدعيه من ذكريات، يتذكر فهد مشهداً صغيراً من حياته معها، أولى أيامه، كان يتمناها شاعرة، في فترة الخطوبة. . كتبت له قصيدتين، ألح عليها أن تواصل كتابة الشعر، كان يقول إن أصدق الشعر هو ما كان مخبوءاً، ما كان محصوراً بين قلبين، ولا يفسد إلا حينما تطلّع عليه أعين الفضوليين، أعين الغرباء، حينها يتحول إلى مجرد كلمات رخيصة لا معنى لها!

تحسس جيبه، أحس بإثارة، مشوبةٍ بقلق كبير، كانت هناك، مستقرة في جيبه العلوي، قلب ملاك، **وصيتها**..!

نسي أمرها كله!

بعد صراع نفسي طويل؛ قرر أن يفتحها، أن يقرأ وصيتها، لن يُفاتحها بأي شيء مما كتبت، سيُعيد الوصية كما كانت، سيدسها في مكانها، وكأن شيئاً لم يكن، ربما كانت تعاني من شيء، سيساعدها.. كان يحاول إيجاد مبرر لنفسه!

ثلاث صفحات؛ كتبَتها بخط يدها، ارتجف قلبه لما رأى رسم حروفها الدقيق، لكل أشيائها حنين ساحر، كتبتْ بالقلم الأحمر، لماذا اختارت هذا اللون بالذات؟

«...، حبيبي فهد.. كم كنتُ أتمنى أن أفاتحك في هذا الموضوع، أن أطرحه بين يديك، إلا أنني لم أستطع، لم أتجرأ، قلبي لا يحتمل!

كلما يشتد عليّ المرض.. أتذكر أني حرمتك الذرية، حرمتك السعادة، طفلي الذي بين أحشائي، دعوت ربي طويلاً أن يُخرجه لك سالماً، أن يجعلك تتذوق طعم السعادة، أعلم أن الطب يشكك في ذلك، لكنْ في عينيّ أمل عريض.

حبيبي..إذا رحلتُ، ورحل طفلي معي؛ فلن أغضب لو فعلتَها، لو تزوجتَ بأخرى، سأكون راضية هناك، أعلم بعمق حبك لي، وأنك ما فعلتها إلا اضطراراً!

حبيبي، بعد رحيلي؛ أرجوك.. عِشْ حياتك كما تتمنى، اطوِ الصفحة البائسة التي قضيتها معي، ثيابي، عطوري، هداياك.. تصدَّق بها، أريد أن تقطع كل ذكرياتك الباكية معي، لا تُقم لي أي عزاء، ولا تزرني، صدقني يا فهد بأن ذلك سيسعدني في قبري، امسحني من ذكرياتك

للأبد، وعش حياتك كما كنت تتمنى..

وثق بأنني هناك.. في قصور الجنة.. لن أرضى سواك رفيقاً..»

أحس برغبة ملحّة في البكاء، في إخراج شيء يحرقه، شيء يشتعل في داخله، كما كان يتوقع، ملاكه تتألم، تحس بدنوّ أجلها، تبكي كل ليلة لأجله، قام من مكانه، قرر أن يتجه إليها حيثما كانت، سيبقى بجوارها حتى يقضي الله أمره!

إلا أنه تفاجأ على وقع الاتصال الذي ورده: «**من يكون المتصل في هذا الوقت المتأخر؟!**»

وكانت.. غادة!

لم تُلقِ التحية، في صوتها شيء أقلقه، بعينين جاحظتين.. أجابها مذعوراً: «**متأكدة؟ متأكدة مما تقولين؟!**»

في انكسار، ردت غادة: «**نعم..!**»

«مستحيل.. لا يمكن يا غادة.. ولكن كيف.. كيف حدث كل ذلك؟!»

٦٨

اتصلتْ به بعد عدة دقائق، لم يتحرك من مكانه، بقي جامداً، تمنى أنها كانت تمزح، أنه كان في حلم، لم يستطع تخيل نهاية المشهد بهذه المأساوية، اقترحت عليه غادة أن يلغيها، أن يحذف تغريداته الأخيرة، الوثائق، أجابها في يأس:

«لا يمكن.. ليس حلاً.. انتشرت في كل مكان !»

استرجع كل كلمة قالتها غادة، نتائج كلماتها مدمرة، مستقبله في شتات، كلمةٌ واحد وعاها:

مصيدة، فخ.. وقعنا فيه.. كارثية، مصيدة كارثية..!

الوثائق.. الوثائق.. كانت..!

كانت مزوّرة!

٦٩

«غادة.. أخبريني.. كيف حدث ذلك؟!»

«لا أعلم.. أقسم لك إنني لا أعلم يا فهد.. ليست هي الوثائق التي بحوزتي.. التي أعطيتك.. هذه وثائق أخرى.. وثائق مزورة.. لا أعلم كيف حدث ذلك!»، أضافت غادة بعد لحظات صمت ثقيلة: **«رجعتُ للوثائق الأصلية.. كانت مختلفة تماماً.. هناك خطأ ما.. سامحني.. لست أدري كيف تم.. كيف تم الأمر!»**

لم يستطع فهد أن يقول شيئاً، هناك شيء ألجمه، شيءٌ أخرس لسانه، كان يفكر في عواقب الأمر، صدقيته، سمعته، الملاحقة القانونية..

كل شيء.. كل شيء يتهاوى على رأسه!

جاسر السليمان، تذكره، سيكون فريسة سهلة بين يديه..!

أضافت غادة: **« أحدهم قام بخداعنا، ربما تجسس علينا، لديّ تحليل وحيد.. سائقي.. ربما تم تجنيده.. ربما يكون هو من خدعنا.. من قام باستبدالها.. أقصد سلّمك النسخة المزورة من الوثائق..!»**

«موسم تساقط الأقزام»، قال جاسر السليمان في نشوة، كان حوله ثلاثة من أعوانه، كان يعدّ نفسه لإرسال مفاجأة جديدة إلى فهد،

ضغط زر الإرسال، **رسالة مصورة**، كانت تتّجه إلى هاتف فهد التركي، إلى هاتفه المحمول!

فكّر جاسر: قضية التزوير.. ستهز صدقيته أمام الجمهور، أما هذه **الرسالة**، فحينما يشاهدها، فسوف يتيقن أن مستقبله العائلي قد تدمّر تماماً..!

٧٠

دخل فهد التركي شقته، كئيبةً كانت، شعر كأنه غاب عنها لسنوات، جلس على الأريكة، يحسّ بضياع، بورطة كبيرة، البارحة؛ طلب من ملاكه أن تعود إلى المنزل، أخبرها كم اشتاق لها، كم طال فراقها، لكنه تمنى الآن أنه لم يفعل، ستقرأ شحوب وجهه، ذبول عينيه، ليس من المناسب أن يستقبلها بهذه الهيئة!

اتصل بها، طلب منها تأجيل قدومها عدة أيام، أخبرته أنها قادمة، بضع دقائق، وستحتضن أشواقه!

تصفّح بريده الإلكتروني، سيلٌ من المراسلات، كانت تشكره على جرأته، شجاعته، وقوفه وحيداً في وجه الظلام: ما زال الفضاء الإلكتروني يضجّ على أصداء إعلانه الكبير، أخذت صدى كبيراً، أجواء صاخبة لم تتوقف بعد، عدد من المواقع الإخبارية أشار إلى الخبر، وعدد من المراسلين يلاحقونه من أجل إجراء حوار حصري معهم، آلاف التعليقات، والتحليلات. .

«لكنكم لا تعلمون.. ماذا صنع الظلام بي!»

فتح رسائله القصيرة، عشرات الرسائل، تصفحها سريعاً، واحدةٌ منها. . هزت أعماقه، جعلته ينحني، يسقط، أحس بوقع الخيانة، دناءة التجسس، خارت قواه. . !

الرسالة التي هزته؛ كانت تحوي **صورة واحدة فقط**، كُتب تحتاها: «**ولدَينا المزيد!!**»

ثم أتبعها برسالة أخرى: «**تسجيل الفيديو.. كاملاً بحوزنتا.. نتمنى لك ليلة هانئة!**»

رقم غريب، هو نفسه الذي أزعجه، الذي اتصل عليه مراراً، خلال نصف الساعة الماضية، وقام بتجاهله!

الصورة.. أصابته في مقتل.. أحس أنها نهايته، كل شيء أظلم في عينيه، وجه ملاك، قلبها، سيذبُل كل شيء فيه، الصورة.. تأملها مرة أخرى، تم تصويره معها.. دناءة لا حد لها!

تذكر المشهد تماماً!

لا يعرف هذه **الفتاة**، كان مدعواً لعشاءٍ في منزل أحد الأثرياء، دعوة خاصة، دخلت عليهم هذه الفتاة، زعمت أنها صحفية، أنها مراسلة، ستجري معه حواراً خاصاً، طلبت أن يكون اللقاء في غرفة جانبية، خلعت عباءتها، لم يرتح لتصرفاتها، ولا طريقتها في الكلام، كانت تتغنج، ربما تستعرض، لم يفهم شيئاً، أجرت معه اللقاء، والذي استمر قرابة نصف ساعة..

ولم يكن يخطر بباله.. أن أحدهم نصب له فخاً، أنه كان يراقبه، وقام بتصوير المشهد كاملاً!

اتصل **مُرسل الصورة** مرة أخرى، لم يَردّ فهد، لن يفعل، ماذا سيقول له؟ خشي من شيء مجهول، ربما تهديد جديد؟ بالتأكيد ليس غير ذلك!

تلقى رسالة نصية جديدة:

«سأتصل بعد دقيقة واحدة.. إذا لم ترد.. فأنت حر.. لكنني سأقوم بنشر قائمة الصور التي بحوزتي!»

«بالمناسبة؛ تم تصوير المشهد كاملاً بالفيديو.. حتى نفوِّت عليك أي مراوغة!»

ارتجف فيه كل شيء، نشْر هذه الصور.. سيدمره اجتماعياً، فكر في زوجته، ردة فعلها، قرابته، أصدقاؤه، هل سيصدقون تبريراته؟ سقط الهاتف من يده.. هواء.. بالكاد صار يتنفس.. ارتفعت حرارته، تناول الهاتف مرة أخرى، نظر إلى الصورة، صورة الفتاة التي كانت بجواره، كانت تمسك يده، قريبة منه بشكل مريب!

رن الهاتف.. ارتجف مرة أخرى.. لا إرادياً.. قام بفصل الخط..!

رنةٌ ثانية.. وثالثة!

خارت قواه تماماً، مد يده، أجاب على الهاتف، بكل انكسار، أجاب على الفور: « **أرجوك.. لا تفضحني.. دعنا نتحدث أولاً!**»

استغرب فهد، كان الطرف الآخر صامتاً، لم يتحدث بكلمة واحدة: «**ألو.. هل تسمعني**»، قال فهد.

«**اِفتح الباب..**»

«**أي باب؟!**»، قال فهد في خوف.

«**افتح الباب.. باب المنزل.. أنا ملاك!**»

٧١

«لا تفضحني!»

الْتقطتْ ملاك هذه الكلمة، أحست بثقل وطأتها، إذاً فهناك ما يخفيه عنها، شيء كبير، ليس من عادته فعل مثل ذلك، حاصرته، ألحت عليه ليخبرها، ليصارحها، سألته عن سر هذه الفضيحة، ستقف معه في محنته، ستفديه بروحها، وبمرضها؛ حاولت أن تقنعه!

كان فهد في حالة نفسية ضامرة، لم يتمكن من المقاومة، أو الجدال، انهار أمام ملاكه..

واعترف لها بكل شيء!

«قضيتي مركبة.. أنا بريء.. ومذنب في الوقت نفسه!»، قال فهد بانكسار.

لم يكن يحمل همّ التزوير، ولا همّ الملاحقة القانونية، ولا حتى الاعتقال، كان يفكر فقط في عواقب هذه الصور من الناحية الاجتماعية!

حينما بدأ طريقه الإصلاحي، توقع كل شيء من خصومه، كل مكر، كل دناءة، لكنه لم يكن يتوقع أن يصل مستواها إلى هذا الحد!

أخبر ملاك بكل ما فعله، أنهم أرسلوا صورة الفتاة إلى هاتفه، شرح لها أن الموقف جاء بشكل عفوي، أرادوا توريطه، نصب مصيدة له، أكد لها أنه لم يخنها، لم يقترف أي جُرم.

«**لماذا أكملتَ حوارك الصحفي معها.. بعد كل الذي رأيت؟**»

«**ولماذا لم تغادر المكان؟!**» ألجمه سؤالها!

«...»

«**هل هي غادة؟!**»

«**لا.**»

أغمضتْ ملاك عينيها، أحنت رأسها، ثم سألته: «**فهد.. أخبرني بالحقيقة**»

«**صدقيني...**»

«**سألتَك بالله.. أخبرني الحقيقة.**»

حرك شفتيه، استعداداً للجواب، للدفاع عن نفسه، وقبل أن يفعل، أضافت: «**سألتك بالذي يملك شفائي.. وروحي وروحك.. ألّا تقول إلا حقاً**»

دقيقةُ صمت قاتلة، توقف فيها كل شيء!

تحدث فهد بصعوبة، باختناق: «**ملاك.. أُقسم.. أقسم لك إنني لم أفعل.**»

أجابت باكية: «**فهد.. أنا أصدِّقك.**»

. . . ، وطيلة حوارهما . . لم يتجرأ أحدهما أن ينظر في عيني صاحبه!

انزاح همه الاول!

ملاكه تصدّقه، تثق بقوله، لكن . . لو انتشرت هذه الصور، فإنه يشك أن يجد قلوباً نقية كقلبها!

٧٢

تفاجأ فهد حين رأى اسم جاسر السليمان على شاشة جوّاله، كان يتصل به، ماذا يريد؟

أجاب على المكالمة، إلا أنه استغرب حين سمع ضحكةً صاخبة، ضحكة شامتة، فقط، تبعها صوتُ انقطاع الاتصال!

أحس فهد بغيظ، بإهانة كبيرة، قرر أن يكتم ذلك كله، ليس في موضع يسمح له بالانتصار لنفسه، فكر ملياً في عواقب أمره كله، ماذا يمكن أن يُفعل به؟ توقع الأسوأ، فشخصية جاسر السليمان استغلالية لأبعد حد، يمكن أن يسحق الآخرين من دون حتى تأنيب ضمير: «**لصّ حقير!**»، تمتم في قهر.

اتصل جاسر مرة أخرى، قال بلهجة متشفِّية: «**كيف حالك يا صديقي.. اتصلت فقط لأسمعك ضحكتي.. يقولون بأنها فاتنة!**»، ثم أتبعها بضحكة طويلة.

«**لديّ قطيعٌ كبير من العبيد.. مرحباً بالضيف الجديد!**»، احمر وجه فهد، لم يجب، حاول ضبط نفسه.

«**نسيت..لم تخبرني عن رأيك في عبقريتي؟**»

أضاف بعد لحظات صمت: « **أَعلم أنك تختنق الآن.. وبالكاد**

تتنفس.. أنت مكبلٌ بقيدين كبيرين.. الأول رأيتَه.. أما القيد الثاني.. أقصد الصور.. فستكون آثارها مدمرة عليك.. الحقيقة أنني لم أقرر موعد نشرها حتى الآن.»

«**هل يمكننا أن نتحدث سوياً؟**»، قال فهد.

أجاب جاسر ضاحكاً: « **لا أدري.. أنا مشغول.. أنا على وجه سفرٍ أكثر أهمية منك.. لكنني سأفكر في الأمر..**»، ثم أضاف بلهجة حازمة: «**اسمع.. لو وافقتُ على لقائك.. فلن أسمح لك بإملاء شروطك علي، وستأتي صاغراً إلى مكتبي.. وفي الوقت الذي يناسبني!**»

دخل فهد مكتب جاسر السليمان، بعد أن انتظر وقتاً طويلاً، عزم فهد على ضبط انفعالاته، لكن لن يصل به الحال لإهانة نفسه، سيفاوض بلغة الطرف الضعيف، سيحاول الحصول على تسوية، أو على الأقل.. الخروج بأقل قدر من الخسائر.

ابتسم جاسر السليمان لما رآه، لم يتحرك من كرسيه، أشار إليه بالجلوس، وطلب منه أن يصمت حتى يأذن له، كان يدرك أنه في طريقه لتدمير صدقية فهد أمام الجمهور، وربما يُتبع ذلك بتدمير سمعته، بنشر صوره مع الفتاة، أدرك الآن صواب الرأي الممانع لقتل فهد: «**هكذا نقتله ألف مرة!**»، حدّث نفسه.

«**الفيديو.. الصور.. أرجو أن تكون خصومتنا شريفة.**»، قال فهد.

«**لستَ أنت من يحدد أخلاقيات التعامل!**»، قال جاسر في غضب، ثم أضاف: «**إذا واصلتَ التحدث معي بهذه الفوقية.. فسأطردك من مكتبي.**»

تحدث جاسر باختصار، كان كلامه مركّزاً، أخبر فهد أنه موافق على عدم نشر الصور، وعدم ملاحقته قانونياً، بشرط أن ينفذ قليلاً من طلباته الصغيرة!

وافق فهد على عدة شروط، وافق أن يُصدر بياناً اعتذارياً لشركة إس أي يونايتد، بالصيغة التي يحددها جاسر، ويقوم فيها بتكذيب نفسه، ونفي صحة الوثائق المنشورة، والتصريح بأنها كانت مفبركة بشكل كامل..

إلا أنه اختلف معه على عدة أمور، عارض أن يَخرج في اعتراف مرئي، يعترف فيه بقصة الوثائق، بل أصرّ على أن يكون التراجع نصياً فقط، كما رفض القول إنه من قام بعملية التزوير بنفسه.

«**سأعترف بخطئي كما هو من دون أية إضافات**»، قال فهد.

«**يبدو أنك لا تعرف من يكون جاسر السليمان؟!**»

«**كل الاحترام لك.**»

توقف جاسر عن الحديث، وجعل يفكر قليلاً، ثم قال مبتسماً: «**لديّ شرط جديد.**»

«**تفضل.**»

«**لا أريد أن يفهم الناس أن فعلتك كانت بجهود شخصية.. ستكون القصة مملة!**»

«**لذا.. أشترط أن تعترف أيضاً أنك تعمل في داخل تنظيم.**»

«**ولكن..**»

«**وأنك تلقيتَ دعماً خارجياً..**»

«أستاذ جاسر.. أنت تعلم أنه غير صحيح، دوافعي كانت نزيهة بشكل كامل»

صرخ جاسر: «**اخرس.. نزيهة؟**»، أشار إليه باستعلاء.

أجاب فهد بعد تردد: «**لا يمكنني الاعتراف بشيء لم يحدث.**»

«**انتهى اللقاء.. تفضل.. اخرج من مكتبي.. الآن!**»، وأشار إلى باب مكتبه.

٧٣

مقتل فهد التركي

كان كل شيء جاهزاً.. الصحفيون، كاميرات التصوير، الحضور الحاشد؛ وجاسر السليمان..!

احتل جاسر منصة المؤتمر الصحافي، وابتدأ الحديث بنبذة عن تاريخ شركته، ومنجزاتها، ومسيرتها الطويلة في دعم الاقتصاد الوطني، كما سلط الضوء على جهود الشركة في دعم القطاع الخيري بفروعه المختلفة، كما أعلن عن نيته في إنشاء مؤسسة خيرية، تحمل اسم الشركة، وسيتشرف بأن يرأسها بشكل شخصي ومباشر.

ثم تحدث عن ما أثير في **وسائل الإعلام الجديد** من معلومات مغلوطة، واتهامات كاذبة، نالت من نزاهة شخصيات ومؤسسات وطنية، وطرح عدة مقترحات لترشيد التعامل مع هذه الشائعات المضللة، في محاولة لبث أخلاقيات التعامل بين الجميع.

«أظنكم تنتظرون هذه اللحظة بفارغ الصبر؟»

قبل المؤتمر الصحافي.. بث عدة تسريبات مثيرة عن طبيعة اللقاء، ليضمن حضوراً صحافياً حاشداً، وهذا ما كان له بالفعل.

ظهرت صورةٌ مصغرة على جهاز العرض (البروجكتر)، لم تلفت انتباه أحد، أشار إليها جاسر مبتسماً: «**هذا شيك مصدّق باسمي الشخصي.. بمبلغ مليون ريال، لحساب المدعو فهد التركي، صحيح؟!**»، أعاد لهم قصة الشيك كاملة، رغم أن الجميع يعرفها، مبيناً أن فهد التركي اتهمه بتقديم هذا الشيك كرشوة له، لضمان عدم تعرّضه للشركة.

قام بتكبير صورة الشيك، وطلب من الجميع التدقيق فيها: «**طبعاً.. لن تشاهدوا شيئاً مريباً.**»

ظهرت صورة أخرى للشيك، عليها عدة دوائر، تبين مواطن التزوير: «**هنا.. حاول المدعو فهد التركي تقليد توقيعي.. شاهدوا الفرق.. هذا توقيعي الحقيقي!**»، ثم أشار إلى دائرة أخرى، وقال: «**من السهل الاكتشاف أن هذا الشيك حقيقي أم مزوّر.. انظروا إلى رقمه.**»

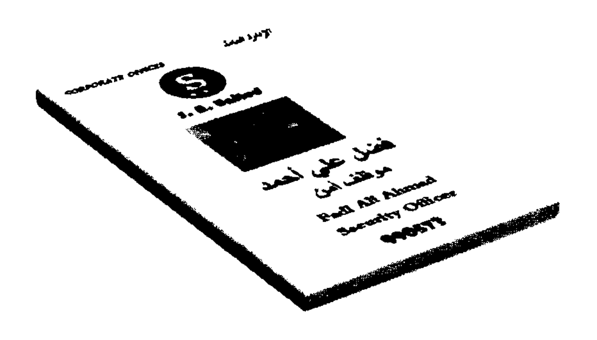
«**كما يمكن أيّ شخص مطّلع أن يتعقب رقم هذا الشيك مع البنك.. ويتأكد من صحته بكل سهولة**»، انتظر لحظات قبل أن تظهر الصورة التالية: «**وهذه صورة الخطاب الجوابي الذي تلقيناه من البنك.. يفيد بأن هذا الشيك مزوّر.**»

«**ربما بأن كلامي غير مقنع تماماً؟**»، سأل الجمهور، ثم أردف ساخراً: «**حسناً.. هناك شيء ظريف يا أصدقاء.. انظروا إلى شعار البنك**»، وأشار إلى صورة الشيك في جهاز العرض: «**من سذاجتهم.. أنهم وضعوا الشعار القديم.. وفات عليهم أن البنك توقف عن استخدامه رسمياً منذ مدة طويلة!**»

وجّه نظرة واثقة إلى الجمهور، ثم قال ساخراً: «**يا أصدقائي.. هذا تزوير ساذج.. ليتهم على الأقل كانوا محترفين!**»

طيلة ساعتين، مكث جاسر السليمان يفنِّد الاتهامات التي لحقت بشركته، مستعرضاً عدداً من الوثائق التي تم تداولها من قِبل فهد التركي ورفاقه، وروّجوا على أنها فضائح مالية للشركة.

استعرض صورةً للحوالة التي اتهم فيها فهد عدداً من الوزراء.. بتلقي أموال ضخمة من الشركة، وكذلك مزاعم الاختلاسات، وصورة الموظف الذي اتهمه فهد بتهديده جسدياً، موضحاً جوانب التزوير في كل وثيقة، ركز كثيراً على بطاقة العمل التي نشرها فهد التركي، والتي ادعى أنها لشخص هدده في منزله، وبادر بقلع أظافره: «**هو مزور فاشل.. ولا أعلم كيف يفكر!**»



استعرض صورة الرجل أمام الجميع، ثم قال: «**بكل بساطة.. لا يوجد لدينا شخص يحمل هذا الاسم! الاسم والصورة مفبركتان تماماً!**»

ثم قال: «**في النهاية؛ استنتجنا جميعاً.. أن الموضوع مجرد تزوير سخيف.. باستخدام برامج التعديل على الصور!**»

«**وإذا علمنا ذلك كله.. سنفهم أن التسجيل الصوتي الذي دار بين صاحب المطعم وبين مدير مكتب العالي.. مفبركٌ هو الآخر.**»، إلا أنه استدرك سريعاً: «**أصلاً لا يوجد لدينا شخص يحمل اسم العالي.. لقد ابتكرته مخيّلته المريضة!**»

«**القصة باختصار.. لا تعدو أن تكون محاولة يائسة للتشويش، وإعاقة العمل الوطني، وتعطيل التنمية، وصناعة كوابيس جديدة!**»

عَبْر مواقع التواصل الاجتماعي؛ كان **فهد التركي** يتابع التغطية الإعلامية للمؤتمر الصحافي، تغشّاه الموت مع كل خبر، صار يستطيبه، يتمنى أن يحل به، أن يختفي من هذا الوجود..

كان يحبس أنفاسه، ينتظرها في هلع، ينتظر اللحظة التي سينشر فيها جاسر صوره مع الفتاة..

وجاءت..!

وجاءت لحظة ختام المؤتمر.. ولم يفعلها جاسر..

«**أُخمّن أنه سينشرها باسم مستعار على الإنترنت.. لتظهر كأنها تسريب عفويّ**»، حدثته نفسه.

تأمل ردود الأفعال الغاضبة، أكثرهم أدان صنيع فهد، اتهمه بالكذب، بالخداع، بالخيانة، طأطأ رأسه في إحباط: «**أرجو ألا ينسى الناس.. تاريخ هذه الشركة الإجرامي، تاريخهم في السرقة.. من أجل فخ نصبوه لي!**»

تمنّى ألا يضيع صوته الإصلاحي وسط الضوضاء، ألا ينسى الناس مشاهد الفقر، ونهب الثروات، وتضييع الحقوق، ويبالغوا في ثقتهم في هذه الشركة: «**أخطأتُ.. وسأعترف بذلك.. لكنهم سحقوا أجيالاً متعاقبة، داسوا كل شيء في طريقهم، ومع ذلك.. ما زالوا يتوشحون بأردية النزاهة والعفة!**»

أيقن فهد أنه تم خداعه بطريقة احترافية!

فعلها جاسر، واستطاع أن يصيبه.. **في مقتلٍ خطير**..!

٧٤

يُتابع التلفاز؛ كان فهد التركي جالساً في ملل، أظلمت من حوله المسالك، تغيرت نظرته للأشياء، للحياة، فقَدَ من وزنه عدة كيلوغرامات، سيموت في منزله، وسط أحزانه، كما بات يتمنى!

أصبح قلبه كهفاً للجراح، لتوسّد الآلام، لتآكلها، كان يبحث عن بقايا أمنٍ ضائع، عن حضن يرتمي عليه، كان يطيل السهر، ليس اختياراً، لم يعد يستطيب النوم، كل شيء تبدل فيه، حتى طريقته في الكلام، في المشي، في قضاء الليالي، كثيراً ما كان يحاول أن يطرد هذه الأحزان، أن يتظاهر بالفرح، لكن روحاً جديدة بدأت تتشكل بداخله، تصوغه من جديد!

الأحزان كائن ليلي؛ تنام في النهار، وفي أول الليل، ثم تستيقظ حينما يضم صاحبها لحافه، متهيئاً للنوم، فتتهيأ بدورها للعبث به، حتى يخرج الفجر أو تخرج روحه!

عبثاً، كان يحاول الوصول إلى استمرّ، إلى مجهد، تتبع تغريداته، قرأ كل حرف كتبه، كان يبحث عن أي إشارة، عن أي رسالة مخفية، أرسل إلى بريده الإلكتروني عشرات الرسائل.. ولكن تبعثرت آماله، فاختار القعود، انتظاراً لحلول القدر!

رأى اسم جاسر السليمان، كان يتصل به من جديد، لم يتفاجأ، لم يرتبك، التقط الهاتف، وأجابه في هدوء.

«**مرحباً بك يا صديقي.. لم أسمع صوتك منذ عدة أيام.. لماذا انقطعتَ عن الكتابة.. افتقدنا قلمك السيال**»، قال جاسر ضاحكاً.

«**أهلا أستاذ جاسر**»، أجاب فهد بصوت خفيض.

«**وعدتك بمفاجأة عظيمة.. أنا لا أُخلف مواعيدي كما تعلم.. مسكنك الجديد أصبح جاهزاً.. على أحدث الطرازات العالمية.**»

«**مسكن؟**»

«**بالطبع يا صديقي.. استأجرنا لك أكثرها فخامة..**»

«**لم أفهم**»، قال فهد باستغراب.

«**بالطبع.. لن تفهم.. لأنك غبي كبير..**»، انفجر ضاحكاً، ثم أضاف بلهجة حازمة: «**رفعنا ضدك قضية، واستصدرنا أمراً بالقضاء عليك.. أعرفك يا صديقي.. لا تحبّ تأجيل الأمور.**»

«...»

«**بعد لحظات.. سيزورك ضيف لطيف.. احزم أمتعتك.. ربما يطول غيابك!**»

«**وبالمناسبة.. هذا اعتقالٌ حقيقي، وليس للتخويف.. كما في المرة الماضية!**»

وسمع صوت الجرس.. يرنّ!

اتجه إلى غرفة نومها، إلى حيث ملاكه، نائمةً كانت، نظر إلى وجهها، إلى ابتسامتها، هل كانت تبتسم؟ اكتشف أنها أكثر جمالاً من قبل، أن نوراً ينبعث من عينيها، هل كان يحلم؟

هل تغير لون شعرها، لماذا يراه اليوم جميلاً؟

اقترب منها، دنا في هدوء، قبّل جبينها: «**ملاك.. سامحيني.**»

فتحت عينيها، نظرت إليه في كسل: «**فهد؟**»

وبعد لحظاتٍ صامتة، سألته: «**أسامحك على ماذا؟!**»

«**على كل شيء حبيبتي.. على كل شيء.**»

وقع ما كان يخشاه!

كان يخشى على حياتها من حياته!

وضع اللحاف على جسدها: «**حبيبتي.. نامي.**»

أصعب ما يكون الرحيل؛ حينما يكون خَلِياً من وعود التلاقي، محاطاً بأمارات اليأس، والإحباط!

مرّر يداً باكية على شعرها.. على خصلاتٍ ثائرة منه.. ثم أرسلها..

وكانت آخر شيء لمسه منها..!

صوتُ الجرس، طرْقُ الباب.. يشتد!

في داخله شيء يجذبه إليها، ودّعها بدموعه، بدموع قلبه، ودّع طفله الذي ينام هناك، هانئاً وسط أحشائها، لم يكن يعلم: هل سيبصر النور، أم سيرحل مع أمه؟

شرَع في كتابة رسالة نصية، وجهها لأقرب شخص إلى ملاكه، إلى أخيها:

«**محمد.. تم اعتقالي..**

أرجوك ثم أرجوك؛ اهتم بهما.. وتدرّج في تبليغها الخبر

محمد: ملاك.. من ذمتي إلى ذمتك، فلا تتركها تتألم طرفة عين.»

مُنكّساً أعلامه، منكسراً؛ انسحب من بين يديها..

ثم.. أغلق عليها الباب، ومضى يجر أحلاماً ماتت قبل أوانها!

لا يعلم.. لماذا خطر في ذهنه هذه اللحظة بالذات، كأنما يراه رأي العين، الحلم.. **الحلم المخيف**.. تذكره.. حينما كان يصعد درجاً طويلاً، يصعده بخطوات بطيئة، متثاقلة، وحين يصل نهايته، تُفزعه.. بركةٌ عظيمةٌ من الدماء، يرى فيها شخصاً واحداً، يُغالب الغرق، ويبتلع كمية كبيرة من الدماء..!

الغريق.. غريقُ الدماء.. الآن فقط.. عرف من يكون!

إلا أنه رغم ذلك.. تعلّق بحبل رفيع، بقَشَّة أملٍ صغيرة، لديه شعور بأنه سيأتي، سينقذه، كان ينتظره من جديد.. مجهد.. استمر..!

تمتم في هدوء: «**استمر.. استمر!**»

وابتهلت كل جوارحه.. أن يبعثه الله ليكتب له خلاصاً أبدياً!

٧٥

وصل **جاسر السليمان** أولاً..

دخل مكتب **العالي** في خضوع، بقي واقفاً حتى أُذن له، كان يختلس النظر إلى سيده العالي، جاء إليه مبتهجاً، محتفلاً بإنجازه، خمّن أنه سيرضى عنه هذه المرة، أنه سيسمع ولو كلمة إطراء صغيرة..

لكنه لم يفعل من ذلك شيئاً!

رن هاتف المكتب، أجاب العالي، أمر بإدخال الزائر من غير تأخير، قام من فوره، فتح باب مكتبه، نادراً ما يفعل ذلك: «**أهلاً.. أهلاً بالكرام**»، قال العالي، وأمسك الزائر من يده بلطف، وأجلسه على الكرسي القريب منه، ثم قال: «**دقة.. وإخلاص.. شكراً لعقلكم المستنير**»

«**سيدي.. هذا أكبر ثناء أسمعه في حياتي.. هذا شرف عظيم لي.. أنا لم أقم إلا بالواجب فقط**»، كانت تنظر إليه في ثقة، تحاول استكشافه عن قرب..

«**أدّيتِ جهداً يستحق الإشادة.. والمكافأة**»، قال العالي.

قالت في خجل: «**أنا تحت خدمتك سيدي.. في أي وقت تشاء.**»

غادة الإبراهيم.. كانت تتحدث!

٧٦

غادرت **غادةُ** مكتب العالي، وبقي عطرها يجول بينهما، امتدحها جاسر السليمان كثيراً، وأثنى على ذكائها في إنهاء القضية بسلام، وأضاف في محاولة لجذب انتباه سيده: «**إنها جميلة.. ولمّاحة أيضاً.**»

«**أَعلم ذلك.. ليتك تمتلك ربع ذكائها!**»، قال العالي ساخراً.

حاول أن يبتلع هذه الإهانة، أضاف: «**كانت فكرتنا تعتمد على تسليم الوثائق لفهد في آخر لحظة قبيل الإعلان، باستخدام خطوات متعددة من الإرهاب النفسي والبدني.. لنضمن أنه لن يجد متسعاً من الوقت لمراجعة الوثائق، أو التأكد من صحتها، وقد نجحنا بالفعل سيدي.**»

«**أنت أصغر من أن تفعل ذلك.. بالتأكيد هو من تخطيط غادة!**»

طُرق باب المكتب، دخل رجلٌ ضخم الجثة، أسمر اللون، أسموه (قَلّاع الأظافر) بعد مهمته مع فهد التركي، انحنى بين يدي العالي: «**تحت أمرك سيدي.**»

«**غادة الإبراهيم.. تعرفها؟!**»، سأل العالي.

«**أعرف كل شيء عنها.. سيدي.**»

«**لقد أبلت معنا بلاء عظيماً.. وحان الوقت لمكافأتها بشيء يليق بمقامها.**»

«**أنا رهن إشارتك سيدي.**»، وابتسم في تخابث.

«**دائماً تدهشني نباهتك أيها الفتى.. أنا في العادة لا أتدخل في التفاصيل، لكن طلقة واحدة تكفيها.. أنا معجب بها.. ولا أريدها أن تعاني كثيراً.**»

اهتز جاسر السليمان في مكانه، علته دهشة عظيمة، كاد أن يسأل، أن يستفسر عن سبب ذلك كله: «**غادة؟ ماذا فعلتْ؟ لماذا يأمر بقتلها؟**»، لم يتجرأ على الاعتراض.

ضحك العالي من ردة فعل جاسر السليمان: «**أنت بريء.. وساذج.. وغبي أيضاً.**»

قال الرجل؛ قلّاع الأظافر: «**هل تأذن لي بالكلام سيدي؟**»

«**ماذا لديك؟**»

قال بابتسامة ماكرة: «**سيدي.. ما رأيك في قتلة احترافية؟ ستروق لك بلا شك.**»

أومأ العالي برأسه..

«**نذهب بها إلى رحلة برية بعيدة.. مجرد احتفالية خاصة بهذه المناسبة، نجعلها تتيه في الصحراء، تتيه حتى تموت عطشاً، ميتةٌ طبيعية.. لن تحمل معها أي شبهة جنائية.**»

رد العالي ضاحكاً: «**تأسرني نباهتك دوماً.. أيها الوحش الجميل.**»

أشعل العالي سيجارته، كان يتأمل في النافذة، نظر بعيداً، حاول التركيز في آخر نقطة يصلها نظره، رأى الصورة تتشتت، علّق على المنظر: «**هكذا هو المستقبل!**»، لكنه عزم على قهر ذلك التشتت بطريقته الخاصة، كان لا يدع مجالاً للحظّ، يهتم بأدق التفاصيل، حتى تلك التي يغفل عنها الآخرون: «**غادة.. ورقةٌ رابحة.. أعرف ذلك.. لكنها بركان خطير.. أخطر مما نتوقع.**»

«**هل يمكن أن تشرح لي.. سيدي؟**»، سأل جاسر بكل خضوع، تمنى ألا يتسبب سؤاله في موجةِ سخريةٍ جديدة!

«**الأمر واضح.. فلديها التفاصيل كافة.. المستندات.. الوثائق الخاصة بالإيقاع بفهد التركي.. يمكن أن تستخدمها ضدنا في يوم من الأيام.. وربما تُسبب لنا حرجاً شعبياً بالغاً.**»

«**ولكن.. هي نفسها متورطة معنا سيدي.. ولن تفعل ذلك.**»

سدد إليه نظرة حارقة؛ أفزعته: «**أيها الغبي.. متورطة في ماذا؟!**»

«**التزوير.. أقصد الوثائق المزورة.. متورطة في كل شيء.. سيدي.**»، قال جاسر مرتبكاً.

«**لا أعلم كيف تفكر.. أنت الشخص الوحيد المتورط في الموضوع.. هيا أخبرني أين ورد اسمها؟ أين ورد ذكرها؟ ألم تلاحظ أنها أبقت نفسها في الظل طيلة الأحداث؟! وأقنعتْك بوضع اسمك بدلاً عنها؟!**»

«**اسمك أنت في الواجهة.. أنت وحدك فقط!**»

«**هل فكرت بأن تورطها في أي شيء.. صورة.. وثيقة.. أي شيء!**»

«مجرد تفكير فقط؟»

«للأسف.. لم أكتشف غباءك إلا متأخراً!»

فكر جاسر قليلاً، بالفعل ليس لديه أي دليل ضدها، كل الوثائق كانت باسمه، جميع المراسلات، جميعها، حتى حساب ضوء الذي كانت تديره، استخدمت بريده الإلكتروني، لم يكن يشك فيها أبداً!

إلا أنه رغم ذلك، كان يفكر في طريقة تعامل العالي معها، رآه قاسياً، لم يتجرأ على الاعتراض، قال في نفسه: «**كلامه صحيح، لكن ذلك ليس مبرراً كافياً لقتلها.**»

أضاف العالي بعد لحظات تأملية: «**عَيْنا غادة أخبرتني، نظراتُ التمرد.. رأيتها.. أُقسم إنني رأيتها في عينيها..**»

«لا يمكن أن يخطئ حدسي أبداً!»

«تعال إلى هنا..!»، قال العالي في حزم.

فزع جاسر إليه، تناول منه عدة أوراق مصورة، وشرع في تصفحها، كان العالي يراقب ردة فعله، بدأ لون وجهه يتغير تدريجياً: «**ألم أخبرك أنها أذكى منك بمراحل؟!**»

أحس بحرج بالغ، جعله يلتزم الصمت، وثائق خاصة بجاسر السليمان، تحتوي على إدانة مباشرة له، ولفريق عمله المقرب إليه:

«يمكن هذه الوثائق أن تدمرك لألف سنة قادمة!»

أحنى رأسه في خضوع، هذه الوثائق كانت في مكتبه، من الذي جاء بها إلى هنا؟ هل هي غادة؟ كيف حصلت عليها؟ ولماذا سلمتها إلى العالي؟

زاد حرجه، حينما سمع العالي يقول عنه: «**أعرف أنك لص كبير.. جميع أخبارك تصلني باستمرار، لكني كنت أفترض أنك تحمل ولو شيئاً قليلاً من الذكاء!**»

«**جاءت إليّ غادة هذا الصباح.. وسلمت لي هذه الوثائق.. قالت إنها حريصة على سمعة الشركة.. تحدثت كثيراً.. لكني لم أفهم دوافعها الحقيقية بالضبط!**»

نظر إلى جاسر السليمان، لم يتجرأ بعد على رفع رأسه، ابتسم في تخابث، وجّه إليه عدداً من الأوامر، أخبره أنها الفرصة الأخيرة لتصحيح أخطائه، كان يركّز على معنى واحد، كان يقول إن عالمه لا يقبل الإخفاقات أياً كانت، ولا يرضى بالتهاون مع نقاط الضعف، حتى ولو كانت شبه معدومة: «**لقد أقسمتْ لي إنها لا تملك أي نسخة أخرى.. هذه النسخة الوحيدة من الوثائق التي لديها.. بالطبع.. لست غبياً مثلك لأصدقها!**»

«**لا بد أن تفهم: أن اليد التي استمرأت الخيانة.. لا يشبعها أي شيء أبداً**».

قال العالي موجهاً أوامره للرجل؛ قلّاع الأظافر: «**لا تنسَ تصفية غادة، لكن ليس الآن.. لا نريد أية مشاكل.. تولَّ أمرها.. بعد أن ينسى الناس هذه الأحداث.**»

بحركة واحدة من يده، خرج الجميع من المكتب، خرجوا صامتين، تمتم في نفسه: «**القانون؟ لا يهمنا، فهو في متناول أيدينا، ما أخشاه هو السمعة، سمعة المؤسسة، وسمعة الأسياد.. وليس غير ذلك!**»

وصلت غادة إلى منزلها، كانت مشتتة التفكير، تستعرض صوراً لا تنتهي من الأحداث الأخيرة، فهد التركي؛ استطاعت استدراجه بذكاء، ومن ثم إيقاعه في شراك **الوثائق المزورة**، أتقنت الدور بشكل فاق تصوراتها..

كانت تتذكر لقاءها مع العالي، حينما سلمته الوثائق الخاصة **بالمشروع القومي الكبير**، تلك الوثائق التي سرقتها من مكتب جاسر السليمان، أحست بشي من الندم بعد تسليم هذه الوثائق للعالي، رأت في عينيه بروداً، وأمواجاً من الشك، توقعت أنه سيفرح كثيراً لذلك، أنه سيجعلها محظية عنده، لكنه أجابها بطريقة فاترة، ثم حاول بعد ذلك أن يبدد كل شكوكها أمام جاسر السليمان، في المشهد الأخير الذي جمعهما سوياً.

تتذكر كلماته المستعلية: «**سأنثر عليكِ الأموال من كل اتجاه.. سأحول لحسابكِ مبلغاً لم تشاهديه في حياتك قط!**»

كانت تتراءى خضوع جاسر السليمان بين يديه، عبوديته المطلقة: «**بالتأكيد.. سيجعلني مثله يوماً ما**»، كانت متيقنة من ذلك، هذه الأصناف من البشر لا ترضى بغير ذلك..!

لم تنسَ أبداً القضية التي رُفعت ضدها في المحكمة، القضية الوهمية، التي جُعلت لأجل التمويه على فهد: «**ما الذي يمنعهم من**

تحريكها؟!»، ستدمّر مستقبلها، أيقنت أنهم يستطيعون فعل ذلك من دون عناء!

لأجل ذلك وأكثر.. عزمت على تغيير شيء من وجهتها..

وقررت..!

قررت أن تفعل شيئاً يحميها..

الأيام الماضية.. كانت تفكر في الأمر كثيراً.. تتساءل هل سيقبل أن يتعاون معها؟ أن يقف في صفها لو احتاجت؟

كانت تردد اسمه.. من دون توقف..

مجهد.. مجهد..!

٧٧

السيد الكبير

القصر ذاته الممتد، بسوره الخارجي المهيب، والذي يبلغ طوله قرابة ٤ أمتار، وبسوره الحديدي المسنّن، وبالبذخ الفاحش الذي يحويه؛ أُذن للعالي أن يدخله، بعد انتظار ساعتين وأكثر!

جلس العالي بين يدي **سيده الأكبر**، انحنى، ثم قال في خضوع:
«**سيدي.. أبشرك.. أغلقنا موضوع فهد التركي بنجاح.**»

«**فهد التركي؟ ومن يكون هذا؟**»

«**الذي أخبرتك بقصة تمرده علينا.. أقصد على إحدى شركاتك الكبرى**»، قال العالي مبتسماً

«**لا أتذكر.. ولا يهمني معرفة قصته!**»

ثم أضاف السيد في غضب: «**أخبرتك ألف مرة.. لا تزعجني بهذه التفاصيل السخيفة.. وضعتُك في منصبك لأرى أموالي تمنو كل سنة.. هذه مهمتك الوحيدة.. فقط**»

«أمرك سيدي.»، قال العالي في انكسار

«لا أريد أن أسمع منك أي بطولات جانبية!»

«أمرك سيدي.»

«تستطيع المغادرة الآن!»

٧٨

انطوى فهد التركي على نفسه، تأمل واقعه الذي تحوّل إليه، وحيدٌ في زنزانته، بالكاد يستطيع التنفس!

أولُ ليلة؛ حينما ألقوه في هذه الزنزانة، ثم قَفلوا راجعين؛ نسي كل أُنسٍ ذاقه من قبل، شعر بحاجة لأن يبكي، لأن يطفئ نيراناً تلتهم جوفه، حاول أن ينام، أن يُلقي بعض أثقاله، كلما نظر إلى الوسادة المهترئة، إلى القطعة الإسفنجية التي يفترض أن ينام عليها.. يتوارى منه نعاسه!

حتى دورة المياه، يعاني من أجل الذهاب إليها، عليه أن يُحرِّك قطعة كرتونية، ينادي بها السجان، ينتظر أحياناً قرابة الساعة، حتى تصبح دورة المياه شاغرة، فكر طويلاً في سبب وضعه في هذا المكان بالذات: **«هل يريدون التأثير على معنوياتي؟!»**

فراغٌ كبير.. بدأ يملأ قلبه، وكيانه كله، منذ أيام لم يتحدث مع أحد، حتى الرجل الذي يوصل له الطعام، كان ينظر إليه في حذر، يُدخل الطعام من فتحة الباب الحديدي، ثم يغادر في صمت، الكاميرا من فوقه ترصد كل شيء، في قلبه شموعُ أملٍ كثيرة، كان يشهد انطفاءها كل ليلة..

تأمل حاله البئيس، مقاعد الراحلين؛ أصبح يجلس عليها منفرداً،

يجالس أحزانه في صمت، يعدّ هزائمه وانكساراته، يستعرضها واحدة واحدة، المقعد الذي بجواره؛ أصبح شاغراً، وربما سيظل كذلك حتى النهاية، قبل؛ كانت ملاكه تملؤه، تنشر البهجة في أرجاء روحه، كانت حينما تحل به النوائب؛ تمد يدها لتواسيه، لتخفف عنه، لتلطف الأجواء..

كم يحن لتلك اليد!

بين كل عاصفتين تهدأ الرياح، لتفسح مجالاً صغيراً للأمل، فينمو، ويُورق، ثم تهيج الرياح ثانية، لتقتلع كل ذلك!

سمع صوتاً يقترب منه، وقْعُ أقدام متتابعة، في كل مرة يتعلق بأمل سحيق، يُمنِّي نفسه مع كل طارق، فلربما يكون بشير الخلاص، أو على الأقل سفيراً يوصل له أي شيء عن العالم الخارجي، عن ملاكه، عن أحوال قلبها، عن صحتها..

أي شيء غير الصمت والوحشة..!

ناداه السجّان بصوت أجش: «**فهد التركي.. زيارة.. تحرّكْ بسرعة.**»

وصل إلى غرفة الزيارة، لم تكن زوجته كما تمنى، شخص لا يعرفه، لم يره في حياته، رجل صلب، بملامح جامدة: «**ماذا يريد مني؟!**»

يعلم فهد أن زيارته ممنوعة، حتى عائلته لم تتمكن من ذلك حتى الآن: «**كيف سمحوا له بزيارتي إذاً؟!**»

توقع فهد الأسوأ، ربما يكون عميلاً، أو ربما طريقة مبتكرة للحصول على المعلومات، سأله الرجل بشكل مباشر: «**هل تعرفني؟**»

نظر إليه فهد بارتياب، كان يتفحصه بشكل كامل، استغرب سؤاله، هز رأسه نافياً، وبدت عليه أمارات الإحباط.

«**اسمع يا فهد.. إذا تعاونت معنا.. فسوف نساعدك.**»، لاحَظ أنه يستخدم ضمير الجمع!

«**ومن أنتم؟!**»

«**ليس من شأنك!**»، قال الرجل محتدّاً، ثم أضاف: «**أخبرني.. من هو الذي قام بتسريب الوثائق المزورة إليك؟!**»

تردد فهد، هل من المناسب التحدث مع هذا الرجل الغريب؟ فهو لا يعلم من يكون، ولا الهدف من سؤاله: «**ولماذا يتوجب علي أن أتعاون معك؟**»

«**لأني أستطيع تغيير مستقبلك.**»، قال الرجل واثقاً.

استغرب فهد عنجهيته، وغروره، كان من المفترض أن يسأله بودّ، أن يحترمه على الأقل، فهو يريد الحصول على معلومة، دقق في ملامحه، حاول أن يتذكر شيئاً عنه، هل سبق أن قابله من قبل؟

أجهد ذاكرته، لا شيء..

صمَت الرجل، هل انتهى اللقاء؟

كان فهد يتتبع حركاته، ملامحه، يريد أن يقرأ فيها أي شيء، خمّن أن لديه أمراً يخفيه، رفع الرجل يده، وجّه راحته إليه..!

في دهشة.. أراد أن يتأكد.. أغمض عينيه، ثم فتحهما..!

هل كان يحلم؟

لاحظ شكلاً، يألفه تماماً، رُسم على راحته بطريقة بدائية، باللون الأسود..

قفز قلبه، غادره..

الأمل.. يأتي بعد الشدة، بعد اليأس، كان يسمع عن ذلك، أراد أن يصرخ، أن يطلق موجةً محبوسة.. على الأرض.. خرّ عليها.. ساجداً..

أخرج كلمات مبعثرة، خاطب الرجل بكل توسّل: «**الحرية.. متى أخرج؟.. زوجتي.. أرجوك الآن.. مريضة.. صدقني بأنها مريضة.. تحتاجني!**»

عيناه.. وقلبه.. ودمعاته: تعلقت به.. بصورته..

استمرّ..!



٧٩

«أرجوك.. أخرجني الآن.. لم أعد أستطيع التحمل.. أرجوك.»، قال فهد في خضوع.

ابتسم الرجل: **«من هو الذي سرب لك تلك الوثائق؟!»**

«غادة.. غادة الإبراهيم»، أجاب فهد باندفاع.

«هل هددوك بنشر صورٍ لك مع إحدى الفتيات؟»

«نعم.»

«هل كانت غادة؟»

هز رأسه نافياً.

«من تكون؟!»

«لا أتذكر اسمها.. مراسلة صحفية.. اسمها الأول.. أظنه: سهام.»

استمر الرجل في توجيه عدة أسئلة له، كان يدوّن ملاحظاته في دفتر صغير، نصف ساعة، ثم تأهب للمغادرة، سأله فهد متحفزاً: **«متى سأخرج؟»**

«ربما قريباً.. أنا مجرد آلة تسجيل.. مهمتي إيصال الرسائل.. ولا أفهم إلا لغة سيدي فقط.»

«أرجوك.. اطلب من مجهد.. آسف.. اطلب من السيد مجهد أن يساعدني بشكل عاجل.»

«سأخبره بذلك.»

«أرجوك.. أخبره أنني لن أنسى له هذا الجميل ما حييت.»

لم يُجبه، بل بادر بحشر دفتر الملاحظات في جيبه، ثم أشار إلى شعار (استمر)، وقال: **«أمرني مجهد أن أبلغك تحياته الحارة.. وأنه لا يمكن أن يتخلى عن أصدقائه.. خصوصاً أولئك الذي يرفضون التعاون معه!»**

أضاف الرجل بطريقة أكثر جدية:

«طلب مني سيدي أن أبلغك رسالته الأخيرة، حيث لن تراني بعد اليوم!

يقول لك سيدي:

(لا خيار يا صديقي.. استمر.. استمر!

ولكن هذه المرة: استمر.. استمر في السجن!)»



٨٠

فقيرة الحظ

عبارات تائهة. . !

وصلت إلى حساب فهد التركي في تويتر، طلبت صاحبتها من فهد أن ينشرها، طالبته بإلحاح أن يرسلها لمتابعيه، لم تكن تعلم بقصته، ولا مآله الذي انتهى إليه، ليست في حاجة لذلك، لم يكن قلبها يتسع لمزيد من الأحزان، التقط أحدهم هذه الرسالة، نشرها، فذاعت في أرجاء الفضاء الإلكتروني، شاهدةً على واحدةٍ من أعجب المفارقات في العصر الحديث[١]:

(الله يسعدكم أحتاج وظيفة!

الله يخليكم، ويجزاكم الفردوس الأعلى، ويغفر خطايااكم.. أحد منكم إخواتي وأخواني يقدر يساعدني بوظيفة في مدرسة أو بنك أو مستشفى؟ (مشرفة.. مراقبة.. حجز مواعيد.. أي وظيفة مو معقدة.)

وربّي حالتي النفسية عدَم، أحس إني عالة على أهلي، وعندي بنت،

---

(١) الرسالة حقيقية، ولم أتدخل لتعديل لهجتها حتى لا تفسد لغتها العفوية الصادقة، مع الشكر لمدونة حلم أخضر.

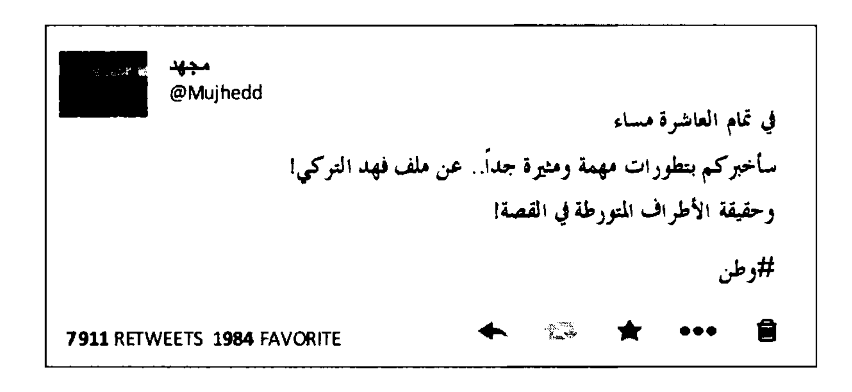
ومو قادرة أوفر أغلب أغراضها.. أنا مطلقة واللي كنت متزوجته ما خلاني أكمل تعليم الكلية، ورااحت علي!

شهادتي ثانوية أدبي، ومعاي دبلوم ست شهور حاسب آلي من جامعة الإمام، وعندي أسلوب حوار، وأنفع علاقات عامة، ومو شرط الراتب لو ١٥٠٠ موافقة عليه

وإذا محدّ يقدر يساعدني.. فادعوا لي، والله يسهل أموركم وأموري.

بـ ألم المواطنة: فقيرة الحظ)

٨١



مجهد
@Mujhedd
في تمام العاشرة مساء
سأخبركم بتطورات مهمة ومثيرة جداً.. عن ملف فهد التركي!
وحقيقة الأطراف المتورطة في القصة!
#وطن
7911 RETWEETS 1984 FAVORITE

٨٢

سنوات مريرة، قضاها فهد التركي في زنزانته، وحيداً، بائساً، فقدَ الأمل في الخلاص، كان ينتظر لحظةً هاربة، لحظةَ رحيله، استوت في عينيه كل الأمور، تسلل إلى قلبه يأس خانق، انقطع عن الدنيا، لا يعلم ما آلت إليه، قرر التمرد على المحققين، فالتزم الصمت، لم يكن يجيب على أي سؤال، طالبهم مراراً بقتله، بإحالته إلى المحكمة، بتنفيذ حكم الإعدام عاجلاً..

ذات مساء، مرّ عليه أحد السجانين، كان يحمل ملامحَ موغلة في الجمود، والقسوة، سأله: «**هل تعرف شيئاً عن زوجتك؟!**»

انتبه كل شيء في فهد: «**لماذا يسأل عن ملاكي؟!**»

«**هل وصلك الخبر؟!**»، أضاف السجان.

«**أي خبر؟!**»

«**لقد ماتت زوجتك.**»

«**ماتت؟!**»

«**ملاكي.. ماتت؟!**»

أصيب بتصلب، بانقطاع في التنفس، بانقطاع عن الحياة، أصبح

زائداً عليها. سقط على الأرض.. الجنون.. حالة من الجنون استعمرت عقله، عدة ساعات.. قضاها في الصراخ، في البكاء، في مناداتها باسمها..!

ساءت حالته الصحية، حتى الطعام، لم يعد يتناول إلا بمقدار ما يبقيه حياً!

بهجة الحياة، الحنين إليها، الفرح.. كلها ماتت في ناظريه!

كان يتمنى شيئاً واحداً، كان يتمنى لو وقف بجوارها قبل أن ترحل: «**حتى هذه.. حرموني منها!**»، كان جميع من في السجن يسمع نشيجه، وأصوات بكائه التي لا تنقطع!

شيءٌ تغيّر فيه، بات يحس بتثاقل غير معتاد في حركته، بانكسار غريب، برغبة في الانفراد عن كل أحد، الشيخوخة؟ هل تسللت إليه فجأة؟ يسمع عن أُناس شاخت أجسادهم قبل أوانها، هل يمكن أن يحدث مثل ذلك في سن الثلاثين؟

تحسس روحه، بقايا روحه، هل نضبت منها كل معاني الجمال؟

«**هل أصبحتُ شيئاً زائداً على هذه الحياة؟**»

البؤس تماماً كالوباء، يعبث بصاحبه حتى النهاية، ثم ينتقل لموطن آخر!

ثيابه؛ كلما رآها.. يغمض عينيه في فزع، يرى فيها صورة الكفن، صورة الرحيل، لماذا أمارات الموت باتت تحيط به من كل صوب؟ هل قدِّر له أن يرحل بهذه النهاية الحزينة؟

كلما تذكرها، تذكر وجهها الجميل، أيامهما السعيدة، أحلامها بمستقبل جميل، بتملك بيت العمر، بطفل صغير، كلما تذكر ذلك كله.. لا يستطيع التحمل، يدخل في موجة لا تنتهي من البكاء، لقد كان السبب في كل ما حدث لها، بعض المواقف؛ تتشبث بالذاكرة، تعْلق بها، ثم تخرج بعد سنوات على هيئة انفجارٍ مدمر!

«**ملاك.. أرجوك.. سامحيني.. سامحيني على كل ما فعلت!**»، قال في أسى

كان يعلم أن طريقه صعب، مليء بالأشواك الدامية، والتضحيات المرة، لكنه كان يتمنى لو وقف معه الآخرون، على الأقل أولئك الذين كان يقاتل لأجلهم، ويخاطر من أجل إسعادهم..!

المذلة؟

لم يذق طعمها في حياته قط، حينما تجرعها للمرة الأولى، تحت سماء وطنه، وجدها شديدة المرارة، وزادتها خيانةُ الرفاق مرارة!

الرفاق؟ أصدقاء الأنس؟ أين تُراهم يختبئون؟

قال في ألم: «**تباً.. لكل من يحدثني عن معاني الصداقة بعد اليوم!**»

استعرض أصدقاءه، أصدقاء الرخاء، مروا بفكره واحداً واحداً، هل بات يتذكره منهم أحد؟

تحامل على قلبه، وأقسم أن ينتزعهم، أن ينفيهم منه للأبد، حفنةٌ من اللئام، لا يستحقون حتى البقاء، إذا خرج من هذا السجن، إذا

عاد للحياة من جديد، فلن يتخذ صديقاً، لن يقترب من أي أحد، الصداقة؟ «**إنها أكبر كذبة عشتها في حياتي!**»

كل شيء فيه تبدل، حتى روحه الضامرة، صار يحس بها تتضاءل أكثر، تتهاوى في صمتٍ كوريقات الخريف، تتهاوى وحيدة، ولا يشعر بانكساراتها أحد!

٨٣

جالساً؛ في زاوية زنزانته، مكانه المفضل، يلجأ إليه كلما ضاقت به الدنيا: «**الزوايا تضم الشتات**»، هكذا كان يقول لأصدقائه، أصدقاء العنبر، كان بينهم تواصل روحي، قصص لا تتكرر، لولاها لما أطاق البقاء..

لم يُغيّر من جلسته تلك، حتى حينما سمع السجان ينادي اسمه، كان يَفزع أول الأمر مع كل صوت، يقوم إجلالاً له، لكنه لم يعد يفعل، استمرأ اليأس، واستمرأه!

«**فهد التركي.. زيارة..بسرعة.**»

«**زيارة؟**»

«**هل سمحوا بالزيارات المفتوحة؟**»

انقطع عن الأرض، روحه أشرفت على الرحيل، على الصعود، من الذي سيزوره بعد أن تخلى عنه الجميع؟ فزع من هذه الزيارة، هي الأولى منذ مدة طويلة، تردد في قبولها، لا يرغب في إفساد عوالمه، غالباً ستحمل أكداراً جديدة!

بعد رحيل ملاكه، لم يعد يحفل بما يحدث خارج السجن، سيكمل عمره هنا، لا شيء يجذبه للعالم الأرضي البئيس!

وصل غرفة الزيارة..

كانت هناك تنتظره!

فتاة متنقبة!

«**فتاة؟**»، ليس في حياته أي فتيات، أي نساء، أقبل إليها، تنتظره خلف الحاجز الزجاجي: « **غادة؟!**»، ولكن ما الذي جاء بها بعد هذه السنوات؟

هل جاءت تعتذر؟

«**وماذا أصنع باعتذاراتها؟**»

حينما رآها تستقيم واقفة، لم ير فيها شكل غادة، كلا ليست هي!

رأى فيها استقامة أخته الكبيرة، تذكر طيفها، أخته؟ نسي أن لديه أختاً، مسحها من ذاكرته: «**هل جاءت أختي لزيارتي؟ أم لتفجعني بخبر جديد؟**»، لم يحس بأي حنين تجاهها، السجن؛ سحق فيه كل إحساس!

ثم..!

ثم لما كشفتْ عن نقابها..!

رآها.. رأى.. دمعاتها.. بكاءها.. نحيبها.. وجهها الملائكي.. انهارت باكية أمامه..

الحاجز.. الحاجز الزجاجي.. أراد أن يقتلعه.. أن يدمره.. أن يقفز إليها.. ليضم شتاته، وشتاتها..

لكنها ماتت.. ماتت.. من الذي بعث روحها من جديد؟

ملاك.. ملاكه..

توقف كل شيء.. عيناه.. تنفسه.. قلبه.. كل شيء.. حتى الزمن..

أطلقها.. أطلق صرخة عميقة.. ملاك.. نادى باسْمها.. كل خلايا جسده.. كلها حملته.. حملته حتى انفجرت على هيئة دمعات.. على هيئة بكاء مخنوق.. أراد تحطيم الحاجز.. اللجوء إلى حضنها.. ضمها إلى صدره..

غرفة الزيارة.. في زاويتها.. كانت هناك.. طفلةٌ جميلة.. ساحرة التقاسيم.. كانت تبكي، تبكي في خوف..

ملاك؛ بالكاد استطاعت أن تهدأ، أن تستجمع ما تبقى من قواها، توجهت إليها، إلى الطفلة الصغيرة، أمسكت يدها المرتعشة، قادتها نحو الحاجز الزجاجي:

«أمل.. أمل.. توقفي عن البكاء.. هذا بابا.. بابا فهد.. سلِّمي عليه!»

٨٤

لقطةٌ أخيرة

انتبه فهد، صوتُ همسٍ غريب.. يملأ المكان.. يملأ العنبر!

لم يكن عادياً.. بدأ يتطور.. استحال إلى جلبة.. إلى ضجيجٍ لا يهدأ..

الكل صار يتحدث عن الأمر.. يسأل من الفاعل؟ كيف تم؟

لم يُصدق أحد..

السماء!

عدالة السماء!

فهد؛ حينما رآه.. رآه مكبلاً.. آتياً إليهم.. صار يتمتم بكلمات.. صار يهذي بها.. قفزت إلى شفتيه.. أنطقَته عدالة السماء.. تمتم في دهشةٍ باكية:

«هرمنا.. هرمنا.. من أجل هذه اللحظة التاريخية.»

تمّت.

الشك أقوى من الحب
وإذا لامس يوماً قلوب المحبين..
أمات فيها كل شيءٍ جميل!

* * *

أثقل ما يكون الحب؛
حينما يكون شِقّهُ مائلاً
يتحمّل أحد الطرفين
كافة الأعباء، والتضحيات
ثم بعد ذلك..
يظل يتلقى «صرخات التخوين»
كلما فكر في فك رباط
هذا الاشتباك الجائر!

#وطن





محمد بن صالح الشمراني

صدر له عن «منتدى المعارف»:

#وطن، زوار السفارات، أميرة 2



mohd@alshamrani.com



@ShamraniM





فهد التركي
@AlturkyFahad

الليلة:

الساعة 11 مساء؛ ستظل عالقة في أذهان السعوديين طويلاً، انتظرونا.. فقط!

#وطن

5280 RETWEETS **918** FAVORITE     

اتجه إلى غرفة نومها، إلى حيث ملاكه، نائمةً كانت، نظر إلى وجهها، إلى ابتسامتها، هل كانت تبتسم؟

اكتشف أنها أكثر جمالاً من قبل، أن نوراً ينبعث من عينيها، هل كان يحلم؟

هل تغير لون شعرها، لماذا يراه اليوم جميلاً؟

اقترب منها، دنا في هدوء، قبّل جبينها: «**ملاك.. سامحيني**»

فتحت عينيها، نظرت إليه في كسل: «**فهد؟**»

وبعد لحظات صامتة، سألته: «**أسامحك على ماذا ؟!**»

«**على كل شيءٍ حبيبتي.. على كل شيء**»


ISBN 978-614-428-033-1

منتـدى المعـارف

بناية «طبارة» ـ شارع نجيب العرداتي ـ المنارة ـ رأس بيروت
ص.ب: ٧٤٩٤ ـ ١١٣ حمرا ـ بيروت ٢٠٣٠ ١١٠٣ ـ لبنان
بريد الكتروني: info@almaarefforum.com.lb